شرح

حلية طالب العلم

للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد

لفضيلة الشيخ

محمد بن صالح العثيمين

رحمه الله

اعتنى به وخرج أحاديثه

محمود بن الجميل أبو عبد الله

دار الإتقان

جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع

١٨٣٨١/ ٢٠٠٣

طبعة جديدة مصححة مدققة

دار الإتقان



مقدمة التحقيق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد:

فكما أن العمل الصالح لا يكون صالحًا إلا بتوفر شروطه وأركانه التي يُقبَل بها عند الله عز وجل، من تصحيح النية في طلب الأجر عليه من الله تعالى، مع متابعة الرسول الكريم فيه؛ فكذلك طالب العلم وطلبه، فمع كون طلب العلم شيء نافع، وصالح في نفسه، إلا أنه لا يَكمُل ولا يزكو ولا يؤتي ثماره، إلا إذا تحلى طالبه ومُحصِّله بجملة من الآداب التي تضبط له هذا العلم، وتضعه في موضعه الصحيح، فيؤتي ثماره، ويرفعه الله عز وجل به في الدنيا والآخرة، وهذه الآداب منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، ومنها ما يتعلق بالعقائد، وما يتعلق بالعبادات، وما يتعلق بالسلوك، وما يتعلق بالآداب العامة، وبقدر موضع تلك الآداب في ميزان الشرع تعظُم الرغبة فيها، وتزيد صاحبها زكاة وجمالًا وبهاءً، وبقدر زوالها أو نقصها تشينه وتعيبه، حتى يصير العلمُ في حقه سُبَّةً وليس مِدْحَةً.

وفي هذا الكتاب الذي بين يديك أخي المسلم طالبَ العلم، تجد بُغيتك فيما خطَّه الشيخ بكر حفظه الله في رسالته القيِّمة «حلية طالب العلم» مع مزيد بيان وفوائد من شرح العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

نسأل الله عز وجل أن ينفعنا به والمسلمين، إنه نعم المولى ونعم النصير.

هذا وقد سبق لدار البصيرة إخراج هذا الكتاب مع تخريجات وتعليقات أخينا سراج الدين بن نصر بن علي اليماني فقام- جزاه الله خيرًا- بتخريج أحاديثها والتعليق عليها مع عنايته بتفريغ الأشرطة. إلا أنه- حفظه الله- قد أطال في تخريجات الأحاديث، وزاد في بعض التعليقات، وأورد بعض الهوامش مما يمكن اختصاره، والاقتصار منه على ما هو دونه مع حصول المقصود، كما فاته تخريج بعض الأحاديث.

لذلك فقد عُرِضَ عليَّ القيام على الكتاب والعناية به والاقتصار من التخريج والتعليق على اللازم، فقمتُ- بعون الله عز وجل وفضله- بإعادة النظر في الكتاب، وتصويب ما وقفت عليه من خطأ، مع تخريج الأحاديث بصورة مختصرة مقتصدة على ما جرت عليه العادة، وما يحصل به النفع والمقصود بفضل الله عز وجل وكرمه.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

محمود بن الجميل أبو عبد الله

مقدمة الشارح

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -:

نحن قررنا هذا بعد مشاورتكم واقتراحاتكم، وذلك لأن طالب العلم إذا لم يتحل بالأخلاق الفاضلة، فإن طلبه للعلم لا فائدة فيه.

لابد أن الإنسان كلما علم شيئًا من الفضائل أو من العبادات أن يقوم به، فإن لم يفعل فهو والجاهل سواء، بل الجاهل أحسن حالًا منه؛ لأن هذا ترك الفضل عن عمد بخلاف الجاهل؛ ولأن الجاهل ربما ينتفع إذا علم، بخلاف من علم ولم ينتفع؛ فلهذا أحث نفسي وإياكم على التحلي بالأخلاق الفاضلة، والصبر، والمصابرة، والعفو، والإحسان، بقدر المستطاع.

هذا بغض النظر عن الوصية الكبرى وهي الوصية بتقوى الله ﷻ التي قال تعالى فيها: ﴿لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّـهَ﴾ [النساء: ١٣١].

أما مؤلف هذه الحلية فهو أخونا الشيخ بكر أبو زيد وهو من أكابر العلماء، ومن المعروفين بالحزم والضبط والنَّزاهة؛ لأنه تولى مناصب كثيرة، وكل عمله فيها يدل على أنه أهل لما تولاه، وهو الآن مع لجنة الفتوى التي يرأسها سَماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في الرياض، ومع هيئة كبار العلماء، فنسأل الله لنا وله التوفيق.

ثم إن كلامه في غالب كتبه، كلام يدل على تضلعه في اللغة العربية، ولهذا يأتِي أحيانًا بألفاظ تحتاج إلى مراجعة، مراجعة قواميس اللغة، والذي يظهر أنه لا يتكلف ذلك؛ لأن كلامه سلس ومستقيم، وهذا يدل على أن الله تعالى أعطاه غريزة في اللغة العربية،لم ينلها كثير من العلماء في وقتنا الحاضر، حتى إنك تكاد تقول: إن هذه الفصول كمقامات الحريري، ومقامات الحريري معروفة لأكثركم؛ مقامات جيدة، وفيها مواعظ، وفيها كثير من الكلمات اللغوية التي يستفيد الإنسان منها.



مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وبعد:

فأقيد معالم هذه «الحلية» المباركة عام ١٤٠٨هـ، والمسلمون – ولله الحمد – يعايشون يقظة علمية، تتهلل لها سبحات الوجوه، ولا تزال تنشط – متقدمة إلى الترقي والنضوج – في أفئدة شباب الأمة مجدها، ودمها المجدد لحياتها؛ إذ نرى الكتائب الشبابية تترى، يتقلبون في أعطاف العلم مثقلين بحمله؛ يعلون منه وينهلون؛ فلديهم من الطموح، والجامعية، والاطلاع المدهش، والغوص على مكنونات المسائل، ما يفرح به المسلمون نصرًا، فسبحان من يُحيي قلوبًا ويميت قلوبًا.

لكن؛ لابد لهذه النواة المباركة من السقي والتعهد في مساراتِها كافة؛ نشرًا للضمانات التي تكف عنها العثار والتعثر في مثانِي الطلب والعمل؛ من تَموجات فكرية، وعقدية، وسلوكية، وطائفية، وحزبية....

الشرح

هذا ما قاله صحيح فإنه في الآونة الأخيرة، حصل -ولله الحمد- من الشباب طموحات واسعة في شتى المجالات، لكنها تحتاج -كما قال- إلى ضمانات، وكوابح، تضمن بقاء هذه النهضة، وهذا الطموح لأن كل شيء إذا زاد عن حده؛ فإنه سوف يرجع إلى جذره. وإذا لم يضبط ويكبح؛ فإنه يكون دمارًا، وربما يكون دمارًا في المجتمع، وربما يكون دمارًا حتى على صاحبه في قلبه، أرأيتم الخوارج عندهم من الإيمان بمحبة كون المسلمين على الحق ما لا يوجد في غيرهم، لكن هذا قد زاد حتى كفَّروا المسلمين وأئمة المسلمين وخرجوا عليهم، فصاروا – كما قال النبي ﷺ -: «**يمرقون من الإسلام كما يَمرق السهم من الرمية**»[1]، فأنت: اضبط قلبك إذا رأيت أنه سوف ينفر بعيدًا، وسوف يسلك مسلكًا صعبًا، فعليك أن ترده وأن تعرف أن المقصود إقامة دين الله، لا الانتصار للغيرة، وثورة النفس، ومعلوم أنه إذا كان هذا هو المقصود – أعني الانتصار لدين الله – فإن الإنسان سوف يسلك أقرب الطرق إلى حصول هذا المقصود، ولو بالمهانة إذا دعت

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦١٠، ٣٦١١، ٤٣٥١، ٥٠٥٧، ٥٠٥٨، ٦٩٣٠، ٦٩٣٣، ٧٥٦٢)، ومسلم (١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٦، ١٠٦٨) من حديث جملة من الصحابة ﷺ.

الحاجة إلى ذلك اهـ.

❁ ❁ ❁

وقد جعلت طوع أيديهم رسالة في «التعالم» تكشف المندسين بينهم، خشية أن يردوهم، ويضيعوا عليهم أمرهم، ويبعثروا مسيرتهم في الطلب، فيستلوهم وهم لا يشعرون. واليوم أخوك يشد عضدك، ويأخذ بيدك، فاجعل طوع بنانك رسالةً تحمل «الصفة الكاشفة»[1] لحليتك، فها أنذا أجعل سن القلم على القرطاس، فاتل ما أرقم لك أنعم الله بك عينًا[2]:

لقد تواردت موجبات الشرع على أن التحلي بمحاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، والهدي الحسن، والسمت الصالح: سِمة أهل الإسلام.

الشرح

* الشيخ بكر يقول: واليوم أخوك يشد عضدك ويأخذ بيدك فاجعل طوع بنانك: فيها التفات من الغيبة إلى الحضور، هذا ليس معتادًا عند العلماء في مؤلفاتهم العلمية، لكن كما قلنا أولًا؛ أن الشيخ يعتمد على البلاغات اللغوية ومعلوم أن الانتقال في الأسلوب من غيبة إلى خطاب، أو من خطاب إلى غيبة، أو من مفرد إلى جمع؛ حيث صح الجمع- من المعلوم- أن هذا سوف يوجب الانتباه؛ لأن الإنسان إذا كان يسير بأسلوب معين مستمرًّا عليه انسابت نفسه، لكن إذا جاء شيء يغير الأسلوب، سوف يتوقف وينتبه: ﴿لَقَدْ أَخَذَ اللَّـهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢] فقال: ﴿أَخَذَ اللَّـهُ﴾: هذه غيبة، و﴿وَبَعَثْنَا﴾: هذه حضور اهـ.

❁ ❁ ❁

وأن العلم - وهو أثمن درة في تاج الشرع المطهر - لا يصل إليه إلا المتحلي بآدابه، المتخلي عن آفاته.

---

(١) الصفة الكاشفة: هذه من مصطلحات كتب المواد للسان العرب، ومنه ما في مادة «ظبأ» من القاموس قال الزبيدي في «تاج العروس ١/ ٣٣٢»: الظبأة هي: الضبع «العرجاء» صفة كاشفة اهـ.

وهذا الوجه من الصفة هو الذي يراد به تمييز الموصوف الذي لا يُعلم ليُميَّز من سائر الأجناس بما يكشفه. انظر حرف الصاد من: الكليات ٣/ ٩٢.

(٢) أوضحت في حرف الألف من «معجم المناهي اللفظية» أن هذا اللفظ «أنعم الله بك عينًا» لا يصح النهي عنه.

الشرح

المتحلي، والمتخلي فيها جناس ناقص؛ لاختلاف بعض الحروف، ولكن مع ذلك الشيخ راعى هذا. اهـ

❁ ❁ ❁

ولهذا عناها العلماء بالبحث والتنبيه، وأفردوها بالتأليف، إما على وجه العموم لكافة العلوم، أو على وجه الخصوص، كآداب حملة القرآن الكريم، وآداب المحدث، وآداب المفتي، وآداب القاضي، وآداب المحتسب، وهكذا...والشأن هنا في الآداب العامة لمن يسلك طريق التعلم الشرعي.

الشرح

ويشمل أيضًا لمن يسلك طريق التعليم، فالآداب هنا: للمتعلم وللمعلم حتى المتعلم له آداب يجب أن يعتني بها. اهـ.

❁ ❁ ❁

وقد كان العلماء السابقون يلقنون الطلاب في حلق العلم آداب الطلب، وأدركت خبر آخر العقد في ذلك، في بعض حلقات العلم في المسجد النبوي الشريف، إذ كان بعض المدرسين فيه يدرس طلابه كتاب الزرنوجي (م سنة ٥٩٣هـ) رحمه الله تعالى. المسمى: «تعليم المتعلم طريق التعلم»[١] فعسى أن يصل أهل العلم هذا الحبل الوثيق الهادي لأقوم طريق، فيدرج تدريس هذه المادة في فواتح دروس المساجد، وفي مواد الدراسة النظامية، وأرجو أن يكون هذا التقييد فاتحة خير في التنبيه على إحياء هذه المادة التي تُهذب الطالب، وتسلك به الجادة في آداب الطلب، وحمل العلم، وأدبه مع نفسه، ومع مدرسه ودرسه وزميله، وكتابه وثمرة علمه، وهكذا في مراحل حياته، فإليك حلية تحوي مجموعة آداب، نواقضها مجموعة آفات، فإذا فات أدب منها اقترف المفرط آفةً من آفاتها، فمقل ومستكثر، وكما أن هذه الآداب درجات صاعدة إلى السنة فالوجوب، فنواقضها دركات هابطة إلى الكراهة فالتحريم.

الشرح

يعني هو ذكر الآداب؛ فيكون ضدها إذا كانت مسنونة -يكون ضدها- مكروهًا وإن

(١) طبع مرارًا وهو مع إفادته فيه ما يقتضي التنبه فليُعلم والله أعلم.

كانت واجبة فضدها محرم، ولكن هذا ليس على إطلاقه؛ لأنه ليس ترك كل مسنون يكون مكروهًا، وإلا لقلنا: إن كل من لم يأت بالمسنونات في الصلاة يكون قد فعل مكروهًا، لكن إذا ترك أدبًا من الآداب الواجبة فإنه يكون فاعل محرم في نفس ذلك الأدب فقط؛ لأنه ترك فيه واجبًا، وكذلك إذا كان مسنونًا، وتركه؛ فينظر إذا تضمن تركه إساءة أدب مع المعلم، أو مع زملائه؛ فهذا يكون مكروهًا؛ لا لأنه تركه لكن لأنه لزم منه إساءة الأدب.

والحاصل: أنه لا يستقيم أن نقول: كل من ترك مسنونًا فقد وقع في المكروه، أو كل من ترك واجبًا فقد وقع في المحرم؛ يعني على سبيل الإطلاق، بل يقيد هذا. اهـ.

❁ ❁ ❁

ومنها ما يشمل عموم الخلق من كل مكلف، ومنها ما يختص به طالب العلم، ومنها ما يدرك بضرورة الشرع، ومنها ما يعرف بالطبع، ويدل عليه عموم الشرع، من الحمل على محاسن الآداب، ومكارم الأخلاق، ولم أعن الاستيفاء، لكن سياقتها تجري على سبيل ضرب المثال، قاصدًا الدلالة على المهمات، وهذا المجمل ففصلته، فإذا وافقت نفسًا صالحة لها، تناولت هذا القليل فكثرته، وهذا المجمل ففصلته، ومن أخذ بها انتفع ونفع، وهي بدورها مأخوذة من أدب من بارك الله في علمهم، وصاروا أئمة يهتدى بهم، جمعنا الله بهم في جنته آمين[1].

بكر بن عبد الله أبو زيد في (٥/ ٨/ ١٤٠٨هـ)

❁ ❁ ❁

(١) من هذه الكتب: الجامع للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى، والفقيه والمتفقه له، وتعليم المتعلم طريق التعلم للزرنوجي، آداب الطلب للشوكاني، أخلاق العلماء للآجري، آداب المتعلمين لسحنون، الرسالة المفصلة لأحكام المتعلمين للقابسي، تذكرة السامع والمتكلم لابن جماعة، الحث على طلب العلم للعسكري، فضل علم السلف على الخلف لابن رجب، جامع بيان العلم لابن عبد البر، العلم فضله وطلبه للأمين الحاج، فضل العلم لمحمد أرسلان، وفي مفتاح دار السعادة لابن القيم، وشرح الإحياء للزبيدي، وجواهر العقدين للسمهودي، وآداب العلماء والمتعلمين للحسين بن منصور منتخب من الذي قبله، قانون التأويل لابن العربي، العزلة للخطابي، من أخلاق العلماء لمحمد سليمان، مناهج العلماء لفاروق السامرائي، التعليم والإرشاد لبدر الدين الحلبي، الذخيرة للقرافي الجزء الأول، والأول من المجموع للنووي، تشحيذ الهمم إلى العلم لمحمد بن إبراهيم الشيباني، رسائل الإصلاح لمحمد الخضر حسين، آثار محمد البشير الإبراهيمي. وغيرها كثير أجزل الله الأجر للجميع آمين.

آداب الطالب في نفسه

١ - العلم عبادة[١]:

أصل الأصول في هذه الحلية بل ولكل أمر مطلوب علمك بأن العلم عبادة، قال بعض العلماء: العلم صلاة السر وعبادة القلب.

الشرح

العلم عبادة لا شك فيه، بل هو من أجل العبادات، وأفضل العبادات، حتى أن الله تعالى جعله في كتابه قسيمًا للجهاد في سبيل الله -الجهاد المسلح- فقال جل وعلا: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

ليتفقهوا: يعني بذلك الطائفة القاعدة، ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون، وقال النبي ﷺ: «من يُرد الله به خيرًا يُفَقِّهْه في الدين»[٢]، فإذا رزقك الله الفقه في دينك، والفقه هنا يعنى به العلم بالشرع فيدخل فيه علم العقائد والتوحيد وغير ذلك، فإذا رأيت أن الله مَنَّ عليك بهذا فاستبشر خيرًا؛ لأن الله تعالى أراد بك خيرًا، وقال الإمام أحمد: العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته، قالوا: وكيف تصح النية يا أبا عبد الله؟ قال: ينوي رفع الجهل عن نفسه وعن غيره اهـ.

❁ ❁ ❁

وعليه فإن شرط العبادة: إخلاص النية لله سبحانه وتعالى لقوله: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] الآية، وفي الحديث الفرد المشهور عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إنما الأعمال بالنيات...» الحديث[٣]، فإن فقد العلم إخلاص[٤] النية، انتقل من أفضل الطاعات إلى أحط المخالفات، ولا شيء يحطم العلم

---

(١) فتاوى ابن تيمية ١٠/ ١١، ١٢، ١٤، ١٥، ٤٩- ٥٤، ١١/ ٣١٤، ٢٠/ ٧٧- ٧٨.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩، ٦٩٥٣)، ومسلم (١٩٠٧).

(٤) الذخيرة للقرافي ١/ ٤٥، وانظر مبحثًا نفيسًا في تهذيب الآثار للطبري ٢/ ١٢١- ١٢٢ طبع في مطابع الصفا بمكة.

مثل: الرياء، رياء شرك، أو رياء إخلاص، ومثل التسميع، بأن يقول مسمعًا: علمت وحفظت... وعليه فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب.

الشرح

كذلك إذا قال القائل: بم يكون الإخلاص في طلب العلم؟ قلنا: الإخلاص في طلب العلم يكون في أمور:

١- أن تنوي بذلك امتثال أمر الله؛ لأن الله تعالى أمر بذلك فقال: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ**﴾ وحث ﷺ على العلم، والحث على الشيء يستلزم محبته والرضا به والأمر به.

٢- أن تنوي بذلك حفظ شريعة الله؛ لأن حفظ شريعة الله يكون بالتعلم، ويكون بالحفظ في الصدور، ويكون كذلك بالكتابة..كتابة الكتب.

٣- أن تنوي بذلك حماية الشريعة والدفاع عنها؛ لأنه لولا العلماء ما حميت الشريعة، ولا دافع عنها أحد، ولهذا نجد مثلًا شيخ الإسلام ابن تيمية، وغيره من أهل العلم الذين تصدوا لأهل البدع، وبينوا بطلان بدعهم، نرى أنّهم حصلوا على خير كثير.

٤- أن تنوي بذلك اتباع شريعة محمد ﷺ؛ لأنك لا يمكن أن تتبع شريعته حتى تعلم هذه الشريعة.. هذه أمور أربعة كلها يتضمنها قولنا: إنه يجب الإخلاص لله في طلب العلم اهـ.

❁ ❁ ❁

وعليه، فالتزم التخلص من كل ما يشوب نيتك في صدق الطلب، كحب الظهور، والتفوق على الأقران، وجعله سلمًا لأغراض وأعراض؛ من جاه، أو مال، أو تعظيم، أو سمعة، أو طلب محمدة، أو صرف وجوه الناس إليك، فإن هذه وأمثالها إذا شابت النية أفسدتْها، وذهبت بركة العلم، ولهذا يتعين عليك أن تحمى نيتك من شوب الإرادة لغير الله تعالى، بل وتحمي الحمى.

الشرح

وهذا صحيح ما قاله، من وجوب حماية النية من هذه المقاصد السيئة، فهو صحيح، ومن طلب علمًا وهو مما يبتغى به وجه الله، لا يريد إلا أن ينال عرض من الدنيا،لم يجد

رائحة الجنة - نسأل الله العافية - ثم إن هذه المحمدة والجاه والتعظيم وانصراف وجوه الناس إليك ستجده إن حصلت العلم، إذا كانت نيتك سليمة، فهو أقرب إلى حصول هذا لك.

س: ما معنى قوله: بل وتحمي الحمى؟

ج: تحمي النية، وتحمي ما حولها، وحمى الشيء وما حوله، كما في الحديث: «**ألا وإن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه**».

س: ما الفرق بين حب الظهور وحب نفع الناس إذ الواحد لابد أن يظهر لينفع الناس؟

ج: حب الظهور أنه ما يريد بذلك إلا أن يظهر أمام الناس فقط، أما حب نفع الناس ثم يأتي من بعده الظهور ما يضر هذا، وهنا يجد الإنسان الفرق... حب الظهور: أن يظهر ويشار إليه بالأصابع ويثنى عليه بالألسن وما أشبه ذلك، أما من عادته النفع ما يهمه سواء ظهر عند الناس أو ما ظهر.

س: هل يعني أن الأمر متلازم؟

ج: ليس متلازمًا.. لا.. لكنه من أحسن النية حصلت له هذه الأمور، يعني: تعظيم الناس له وتصديرهم إياه واعتبار قوله وما أشبه ذلك، هذا يحصل مع النيات السليمة، ففرق بين مَنْ يريد النتائج الحاصلة من مظاهر الدنيا، وبين من يريد الآخرة، ثم تأتي هذه النتائج الحاصلة من مظاهر الدنيا.

س: تفوق الأقران هل فيها تفصيل؟

ج: ما أظن أن فيها تفصيلًا.

س: والمنافسة؟

ج: لا؛ المنافسة غير هذا، المنافسة يريد أن يسبق، لكن لا يريد أن يسبق ليكون فوق رأس صاحبه، فيكون أعلى منه، الفرق دقيق، يعني فرق بين من يقول: أنا أريد أن أطلب علمًا لأكون فوق الناس، وأفوق أقراني فقط، وبين من يحب أن يتفوق في العلم للعلم، بينهما فرق واضح، وإلا فهذا عمر ﷺ تمنى أن ابن عمر أجاب النبي ﷺ لما قال: «**إن من الشجر شجرة مثلها مثل المؤمن**»[1]، وخاض الصحابة في شجر البوادي وكلهم ما عرفوها

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١، ٦٢، ٧٢، ١٣١، ٢٢٠٩، ٥٤٤٨) ومواضع. ومسلم (٢٨١١).

يقول ابن عمر: فوقع في قلبِي أنَّها النخلة، لكن كنت أصغر القوم فلم أتكلم، فتمنَّى عمر أنه تكلم.

س: ما المقصود بالعرض؟

ج: العرض: الدنيا، كل ما يحصل في الدنيا هو عرض من أعراضها، سيزول اهـ.

❁ ❁ ❁

وللعلماء في هذا أقوال ومواقف بينت طرفًا منها في المبحث الأول من كتاب «التعالم»، ويزاد عليه نَهي العلماء عن الطبوليات؛وهي المسائل التي يراد بِها الشهرة.

وقد قيل: زلة العالم مضروب لها الطبل[1].

وعن سفيان رحمه الله تعالى أنه قال: كنت أوتيت فهم القرآن، فلما قبلت الصُّرَّة سُلِبْتُهُ[2].

فاستمسك رحمك الله تعالى بالعروة الوثقى العاصمة من هذه الشوائب.

الشرح

س: لماذا سُميت بالطبوليات؟

ج: لأنَّها مثل الطبل لها صوت ورنين، فهذا إذا جاء في مسألة غريبة عند الناس، واشتهرت عنه؛ كأنَّها صوت الطبل فهذه يسمونَها الطبوليات، ولم أسمع بِهذا لكن وجهها واضح اهـ.

هذا سفيان يقول: كنت أوتيت فهم القرآن فلما قبلت الصرة سُلبته.

الصرة: يعنى من السلطان لما أعطاه سُلب فهم القرآن، وهؤلاء هم الذين يدركون الأمور، ولهذا يتحرز السلف من عطايا السلطان، ويقولون: إنَّهم لا يعطوننا إلا ليشتروا ديننا بدنياهم، فتجدهم لا يقبلونَها، ثم إن السلاطين فيما سبق قد تكون أموالهم مأخوذة من غير حلها فيتورعون عنها -أيضًا- من هذه الناحية.

---

(١) الصوارم والأسنة لأبي مدين الشنقيطي السلفي رحمه الله تعالى، وانظر: شرح الإحياء وعنه: كنوز الأجداد ص/ ٢٦٣.

(٢) تذكرة السامع والمتكلم ص/ ١٩.

ومن المعلوم أنه لا يجوز للعالم أن يقبل هدية السلطان، إذا كان يريد السلطان أن تكون هذه العطية مطيَّة له، يركبها متى شاء بالنسبة لهذا العالم، أما إذا كانت أموال السلطان نزيهة، ولم يكن يقبل الهدية منه ليبيع دينه بها؛ فقد قال النبي ﷺ لعمر: «**ما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائله فخذه، وما لا فلا تتبعه نفسك**»(١). وغرض سفيان -رحمه الله- من ذلك التحذير من هذا وتبكيت نفسه على ما صنع.

۞ ۞ ۞

بأن تكون مع بذل الجهد في الإخلاص شديد الخوف من نواقضه عظيم الافتقار والالتجاء إليه سبحانه ويؤثر عن سفيان الثوري -رحمه الله تعالى- قوله: ما عالجت شيئا أشد عليَّ من نيتي.

الشرح

وفي معنى ذلك... ما أدري هل هو قول آخر أو نقل بالمعنى... يقول: ما عالجت نفسي على شيء أشد من معالجتها على الإخلاص، وهذا بِمعنى كلام سفيان: لأن الإخلاص شديد، ولهذا من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه؛ فإنه يدخل الجنة، وهو أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ(٢).

۞ ۞ ۞

وعن عمر بن ذر أنه قال لوالده: يا أَبِي مَا لَكَ إذا وعظت الناس أخذهم البكاء، وإذا وعظهم غيرك لا يبكون؟ فقال: يا بُنَي ليست النائحة الثكلى مثل النائحة المستأجرة(٣). وفقك الله لرشدك آمين.

الشرح

الله أكبر هذا مَثَلٌ عظيم، النائحة الثكلى، يعني: التي فقدت ولدها، فهذه تبكي بكاءً من القلب، والنائحة المستأجرة ما يؤثر نوحها ولا بكاؤها لأنَّها تصطنع البكاء، ولكن مثل

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٧٣، ٧١٦٤)، ومسلم (١٠٤٥).

(٢) يشير رحمه الله إلى ما رواه البخاري (٩٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لَا يَسْأَلَنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ».

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه.

هذا الكلام الذي يرد عن السلف، يجب أن نحسن الظن بهم، وأنَّهم لا يريدون بذلك مدح أنفسهم، وإنَّما يريدون بذلك حث الناس على إخلاص النية والبعد عن الرياء، وما أشبه ذلك، وإلا لكان هذا تزكية للنفس واضحة والله ﷻ يقول: ﴿ **فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾ [النجم: ٣٢] لكن السلف -رحمهم الله- لعلمنا بمقامهم وإخلاصهم يجب أن نحمل ما ورد عنهم مما يحتمل هذا المعنى الفاسد أن نحمله على المعنى الصحيح.

س: **إخلاص النية في عصرنا الحاضر صعب أو قد يكون مستحيلًا؛ لأن الذين يطلبون العلم ولا سيما الطلب النظامي، يطلبون العلم لنيل الشهادة وهذا ليس لله.**

ج: فنقول: إذا كنت تطلب العلم لنيل الشهادة، فإن كنت تريد من هذه الشهادة أن ترتقي مرتقًى دنيويًّا، فالنية فاسدة، أما إن كنت تريد أن ترتقي إلى مرتقى تنفع الناس به؛ لأنك تعرف اليوم أنه لا يمكن للإنسان من ارتقاء المناصب العالية الموجهة للأمة إلا إذا كان معه شهادة، فأنا الآن أقصد بهذه الشهادة أن أنال ما أنفع به الناس فهذا نيته طيبة، لا تنافي الإخلاص، الآن لو وجد عالم جيد في شتى فنون العلم، لكن ليس معه شهادة لا يتمكن من تدريس الناس، هذا هو الواقع، لكن لو يأتي واحد ما يعرف كوعه من كرسوعه، ومعه شهادة يقبل في الجامعة، ما دام معه شهادة، فالإنسان حسب نيته.

س: **وكيف بالنسبة للطلاب الصغار، لا يفرقون بين الطلب للدنيا والطلب لغيره؟**

ج: الصغار هم صغار يا رجل حتى وإن وصلوا للثانوية فما زالوا صغارًا.

س: **قول سفيان رحمه الله: لما قبلت الصرة سُلبت العلم.**

ج: أي: فهم القرآن.

س: **يقول السائل: هناك من يتهم من علمائنا فيقول: هذا حال السلف أنَّهم لا يقبلون على السلاطين، وأخذ أموالهم، والآن الحال تغير في هذه الأيام؛ فإن علماءنا يستقبلون السلاطين، ويجلسون معهم؛ فيكون هذا قدحًا لبعض العلماء، يعنى هذا مأخذ لبعض الناس؟**

ج: أول ما نأخذ عليه هو، هل هو مثل الناس الذين في زمن سفيان، هذا الذي ينتقد العلماء ليس مثلهم، وبينه وبينهم مثل ما بين سفيان وزمنه (وأنت أكلت المال والجمَّال).

❁ ❁ ❁

٢- الخصلة الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، محبة الله تعالى، ومحبة رسوله ﷺ، وتحقيقها بتمحض المتابعة، وقفو الأثر للمعصوم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

الشرح

لا شك أن المحبة لها أثر عظيم في الدفع والمنع، إذ إن المحب يسعى غاية جهده في الوصول إلى المحبوب، فيطلب ما يرضيه وما يقربه منه، ويسعى غاية جهده في اجتناب ما يكرهه محبوبه، ويبتعد عنه، ولهذا ذكر ابن القيم في «روضة المحبين» أن كل الحركات مبنية على المحبة، كل حركات الإنسان، وهذا صحيح، لأن الإرادة لا تقع من شخص عاقل إلا لشيء يرجو نفعه أو دفع ضره، وكل إنسان يحب ما ينفعه، ويكره ما يضره، فالمحبة في الواقع هي القائد والسائق إلى الله ﷻ، تقود الإنسان وتسوقه.

وانظر إلى الذين كرهوا ما أنزل الله كيف قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّـهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَـهُمْ﴾ [محمد: ٩] صارت نتيجتهم الكفر لأنَّهم كرهوا ما أنزل الله، فالمحبة- كما قال الشيخ- هي الجامعة لخيري الدنيا والآخرة، أما محبة الرسول ﷺ فإنَّها تحملك على متابعته ظاهرًا وباطنًا؛ لأن الحبيب يقلد محبوبه، حتى في أمور الدنيا، تجده يقلد محبوبه، تجده مثلًا يقلده في اللباس، في الكلام، حتى في الخط، نحن نذكر بعض الطلبة في زماننا لما كنا نطلب، كانوا يقلدون الشيخ عبد الرحمن السعدي في خطه، مع أن خطه -رحمه الله- ضعيف؛ ما تقدر تقرأه، ولكن من شدة محبتهم له قلدوه، فالإنسان كلما أحب شخصًا، حاول أن يكون مثله في خصاله، فإذا أحببت النبي ﷺ؛ فإن هذه المحبة سوف تقودك إلى اتباعه - صلوات الله وسلامه عليه - ثم ذكر الآية التي يسميها علماء السلف يسمونَها «آية المحنة» يعني الامتحان لأن قومًا ادعوا أنَّهم يحبون الله، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّـهَ فَاتَّبِعُونِي﴾ [آل عمران: ٣١] والجواب المتوقع، فاتبعوني تصدقوا في دعواكم، لأن الشرط والمشروط، إن كنتم تحبون الله فاتبعوني تصدقوا في دعواكم أنكم تحبون الله، لكن جاء الجواب: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ﴾ إشارة إلى أن الشأن كل الشأن أن يحبك الله ﷻ هذا هو الثمرة، وهو المقصود، لا أن تُحِبَّ الله، لأن كل إنسان يَدَّعِي ذلك، وربما يكون ظاهرك محبة الله، لكن في قلبك شيء لا يقتضي أن الله يحبك، فتبقى غير حاصل على الثمرة.

س: يا شيخ - بارك الله فيك - هل يدخل في سوء النية أن يقول الإنسان: أنا أحفظ هذا الشيء مثلًا، إرضاء لشيخي أو لأحوز على مكانة عند شيخي؟

ج: والله يا أخي نيات القلوب دقيقة للغاية، فربَّما يقول: أنا أحفظ الشيء لأجل أن يشجع الطلاب، وربما يقول: أنا صائم اليوم - يوم اثنين أو أيام البيض - ليشجع إخوانه.

س: هل ارتكاب المعاصي الصغيرة يقدح في محبة الله للعبد، يعنى: أن الله - تبارك وتعالى - لا يحبه؟

ج: إن الله ﷻ حَكَمٌ عَدْلٌ، يعطي كل عامل بقدر عمله؛ فقد يكون هذا الشخص محبوبًا إلى الله من وجه، ومكروهًا من وجه آخر، وهذا الذي عليه أهل السنة والجماعة؛ أن الإنسان يجتمع في حقه إيمان وكفر، أو طاعة ومعصية، فيكون محبوبًا من وجه، ومكروهًا من وجه آخر.

س: هل نفهم من هذه الآية، أنه إذا كان رجل عاصٍ عنده ذنوب، ثم كان يحب الله، هل تكون هذه المحبة سبب لغفران الذنوب التي فعل؟

ج: لا بد من التوبة، وهو إذا أحب الله؛ لا بد أن يتوب اهـ.

❁ ❁ ❁

وبالجملة: فهذان أصل هذه الحلية، ويقعان منها موقع التاج من الحلة.

فيا أيها الطلاب ها أنتم هؤلاء تربعتم للدرس وتعلقتم بأنفس عِلْق[1]- طلب العلم - فأوصيكم ونفسي بتقوى الله -تعالى- في السر والعلانية، فهي العدة، وهي مهبط الفضائل، ومتنَزل المحامد، وهي مبعث القوة، ومعراج السمو، والرابط الوثيق على القلوب عن الفتن فلا تفرطوا .

الشرح

صدق - رحمه الله وعفا عنا وعنه- ويدل لهذا قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّـهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]. تفرقون به بين الحق والباطل، وبين الضار والنافع، وبين الطاعة والمعصية، وبين أولياء الله وأعداء الله، إلى غير ذلك... وتارة يحصل

(١)العِلْق: هو النفيس من كل شيء. وجمعه أعلاق. (مختار الصحاح).

هذا الفرقان بوسيلة العلم؛ يفتح الله على الإنسان من العلوم، وييسر له تحصيلها أكبر ممن لا يتقي الله، وتارة يحصل له هذا الفرقان بما يلقيه الله -تعالى- على قلبه من الفراسة، قال النبي ﷺ: «**إن يكن فيكم محَدَّثون فعمر**»[1] فالله تعالى يجعل لمن اتقاه فراسة، يتفرس بها؛ فتكون موافقة للصواب، فقوله تعالى: ﴿**يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾ يشمل الفرقان بوسائل العلم والتعلم، والفرقان بوسائل الفراسة، والإلهام؛ أن الله تعالى يلهم الإنسان التقي ما لا يلهم غيره، وربما يظهر لك هذا في مجراك في طلب العلم، تمر بك أيام تجد قلبك خاشعًا منيبًا إلى الله، مقبلًا إليه، متقيًا له؛ فيفتح الله عليك مفاتح، ومعارف كثيرة. وتمر بك أيام غفلة ينغلق قلبك، وكل هذا تحقيق لقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ [الأنفال: ٢٩]، ثلاثة فوائد، وإذا غفر الله للعبد -أيضًا- فتح الله عليه أبواب المعرفة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا (١٠٥) وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ**﴾ [النساء: ١٠٥- ١٠٦]؛ ولهذا قال بعض العلماء: ينبغي للإنسان إذا استفتي أن يقدم استغفار الله، حتى يبين له الحق؛ لأن الله قال: ﴿**لِتَحْكُمَ**﴾ ثم قال: ﴿**وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ**﴾.

❁ ❁ ❁

٢- كُنْ سَلَفِيًّا:

كن سلفيًّا على الجادة، طريق السلف الصالح من الصحابة ﷺ، فمن بعدهم ممن قفا أثرهم في جميع أبواب الدين، من التوحيد والعبادات ونحوها، متميزًا بالتزام آثار رسول الله ﷺ، وتوظيف السنن على نفسك، وترك الجدال، والمراء، والخوض في علم الكلام وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع.

الشرح

هذه من أهم ما يكون؛ أن الإنسان يكون على طريق السلف الصالح في جميع أبواب الدين، من التوحيد، والعبادات، والمعاملات... وغيرها، كذلك أيضًا: ترك الجدال والمراء؛ لأن الجدال والمراء هو الباب الذي يقفل طريق الصواب، فإن الجدال والمراء يحمل المرء على أن يتكلم وينتصر لنفسه فقط، حتى لو بان له الحق، تجده إما ينكره وإما يؤوله

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٤٦٩، ٣٦٨٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، ومسلم (٢٣٩٨) من حديث عائشة ﷺ.

على وجه مستكره، انتصارًا لنفسه، وإرغامًا لخصمه على الأخذ بقوله، فإذا رأيت من أخيك جدالًا ومراءً بحيث يكون الحق واضحًا، ولكنه لم يتبعه؛ ففر منه فرارك من الأسد، وقل ليس عندي إلا هذا واتركه.

وكذلك الخوض في علم الكلام، فالخوض في علم الكلام -أيضًا- مضيعة للوقت لأنَّهم يتكلمون بأشياء من أوضح الأشياء مرَّ عليَّ اليوم في دراسة بعض الطلبة، يقول: ما هو العقل؟ حد لي العقل؟ عرف العقل لغة واصطلاحًا وشرعًا وعرفًا؟ هذا ما له تعريف، هل يحتاج العقل إلى أن يوضح؟ لا يحتاج، لكن علم الكلام أدخل علينا هذه الأشياء، فيقعد الواحد مدة ماذا يُعنَى بالعقل؟ سبحان الله، الظاهر أنه يجلس يفكر في تعريف العقل فيصير مجنونًا؛ لأن أهل الكلام، صدوا الناس عن الحق، وعن النهج السلفي البسيط بما يوردونه من الشبهات، والتعريفات، والحدود... وغيرها، وانظر إلى كلام الشيخ -رحمه الله- في «الرد على المنطقيين» يتبين لك الأمر أو في «نقض المنطق» وهو مختصر وأوضح لطالب العلم، فيتبين لك ما هم عليه من الضلال، ما الذي حمل علماء جهابذة على أن يسلكوا باب التأويل في باب الصفات إلا علم الكلام، لو كان كذا لكان كذا، لو كان مستويًا على العرش حقيقة لزم أن يكون محدودًا، لماذا؟ لأن العرش محدود، لو كان يُرى لزم أن يكون في جهة وإذا كان في جهة لزم أن يكون جسمًا، وهلم جرًّا، يعطونك من هذا الكلام الذي يضيعك وهم يظنون أنَّهم يهدونك سواء السبيل، فإذن؛ من المهم لطالب العلم أن يترك الجدال والمراء، وأن يترك ما يرد على ذهنه من الإيرادات، اترك هذه الأشياء، لا تتنطع، اجعل علمك سهلًا ميسرًا، يعني يأتي الأعرابي، يأتي على بعيره، يسأل النبي ﷺ على مسائل الدين، ثم ينصرف بدون مناقشة؛ لأنه ليس عنده إلا التسليم، أما المناقشات والمراء والجدال فهذا يضر الإنسان، فالشيخ بكر جزاه الله خيرًا - يعني- ألمح إلى هذا الأمر، وما يجلب الآثام، ويصد عن الشرع.

س: علماء الكلام يصفون أنفسهم بأنَّهم أسود والناس الذين يهاجموهم ثعالب يهربون منهم وأنت قلت: يفرون منهم فرارك من الأسد، يعني هذا موافق لبعض كلامهم؟

ج: فرق بين أن نقول: إن إنسانًا لا يريد إلا الجدل وتبين له الحق، اتركه، فر منه فرارك من الأسد؛ لأنك لو تبقى من غروب الشمس إلى طلوعها ما تستفيد أبدًا، وربما ترتفع الأصوات، ويحصل الغضب، وربما يحصل السب، والشتم.

س: يا شيخ: قلنا المماري والمجادل بالباطل، وهو يعلم أن غيره على الحق، نفر منه كفرارنا من الأسد، هل دائمًا؟

ج: لا،... في حال المجادلة. أما بيان بطلان قوله، لابد أن نبينه للناس. اهـ.

❁ ❁ ❁

قال الذهبي -رحمه الله تعالى-[1]:

وصح عن الدارقطني أنه قال: ما شيء أبغض إلي من علم الكلام، قلت: لم يدخل الرجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدل ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًّا اهـ.

الشرح

يعني بذلك الدارقطني، يعني يبغضه مع أنه لم يدخل فيه، لكن لما له من نتائج سيئة، وتطويل بلا فائدة، وتشكيك فيما هو متيقن، وإرباك للأفكار، وهجر للآثار، ولهذا ليس شيء -فيما أرى- أضر على المسلمين في عقائدهم من علم الكلام، والمنطق وكثير من علماء الكلام الكبار أقروا في آخر حياتِهم أنَّهم على دين العجائز، ورجعوا إلى الفطرة الأولى؛ لما علموا من علم الكلام.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في «الفتوى الحموية»: وأكثر من يخاف عليهم الضلال، هم المتوسطون من علماء الكلام؛ لأن من لم يدخل فيه فهو في عافية منه، ومن دخل فيه وبلغ غايته فقد عرف مضاره وبطلانه ورجع، وصدق رحمه الله، وهذا هو الذي يخاف في كل علم، يخاف من «الأنصاف» الذين في [الوسط] ما عرفوا الطريق، لأنَّهم لم يروا أنفسهم أنَّهم لم يدخلوا في العلم فيتركوه لغيرهم، ولم يبلغوا غاية العلم والرسوخ فيه، فيضلون ويُضلون، لكن علم الكلام خطير؛ لأنه يتعلق بذات الرب ﷻ سبحانه وصفاته؛ ولأنه يبطل النصوص تمامًا، ويحكم العقل، ولهذا كان من قواعدهم؛ أن ما جاء في النصوص من صفات الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

قسم أقره العقل: فهذا نقره بدلالة العقل لا بدلالة السمع.

وقسم نفاه: العقل فيجب علينا نفيه دون تردد؛ لأن العقل نفاه ولكن عقل من؟ قال

(١) السير.

الإمام مالك -رحمه الله-: ليت شعري، بأي عقل يوزن الكتاب والسنة أو كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أخذنا بقوله، وتركنا من أجله الكتاب والسنة، هذا لا يمكن.

القسم الثالث: ما لم يرد العقل بنفيه ولا إثباته، فمن قال: إن شرط الإثبات دلالة العقل، قال: يرد؛ لأن العقل لم يثبته ومن قال: إن من شرط قبوله أن لا يرده العقل قال: إنه يقبل وأكثرهم يقول: إنه يرد ولا يقبل؛ لأن من شرط إثباته أن يدل عليه العقل، وبعضهم توقف، قالوا: إذا لم يثبته العقل ولم ينفه؛ فالواجب علينا أن نتوقف، وكل هذه قواعد ما أنزل الله بها من سلطان، ضلوا بها وأضلوا - والعياذ بالله - وارتبكوا، وشكوا، وتحيروا، ولهذا أكثر الناس شكًّا عند الموت هم أهل الكلام عند الموت والعياذ بالله يترددون، فيقولون: هل الله جوهر أو عرض؟ هل هو قائم بنفسه أو بغيره؟ هل يفعل أولا يفعل؟ هكذا عند الموت؛ فيموت وهو شاك، نسأل الله السلامة والعافية، لكن؛ إذا كانت طريقته، طريقة السلف الصالح، سهل عليه الأمر، ولم يرد على قلبه شك، ولا تشكيك، ولا تردد اهـ.

❁ ❁ ❁

وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة المتبعون آثار رسول الله ﷺ وهم كما قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله تعالى[1]:

وأهل السنة: نقاوة المسلمين، وهم خير الناس للناس اهـ.

الشرح

لكن يا إخوان، اعلموا أن من المتأخرين من قال: إن أهل السنة ينقسمون إلى قسمين: مُفَوِّضة ومُؤَوِّلة، وجعلوا الأشاعرة، والماتريدية، وأشباههم جعلوهم من أهل السنة، وجعلوا المفوضة هم السلف فأخطئوا في فهم السلف وفي منهجهم؛ لأن السلف لا يفوضون المعنى إطلاقًا، بل قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: إن القول بالتفويض من شر أقوال أهل البدع، والإلحاد، واستدل بذلك بأننا إذا كنا لا ندري معاني ما أخبر الله به عن نفسه من أسماء وصفات - إذا كنا لا ندري - جاءنا الفلاسفة، فيقولون: أنتم جهال، ونحن الذين عندنا العلم، ثم تكلموا بما يريدون، وقالوا: المراد بالنص كذا وكذا، ومعلوم

(١) منهاج السنة النبوية ٥/ ١٥٨. طبع جامعة الإمام.

أن معنى للنص خير من توقف فيه، وأنه ليس له معنى فانتبهوا لهذا، أن بعض الناس يرى أن أهل السنة والجماعة يدخل فيهم المتكلمون من الأشاعرة والماتريدية وغيرهم، ويقسمون أهل السنة إلى قسمين مفوضة ومأولة، ثم يقولون من العجب العجاب: طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ سبحان الله!، كيف تكون طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم، وهل يمكن أن تكون طريقة أعلم وأحكم وليس بأسلم، بل يلزم من كونه طريقة الخلف أعلم وأحكم، أن تكون أسلم -بلا شك- لأن شخصًا يقول: هذا النص له معنى، وأنا مؤمن به أعلم، بلا شك وأحكم من شخص يقول: والله ما أدري وهي عندي بِمنْزلة أ، ب، ت، ما أدري، فلا سلامة إلا بالعلم والحكمة، العلم الحق واتباع الحق الحكمة، اتباع الحق والعلم أيضًا، فهذا تناقض عظيم ولهذا كان القول الصحيح في هذه العبارة أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم، جعلنا الله وإياكم على هذا الطريق اهـ.

❁ ❁ ❁

فالزم السبيل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الشرح

ويلزم من كوننا نحث الطلبة على منهج السلف، يلزم من ذلك تحريضهم على معرفة منهج السلف، أليس كذلك؟ فنطالع: الكتب المؤلفة في هذا كـ «سير أعلام النبلاء» وغيره، حتى نعرف طريقهم، ونسلك هذا المنهج القويم، أما أن نقول: نتبع السلف، ولكن لا ندري ماذا يفعلون، فهذا نقص بلا شك اهـ.

❁ ❁ ❁

٣- ملازمة خشية الله تعالى:

التحلي بعمارة الظاهر والباطن بخشية الله تعالى، محافظًا على شعائر الإسلام، وإظهار السنة، ونشرها بالعمل بها، والدعوة إليها، دالًا على الله بعلمك وسَمتك وعملك، متحليًا بالرجولة، والمساهلة، والسمت الصالح، وملاك ذلك خشية الله تعالى: ولهذا قال الإمام أحمد- رحمه الله تعالى -: أصل العلم خشية الله تعالى .

الشرح

وهذا الذي قاله الإمام أحمد صحيح، أصل العلم خشية الله، وخشية الله هي الخوف من الله المبني على العلم والتعظيم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. فالإنسان إذا علم الله ﷻ حق العلم، وعرفه حق المعرفة؛ فلا بد أن يقوم في قلبه خشية الله؛ لأنه إذا علم ذلك، علم عن رب عظيم، عن رب قوي، عن رب قاهر، عن رب عالم بما يسر ويخفي الإنسان، فتجده يقوم بطاعة الله ﷻ أتم قيام، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال العلماء: الفرق بين الخشية والخوف: أن الخشية تكون من عظم المخشي والخوف من ضعف الخائف، وإن لم يكن المخوف عظيمًا، ولهذا يخاف الصبي من فتى أكبر منه قليلًا، لكن الأكبر من هذا الفتى هل يخاف الفتى أم لا؟ يا جماعة، الصبي الصغير له سنتان يخاف من صبي له ست سنوات، أهل هذا الخوف لعظم المخوف أم لصغر الخائف؟ بل لقصر الخائف، طيب، هذا الذي له ست سنوات يخاف ممن له عشر سنوات، إذًا ليس عظيمًا، فالفرق بين الخشية والخوف، أن الخشية تكون من عظم المخشي، والخوف من نقص الخائف، ولهذا بعض الناس يخاف من لا شيء؛ لكونه رعديد، أي: جبان يخاف من كل شيء، ولهذا يضرب المثل بالرجل يقال: هو يخاف من ظلاله يمشي مثلًا في القمر فيرى ظلاله؛ فيقول: هذا واحد لحقني، ثم يهرب، وهذا الظلال معه وتنقطع رجليه، وهو يقول: أما نجوت من هذا الرجل؛ لأنه جبان. فالحاصل: أن الخشية أعظم من الخوف، ولكن قد يقال: خف الله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وهذا في مقابلة فعل هؤلاء الذين يخافون من الناس اهـ.

❁ ❁ ❁

فالزم خشية الله في السر والعلن، فإن خير البرية من يخشى الله تعالى، وما يخشاه إلا عالم، إذًا فخير البرية هو العالم، ولا يغب عن بالك أن العالم لا يعد عالمًا إلا إذا كان عاملًا، ولا يعمل العالم بعلمه إلا إذا لزمته خشية الله.

وأسند الخطيب البغدادي -رحمه الله تعالى- بسند فيه لطيفة إسنادية، برواية آباء تسعة، فقال[1]:

(١) الجامع للخطيب.

أخبرنا أبو الفرج عبد الوهاب بن عبد العزيز بن الحارث بن أسد بن الليث بن سليمان ابن الأسود بن سفيان بن زيد بن أكينة بن عبد الله التميمي- من حفظه - قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبي يقول: سمعت علي بن أبي طالب يقول: هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل اهـ.

وهذا اللفظ بنحوه مروي عن سفيان الثوري -رحمه الله تعالى- اهـ.

الشرح

قوله- وفقه الله-: لا يعد عالمًا، يعني عالمًا ربانيًا، وأما كونه عالم ضد الجاهل؛ فهذا يقال، فيقال: إن الذي ألف المنجد رجل نصراني وفيه من معرفة اللغة العربية شيء كثير وإن كان فيه غلطات كثيرة، وأشياء تؤخذ عليه من الناحية الدينية، لكن العالم الذي يعمل بعلمه، هو الذي يصدق عليه أنه عالم رباني، إلا أنه يربي نفسه أولًا ثم يربي غيره ثانيًا. اهـ. تعريف العالم الرباني.

إذًا لا بد من العمل بما يعلم، لأنه إذا لم يعمل بعلمه صار من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة[1]:

وعالم بعلمه لم يعملن معذبًا من قبل عباد الوثن

هذه واحدة، إذا لم يعمل بعلمه أورث الفشل في العلم، وعدم البركة، ونسيان العلم لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] وهذا النسيان يشمل النسيان الذهني والعلمي، قد

---

(١) يشير رحمه الله إلى ما رواه مسلم (١٩٠٥) وغيره عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ: أَيُّهَا الشَّيْخُ حَدِّثْنَا حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

يكون معنى ينسونه ذهنيًا، أو ينسونه: يتركونه؛ لأن النسيان في اللغة العربية، يطلق بمعنى الترك، أما إذا عمل الإنسان بعلمه فإن الله تعالى يزيده هدى، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧] ويزيده تقوى ولهذا قال: ﴿وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾، وإذا عمل بعلمه ورثه الله تعالى علم مالم يعلم، ولهذا روي عن الإمام علي رضي الله عنه قال: هتف العلم بالعمل؛ فإن أجابه وإلا ارتحل. وتروى هذه اللفظة: العلم يهتف بالعمل؛ يعني: يدعوه؛ فإن أجاب وإلا ارتحل، من الذي يرتحل؟ العلم، وهذا واضح؛ لأنك إذا عملت بالعلم، تذكرته كلما عملت، وأضرب لكم مثلًا برجل عرف صفة الصلاة من السنة فصار يعمل بها كلما صلى؟ هل ينسى ما علم، لا ينسى؛ لأنه تكرر عليه، لكن لو ترك العمل به ينسى، وهذا دليل محسوس على أن العمل بالعلم يوجب ثبات العلم، ولا ينساه اهـ.

❁ ❁ ❁

٤ – دوام المراقبة:

التحلي بدوام المراقبة لله تعالى في السر والعلن. سائرًا إلى ربك بين الخوف والرجاء، فإنَّهما للمسلم كالجناحين للطائر، فأقبل على الله بكليتك،وليمتلئ قلبك بمحبته، ولسانك بذكره، والاستبشار والفرح والسرور بأحكامه وحكمه، سبحانه.

الشرح

هذا من المهم دوام المراقبة لله، وهذا من ثمرات الخشية، أن الإنسان يكون دائمًا يعبد الله كأنه يراه، يقوم في الصلاة فيتوضأ، وكأنه ينفذ قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ يقوم يتوضأ، وكأنه ينظر إلى رسول الله ﷺ وهو يتوضأ ويقول: **«من توضأ نحو وضوئي هذا»**[1]، كمال المراقبة، وهو أمر مهم.

وقوله: يكون سائرًا بين الخوف والرجاء فإنهما للمسلم كالجناحين للطائر: هذا أحد الأقوال في هذه المسألة، وهي: هل الأولى للإنسان أن يسير إلى الله بين الخوف والرجاء أم يغلب جانب الخوف على جانب الرجاء؟

الإمام أحمد رحمه الله يقول: ينبغي أن يكون خوفه ورجاءه واحدًا؛ فأيهما غلب هلك صاحبه. ومن العلماء من يفصل، ويقول: إذا هممت بطاعة، فغلب جانب الرجاء، فإنك

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٦٠، ١٦٤، ١٩٣٤)، ومسلم (٢٢٦، ٢٢٩) من حديث عثمان رضي الله عنه.

إذا فعلتها قبل الله منك ورفعك بها درجات من أجل أن تقوى، وإذا هممت بمعصية فغلب جانب الخوف حتى لا تقع فيها، فعلى هذا يكون التغليب لأحدهما بحسب حال الإنسان، ومنهم من قال: بحسب الحال على وجه آخر، فقال: أما في المرض فيغلب جانب الرجاء؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بربه**»[1]؛ ولأنه إذا غلب في حال المرض جانب الخوف، فربما يدفعه ذلك إلى القنوط من رحمة الله، وفي حال الصحة يغلب جانب الخوف؛ لأن الصحة مدعاة للفساد، كما قال الشاعر الحكيم:

إن الشباب والفراغ والجدة   مفسدة للمرء أي مفسدة

يعني مفسدة عظيمة، والذي أرى أن الإنسان يجب أن يعامل حاله لما تقتضيه الحال، وإن أقرب الأقوال في ذلك أنه إذا عمل خيرًا فليغلب جانب الرجاء، وإذا هم بسيئة فليغلب جانب الخوف، هذا أحسن ما أراه في هذه المسألة الخطيرة العظيمة، طيب؛ إذا قال قائل: تغليب جانب الرجاء، هل يجب أن يكون مبنيًّا على سبب صالح للرجاء أو يكون رجاء المفلسين؟

الأول: يعني إنسان – مثلًا – يعصي الله دائمًا وأبدًا ويقول: رحمة الله واسعة، هذا غلط؛ لأن إحسان الظن بالله، ورجاء الله، لابد أن يكون هناك سبب ينبني عليه الرجاء، وإحسان الظن وإلا كان مجرد أمنية، والتمنى كما يقول عامة أهل نجد، يعني: العوام من أهل نجد يقولون: التمني رأس مال المفاليس. أتعرفون المفاليس من هم؟ هم الذين ليس عندهم شيء؛ فيقول: إن شاء الله سأتاجر، وسيصير عندي أموال وأشياء عظيمة فهذه حكيت لنا والله أعلم، هل تصح أم لا، لكن، يعني حال الأولين وبلاهتهم، يعنى يمكن أن تكون هكذا والله أعلم اهـ.

❁ ❁ ❁

٥- خفض الجناح ونبذ الخيلاء والكبرياء:

تحل بآداب النفس، من العفاف، والحلم، والصبر، والتواضع للحق، وسكون الطائر من الوقار، والرزانة، فخفض الجناح، متحملًا ذل التعلم لعزة العلم، ذليلًا للحق.

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٧٧) من حديث جابر ﷺ.

الشرح

* قوله: «تحل بآداب النفس من العفاف والحلم والصبر والتواضع للحق»: لأن المقام يقتضي هكذا، أن يكون عند طالب العلم عفة عما في أيدي الناس، وعفة عما يتعلق بالنظر المحرم، وحلم لا يعاجل بالعقوبة إذا أساء إليه أحد، وصبر على ما يحصل من الأذى مما يسمعه إما من عامة الناس، وإما من أقرانه، وإما من معلمه؛ فليصبر وليحتسب، والتواضع للحق، وكذلك للخلق، يتواضع للحق، بمعنى أنه متى بان له الحق خضع ولم يبغ سواه بديلًا، وكذلك للخلق، فكم من طالب فتح على معلمه أبوابًا ليست على بال منه، ولا تحقرن شيئًا.

* وقوله: «وسكون الطائر من الوقار، والرزانة، وخفض الجناح»: هذه أيضًا ينبغي لطالب العلم أن يبتعد عن الخفة، سواء كان في مشيته، أو في تعامله مع الناس، وألا يكثر من القهقهة التي تُميت القلب، وتذهب الوقار، بل يكون خافضًا للجناح، متأدبًا بالآداب التي تليق بطالب العلم.

* وقوله: «متحملًا ذل التعلم لعزة العلم»: هذا جيد، يعني أنك لو أذللت نفسك للتعلم؛ فإنما تطلب عزها بالعلم، فيكون تذليلها بالتعلم؛ لأنه ينتج ثمرة طيبة اهـ.

❁ ❁ ❁

وعليه فاحذر نواقض هذه الآداب، فإنَّها مع الإثم تقيم على نفسك شاهدًا على أن في العقل علة، وعلى حرمان من العلم والعمل به، فإياك والخيلاء، فإنه نفاق وكبرياء، وقد بلغ من شدة التوقي منه عن السلف مبلغًا.

الشرح

الخيلاء هذه تحدث للإنسان طالب العلم، وللإنسان كثير المال، وللإنسان سديد الرأي، وكذلك في كل نعمة أنعمها الله على العبد، ربما يحصل عنده خيلاء، والخيلاء: هي الإعجاب بالنفس مع ظهور ذلك على هيئة البدن؛ كما جاء في الحديث: «من جر ثوبه خيلاء»[1] فالإعجاب يكون بالقلب فقط؛ فإن ظهرت آثاره فهو خيلاء.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٦٥، ٥٧٨٣، ٥٧٨٤)، ومسلم (٢٠٨٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. وتتمته: «لَمْ يَنْظُرِ اللَّـهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

* وقوله: «إنه نفاق وكبرياء»: أما كونه كبرياء فواضح، وأما كونه نفاقًا فلأن الإنسان يظهر بمظهر أكبر من حجمه الحقيقي وهكذا المنافق يظهر بمظهر المخلص الناصح وهو ليس كذلك اهـ.

* * *

ومن دقيقه: مما أسنده الذهبي في ترجمه عمرو بن الأسود العنسي، المتوفى في خلافة عبد الملك بن مروان -رحمه الله تعالى-: أنه كان إذا خرج من المسجد قبض بيمينه على شماله، فسئل عن ذلك فقال: مخافة أن تنافق يدي.

قلت: يمسكها خوفًا من أن يخطر بيده في مشيته، فإن ذلك من الخيلاء[1].

الشرح

الله أكبر... صحيح، يخطر بيده يعني يحركها تحريكًا معينًا يدل على أنه عنده كبرياء، وعنده خيلاء، فيقبض بيمينه على شماله لئلا تتحرك.

* قوله: «ومن دقيقه»: الحذر من نواقض هذه الآداب التي ذكرها.

* * *

وهذا العارض عرض للعنسي -رحمه الله تعالى-، واحذروا داء الجبابرة - الكبر - فإن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عصي الله به[2].

فتطاولك على معلمك كبرياء، واستنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وتقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر، وعنوان حرمان.

العلم حرب للفتى المتعالي كالسيل حرب للمكان العالي

الشرح

احذر داء الجبابرة وهو الكبر، وقد فسره النبي ﷺ بأحسن تفسير، وهو أن الكبر بطر الحق وغمط الناس، يعني احتقارهم وازدراؤهم.

* وقوله: «إن الكبر والحرص والحسد أول ذنب عصي الله به»: يريد فيما نعلم لأننا نعلم

(١) فهرس الفتاوى ٣٦/ ١٩٣.
(٢) السير ٤/ ٨٠.

أن أول من عصى الله ﷻ هو الشيطان حين أمره الله ﷻ أن يسجد لآدم لكن منعه الكبرياء، أبى واستكبر، وقال: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾[الإسراء: ٦١] ، وقال: ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ﴾[الإسراء: ٦٢] ، وقال لما أمره ربه أن يسجد قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾[الأعراف: ١٢] .

فقوله: **إنه أول ذنب عصي الله به**: يعني باعتبار ما نعلم وإلا فإن الله ﷻ قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قال أهل العلم: إنما قال الملائكة ذلك؛ لأنه كان على الأرض أمة من قبل آدم وبنيه كانوا يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء، ثم ذكر أمثلة:

* قال: «تطاولك على معلمك كبرياء»: التطاول: يكون باللسان، ويكون أيضًا بالانفعال، قد يمشي مع معلمه وهو يتبختر، ويقول: فعلت وفعلت. وكذلك أيضًا: استنكافك عمن يفيدك ممن هو دونك كبرياء، وهذا أيضًا يقع لبعض الطلبة إذا اخبره أحد بشيء وهو دونه في العلم استنكف ولم يقبل.

وقوله: «تقصيرك عن العمل بالعلم حمأة كبر وعنوان حرمان»: نسأل الله العافية؛ لأن هذا نوع من الكبر، ألا تعمل بالعلم.

* وقوله: «العلم حرب للفتى المتعالي»: يعني أن الفتى المتعالي لا يمكن أن يدرك العلم؛ لأن العلم حرب له كالسيل حرب للمكان العالي، صحيح... نعم... المكان العالي ينفض عنه السيل يمينًا وشمالًا، ولا يستقر عليه.

س: **أليس العلم دواء للفتى المتعالي؟**

ج: لا، الفتى المتعالي المتكبر على الناس.

س: **أليس العلم يربيه؟**

ج: لكن حرب بمعنى لا يستقر العلم مع الكبرياء والعلو، وربما يسلب الإنسان العلم بسبب ذلك. اهـ.

- لقول من قال: لا ينال العلم مستح ولا متكبر.

❁ ❁ ❁

فالزم - رحمك الله - اللصوق إلى الأرض، والإزراء على نفسك، وهضمها، ومراغمتها عن الاستشراف لكبرياء، أو غطرسة، أو حب ظهور، أو عجب... ونحو ذلك من آفات العلم القاتلة له، المذهبة لهيبته، المطفئة لنوره، وكلما ازددت علمًا، أو رفعة في ولاية، فالزم ذلك، تحرز سعادة عظمى، ومقامًا يغبطك عليه الناس.

وعن عبد الله بن الإمام الحجة الراوية في الكتب الستة بكر بن عبد الله المزني - رحمهما الله تعالى -، قال: سمعت إنسانًا يحدث عن أبي، أنه كان واقفًا بعرفة، فرقَّ، فقال: لولا أني فيهم لقلت: قد غفر الله لهم. خرجه الذهبي[1]، ثم قال: قلت: كذلك ينبغي للعبد أن يزدري على نفسه ويهضمها..

الشرح

وهذه العبارات التي تطلق عند السلف بمثل هذا يريدون به التواضع وليسوا يريدون أنَّهم يغلبون جانب سوء الظن بالله ﷻ أبدًا، لكنهم إذا رأوا ما هم عليه،خافوا وحذروا، وجرت منهم هذه الكلمات وإلا فإن الأولى بالإنسان أن يحسن الظن بالله، ولا سيما في هذا المقام - في مقام عرفة - الذي هو مقام دعاء وتضرع لله ﷻ، ويقول مثلًا: إن الله لم ييسر لي الوصول إلى هذا المكان إلا من أجل أن يغفر لي، وإني أسأله المغفرة، والله تعالى يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] لكن تكررت مثل هذه العبارات عند السلف من باب التواضع وسوء الظن بالنفس، لا بالله ﷻ اهـ.

❁ ❁ ❁

٦- القناعة والزهادة:

التحلي بالقناعة والزهادة، وحقيقة الزهد[2]: الزهد بالحرام والابتعاد عن حماه، بالكف عن المشتبهات وعن التطلع إلى ما في أيدي الناس.

الشرح

التحلي بالقناعة من أهم خصال طالب العلم، يعني أن يقتنع بما أتاه الله ﷻ، ولا

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٥٣٤. وانظر كلامًا نفيسًا لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في: مجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٠.

(٢) تعليم المتعلم للزرنوجي. ص/ ٢٨.

يطلب أن يكون في مصاف الأغنياء والمترفين؛ لأن بعض طلبة العلم وغيرهم، تجده يريد أن يكون مصاف الأغنياء والمترفين، فيتكلف النفقات في المأكل والمشرب والملبس والمفرش، ثم يثقل كاهله بالديون وهذا خطأ بل عليك بالقناعة؛ فإنه زاد المسلم، وأما الزهادة فيقول: حقيقة الزهد، الزهد بالحرام والابتعاد عن حماه بالكف عن المشتبهات وكأنه أراد بالزهد هنا: الورع؛ لأن هناك ورعًا وزهدًا، والزهد: أعلى مقامًا من الورع؛ لأن الورع: ترك ما يضر في الآخرة، والزهد: ترك ما لا ينفع في الآخرة، فبينهما فرق، الفرق الذي بينهما: المرتبة التي ليس فيها ضرر، وليس فيها نفع، فالورع لا يتحاشاها، والزاهد يتحاشاها ويتركها؛ لأنه لا يريد إلا ما ينفعه في الآخرة. اهـ.

❁ ❁ ❁

ويؤثر عن الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى-[1]: لو أوصى إنسان لأعقل الناس، صرف إلى الزهاد.

الشرح

الله أكبر يعني في الوصية: لو قال: أوصيت لأعقل الناس، يصرف إلى من؟ إلى الزهاد؛ لأن الزهاد هم أعقل الناس، حيث تجنبوا ما لا ينفعهم في الآخرة، وهذا الذي قاله -رحمه الله- ليس على إطلاقه؛ لأن الوصايا والأوقاف والهبات والرهون وغيرها ترجع إلى معناها في العرف؛ فإذا كان أعقل الناس في عرفنا هم الزهاد، صرف لهم ما أوصى به للزهاد، وإذا كان أعقل الناس هم ذوو المروءة والوقار والكرم في المال والنفس صرف إليهم. اهـ.

❁ ❁ ❁

وعن محمد بن الحسن الشيباني- رحمه الله تعالى- لما قيل له: ألا تصنف كتابًا في الزهد؟ قال: قد صنفت كتابًا في البيوع[2].

يعني الزاهد من يتحرز عن الشبهات، والمكروهات، في التجارات، وكذلك في سائر المعاملات والحرف.

---

(١) تعليم المتعلم للزرنوجي. ص/ ٢٨.

(٢) المصدر السابق.

الشرح

لما طلب منه أن يصنف كتابًا في الزهد قال: قد صنعت كتابًا في البيوع؛ لأن من عرف البيوع وأحكامها، وتحرز عن الحرام، واستحل الحلال؛ فإن هذا هو الزاهد.اهـ.

❁ ❁ ❁

وعليه، فليكن معتدلًا في معاشه بما لا يشينه، بحيث يصون نفسه ومن يعول، ولا يرد مواطن الذلة والهون، وقد كان شيخنا محمد الأمين الشنقيطي المتوفى في ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ -رحمه الله تعالى- متقللًا من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية، وقد شافهني بقوله: لقد جئت من البلاد – شنقيط – ومعي كنْز قل أن يوجد عند أحد، وهو القناعة، ولو أردت المناصب، لعرفت الطريق إليها، ولكني لا أوثر الدنيا على الآخرة، ولا أبذل العلم لنيل المآرب الدنيوية، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين.

الشرح

هذا الكلام من الشيخ الشنقيطي وأشباهه من أهل العلم لا يريدون بذلك تزكية النفس، إنما يريدون بذلك نفع الخلق، أن يقتدي الناس بِهم، وأن يكونوا على هذا الطريق، لأننا نعلم هذا من أحوالهم -أي من أحوال العلماء- ولأنَّهم لا يريدون تزكية النفس، وهم أبعد الناس عن ذلك، وهو -رحمه الله- كما ذكره الشيخ بكر -من الزهاد إذا رأيته لا تقول إلا أنه رجل من أهل البادية، حتى العبادة تجد أن عليه عباءة عادية، ما فيها هذا الزي، وكذلك الثياب ولا تجده يهتم بِهندمة، نفسه وثيابه رحمه الله اهـ.

❁ ❁ ❁

٧- التحلي برونق العلم:

حسن السمت، والهدي الصالح، من دوام السكينة، والوقار، والخشوع، والتواضع، ولزوم المحجة، بعمارة الظاهر والباطن، والتخلي عن نواقضها .

الشرح

هذا قد يكون فرعًا لما سبق؛ فإن حسن السمت والهدي الصالح، من دوام السكينة، والوقار والخشوع والتواضع قد سبق الإشارة إليها فإنه ينبغي لطالب العلم أن يكون أسوة

صالحة في هذه الأمور اهـ.

۞ ۞ ۞

وعن ابن سيرين -رحمه الله تعالى- قال: كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم.

وعن رجاء بن حيوة - رحمه الله تعالى- أنه قال لرجل: حدثنا ولا تحدثنا عن متماوت ولا طعان. رواها الخطيب في الجامع، وقال[1]:

يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب، والعبث، والتبذل في المجالس، بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التندر، وإدمان المزاج والإكثار منه، فإنما يستجاز من المزاح بيسيره ونادره وطريفه، والذي لا يخرج عن حد الأدب، وطريقة العلم، فأما متصله، وفاحشه، وسخيفه، وما أوغر الصدور، وجلب الشر، فإنه مذموم، وكثرة المزاح، والضحك تضع من القدر وتزيل المودة اهـ..

الشرح

هذا من أحسن ما قيل في الآداب- آداب طالب العلم- أن يتجنب اللعب، والعبث، إلا ما جاءت به الشريعة كاللعب برمحه، وسيفه، وفرسه؛ لأن ذلك يعينه على الجهاد في سبيل الله، وكذلك في وقتنا الحاضر اللعب بالبنادق الصغيرة، التي يسمونها «بندق أبو حبة» هذا لا بأس به، وكذلك العبث، وهو أن يفعل فعلًا لا داعي له، أو يقول قولًا لا داعي له، كذلك التبذل في المجالس بالسخف، والضحك، والقهقهة، وكثرة التنادر، وإدمان المزاح، والإكثار منه، لاسيما عند عامة الناس، أما عند أصحابك، وأقرانك فالأمر أهون، لكن عند عامة الناس، إياك أن تفتح على نفسك باب الامتهان، فإن ذلك تذهب الهيبة من قلوب الناس، فلا يهابونك ولا يهابون العلم الذي نأتي به اهـ.

۞ ۞ ۞

وقد قيل: من أكثر من شيء عرف به، فتجنب هاتيك السقطات في مجالستك ومحادثتك، وبعض من يجهل يظن أن التبسط في هذا أريحية. وعن الأحنف بن قيس قال: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، إني أبغض الرجل يكون وصافًا لفرجه وبطنه[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٩٤.

(٢) الجامع للخطيب.

الشرح

الله المستعان!! صحيح؛ لأن هذا يشغل عن طلب العلم، مثل أن يقول: أكلت البارحة أكلًا حتى ملأت البطن، وما أشبه ذلك من الأشياء التي لا داعي لها، أو يتكلم فيما يتعلق بالنساء، أما إذا كان يتكلم بما يكون بينه وبين أهله؛ فذلك من أشر الناس منزلة عند الله يوم القيامة، الرجل يكون مع أهله، ثم يصبح يحدث الناس بما فعل؛ فإن هذا من أشر الناس منْزلة عند الله ﷻ.

س: **قد يحصل بين طلبة العلم أحيانًا أن يمدح أحدهما الآخر؛ فالممدوح يقول: لا يا أخي لو تعلم بِي، وجلست معي لفررت مني إلى الجبال فهل هذا يصح؟**

ج: لا، هذا إذا كان حقًّا فلا بأس، كما قال بعض السلف في الوقوف بعرفة: لولا أني كنت معهم لرجوت الله أن يغفر لهم، وقال القحطاني في نونيته:

والله لو علموا قبيح سريرتي   لأبى السلام علي من يلقاني

س: **ما حكم اللعب بكرة القدم؟**

ج: كرة القدم نرى أنه لا بأس بها، ويشترط أن يكون اللباس ساترًا، كما يحرم النظر إليه، وأن لا تلهي عن واجب، وأن لا تشتمل على سب وشتم، وأن لا تكون ديدن الإنسان، فكل النهار يلعب، يعني أحيانًا لا بأس أن ترفه عن نفسك، وكرة القدم لا شك أنَّها تنشط البدن وتقويه.

س: **وكيف بطالب العلم؟**

ج: كذلك لا بأس به، لكن لا يأتي في الأسواق، ويقول مثلًا في هذه البرحة: سنضع شبك ونلعب، هذا لا يليق، لكن إذا خرجوا مثلًا في نزهة، وفعلوا مثل ذلك؛ فلا نرى بِهذا بأسًا ولا ينتقص من قدره.

س: **ما معنى يا شيخ، حدثنا ولا تحدثنا عن متماوت ولا طعان؟**

ج: المعنى: أنه لا يريد أن يحدثهم عن متماوت، يعنى ليس نشيطًا في فعل الخير، ولا طعان يعني ساب يسب الناس ويطعن فيهم.

س: **نرى بعض طلبة العلم بينما يناقش أو يسأل أستاذه يليح بيده- يحرك بيده- فهل هذا**

من قلة الأدب أو أمر طبيعي؟

ج: ولماذا وهو على كل حال، لا ينبغي لك أن تمد يدك إلى وجه المدرس «المعلم» وتتكلم لو كان كذا، لو كان كذا؛ لأنه سوء أدب، لكن إذا كان من عادته أن يحرك يديه عند الكلام؛ لأن بعض الناس يتكلم بيديه أكثر مما يتكلم بلسانه، فليس بهذا بأس إن شاء الله.

س: ما قولكم عن طالب علم يقول: ما ينشغل باللعب الآن وكذلك الشباب يحتاجون أن نجعل لهم برامج رياضية مرتبة أسبوعيًّا فهل في هذا بأس؟

ج: هذا ليس فيه بأس، بالشروط التي ذكرنا؛ لأن هذا من باب التأليف، وقد يشتبه على بعض الإخوان أن هذا من باب الدعوة، وقالوا: إن رسول الله ﷺ لم يدعو الناس بمثل هذا، فتكون الدعوة بمثل هذا بدعة ينتهى عنها، والصواب: أنه ليس من باب الدعوة بل من باب التأليف كما فعل النبي ﷺ بالحبشة حينما مكنهم من اللعب برماحهم بالمسجد.

س: أكثر الإخوة مرتبطون بوظائف فالوقت الفارغ يكون عندهم مثلًا فعلًا، ومثلًا يكون البرنامج بعد الدوام يخرجون إلى البر ويأخذون درس بين المغرب والعشاء، ثم يلعبون بعد العشاء؟

ج: بعد العَشاء أم بعد العِشاء؟ بعد العِشاء، قبل العشاء.

أقول: لا بأس إن شاء الله تعالى، فما أرى في هذا بأسًا، ما دام المسألة بالشروط التي ذكرنا؛ لأن الناس يحتاجون الآن إلى مثل هذا، وإلا لا شك لو تخلف عن مثل هذه الألعاب، كان أحسن، لكن فرق بين الأولى وبين أنه حرام.

س: هناك بعض الإخوة يقولون: إن يوم الجمعة أجازة فيرتب لشباب آخر لعب كرة بعد صلاة العصر يوم الجمعة وجربنا هذا، وأتى عدد كبير من الشباب خاصة الطلاب خاصة ومن خلال الرياضة نجذبهم إلى الحلقات، ولكن بعض الإخوة قال: هذا وقت استجابة دعاء ولا ينبغي أن يشجع الشباب على لعب رياضة في مثل هذا الوقت فما قولكم؟

ج: والله صحيح، إن كانوا في مثل هذا الوقت يخرجون قليلًا ثم يعودون لانتظار صلاة المغرب يكون هذا أحسن.

س: يعني قبل صلاة المغرب يتوقفون؟

ج: أي نعم جزاك الله خير والسلام عليكم اهـ.

❁ ❁ ❁

وفي كتاب المحدث الملهم - أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القضاء: ومن تزين بما ليس فيه، شانه الله، وانظر شرحه لابن القيم رحمه الله تعالى[١].

الشرح

* يقول- رحمه الله -: «وفي كتاب المحدث الملهم»: محدث؛ يعني به عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن يكن فيكم محدثون فعمر»[٢]، والمراد: الملهم؛ الذي يلهمه الله عز وجل وكأنه يحدث بالوحي، وقد أشكل هذا على بعض العلماء، حيث قالوا: إن هذا يقتضي أن عمر أفضل الصحابة؛ لأنه قال: إن يكن فيكم محدثون فعمر. لكن أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بأن عمر إنما يتلقى الإصابة بواسطة، أما أبو بكر فيتلقاها بلا واسطة، وعلى هذا فيكون أفضل من عمر ومن رأى تصرف أبي بكر رضي الله عنه في مواقع الشدة، علم أنه أقرب للصواب من عمر، ففي كتاب الصلح الذي وقع بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش، وراجع عمر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجابه ثم راجع أبا بكر فأجابه بما أجابه به رسول الله صلى الله عليه وسلم، حرفًا بحرف[٣]، وفي قتال أهل الردة[٤]، وكذلك في تنفيذ جيش أسامة بن زيد[٥]، وكذلك في تثبيت الناس يوم وفاة النبي صلى الله عليه وسلم[٦]، كل هذا يدل على أن أبا بكر أصوب رأيًا من عمر؛ لكن الذي أظهر عمر رضي الله عنه هو طول خلافته، وتفرغه لأمور المسلمين العامة والخاصة، وكان مشتهرًا بذلك رضي الله عنه ولهذا نحن نقول: أيهما أكثر رواية للحديث أبو هريرة أم أبو بكر؟

---

(١) إعلام الموقعين ٢/ ١٦١- ١٦٢.

(٢) متفق عليه: تقدم.

(٣) روى ذلك البخاري ومسلم (٢٧٣٤، ٣١٨٢، ٤٨٤٤)، ومسلم (١٧٨٥) في قصة صلح الحديبية في حديث طويل.

(٤) روى البخاري (١٤٠٠، ٦٩٢٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (٢٠) قصة المناقشة التي دارت بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في ذلك.

(٥) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢/ ٥٧)، وتمام في فوائده (٢/ ٨٥).

(٦) روى البخاري (٣٦٧٠) ومواضع، ومسلم (٢٢١٣) قيام أبي بكر رضي الله عنه في الناس وإخبارهم بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكيرهم بالآية في ذلك.

أبو هريرة، هل يعني ذلك أن أبا هريرة رضي الله عنه أكثر تلقيًا للحديث من الرسول ﷺ من أبي بكر؟

لا، لكن أبا بكر لم يحدث بما روى عن الرسول ﷺ، وإلا فأبو بكر صاحب رسول الله ﷺ صيفًا وشتاءً، ليلًا ونهارًا، سفرًا وإقامةً؛ فهو أكثر الناس تلقيًا عنه، وأعلم الناس بأحواله، ولكن لم يتفرغ ليجلس للناس ليعرفهم بما رواه عن النبي ﷺ، فالحاصل أن بهذا يبين الجواب أن الحديث «**إن يكن فيكم محدثون فعمر**» يقول في الكتاب الذي كتبه أبو موسى إليَّ في القضاء: من تزين بما ليس فيه شانه الله، الله أكبر!!! هذا حقيقة، إذا تزين إنسان بأنه طالب علم وقام يضرب الجبلين بعضهما ببعض، وكل من أتاه يسأله من مسائل العلم، شمر عن أكمامه، وقال: أنا صاحبها، هذا حلال، وهذا واجب، وهذا فرض كفاية، وهذا فرض عين، وهذا يشترط فيه كذا وكذا، وهذا ليس له شروط، وقام يفصل ويجمل، ولكن يأتيه طالب علم صغير، ويقول: أخبرنا عن كذا؛ فإذا بالله يفضحه ويبين أنه ليس بعالم، وكذلك من تزين بعبادة وأظهر للناس أنه عابد فلابد أن يفضحه الله عز وجل، لا بد أن ينكشف، أعاذنا الله وإياكم من الرياء... آمين- المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور-[1].

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم

ومهما يكتم الناس فالله يعلمه، وسيفضح من لا يعمل من أجله، فهذه العبارة من عمر رضي الله عنه: زن بها جميع أعمالك، من تزين بما ليس فيه شانه الله.

قال الشيخ بكر أبو زيد وفقه الله: وانظر شرحها لابن القيم رحمه الله: شرحها ابن القيم في كتاب «إعلام الموقعين» شرحًا طويلًا، حتى تكاد تقول: إن جميع الكتاب هو ثلاث مجلدات كبار، كان شرحًا لهذا الحديث، وإن لم يكن شرحًا لألفاظه؛ لكن شرح لألفاظه من وجه، وشرح لمعانيه وحكمه من وجه؛ فلهذا أشار بكر أبو زيد إلى أن ينظر إلى هذا الشرح اهـ.

❁ ❁ ❁

(١) يشير لحديث متفق عليه: رواه البخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٢٩، ٢١٣٠).

٨- تحلَّ بالمروءة[1]:

التحلي بـ(المروءة)، وما يحمل إليها من مكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه، وإفشاء السلام، وتحمل الناس، والأنفة من غير كبرياء، والعزة في غير جبروت، والشهامة في غير عصبية، والحمية في غير جاهلية.

الشرح

يقول: التحلي بالمروءة: فما هي المروءة؟

حدها الفقهاء -رحمهم الله- في كتاب الشهادات قالوا: هي فعل ما يجمله، ويزينه، واجتناب ما يدنسه، ويشينه، وهذه عبارة عامة، كل شيء يجملك عند الناس، ويزينك ويكون سببًا للثناء عليك فهو مروءة، وإن لم يكن من العبادات، وكل شيء بالعكس فهو خلاف المروءة.

ثم ضرب لهذا مثلًا فقال: من مكارم الأخلاق، فما هو كرم الخلق؟ أن يكون الإنسان دائمًا متسامحًا وأن يتسامح في موضع التسامح ويأخذ بالعزم في موضع العزيمة.

ولذلك جاء الدين الإسلامي وسطًا بين التسامح، الذي تضيع به الحقوق، وبين العزيمة التي ربما تحمل على الجور، فنضرب مثلًا بالقصاص، وهو قتل النفس بالنفس، يذكر أن بني إسرائيل انقسمت شرائعهم في القصاص إلى قسمين:

قسم أوجب القتل ولا خيار لأولياء المقتول فيه، وهي شريعة التوراة؛ لأن شريعة التوراة تميل إلى الغلظة والشدة.

وقسم آخر أوجب العفو، وقال: إنه إذا قتل الإنسان عمدًا فالواجب على أوليائه التسامح، هكذا نقرأ في الكتب المنقولة...لم أقف على نص فيه وإلا فإن الأصل أن شريعة الإنجيل هي شريعة التوراة، وقد قال الله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥] لكن فيما ينقل عن بني إسرائيل نسمع هذا، فجاء الدين الإسلامي وسطًا، وجعل الخيار لأولياء المقتول، إن شاءوا قتلوا قصاصًا، ولهم الحق، وإن شاءوا عفوا مجانًا، وإن شاءوا أخذوا الدية؛ فصار الأمر في ذلك واسع، ومعلوم أن كل عاقل يخير في مثل هذه الأمور، سيختار ما فيه المصلحة العامة، يقدمها على كل شيء.

(١)فيها مؤلفات مفردة انظر: معجم الموضوعات المطروقة ص/ ٣٩٢.

فمثلًا إذا كان هذا الرجل شريرًا- أعني: القاتل وأولياء المقتول - يحبون المال، وقالوا: نريد أن نعفو إلى الدية؛ لأننا محتاجون ليس عندنا مال، نقول: هذه ليست من الحكمة، انظر إلى المصالح العامة، وأنتم إذا تركتم شيئًا لله عوضكم الله خيرًا منه، اقتلوا هذا القاتل، ولهذا أوجب شيخ الإسلام بن تيمية تبعًا للإمام مالك - رحمه الله - أوجب قتل القاتل غيلة حتى لو عفا أولياؤه، حتى لو كان له صغار يحتاجون إلى المال فإنه يقتل؛ لأن القتل الغيلة لا يمكن التخلص منه، إذ إن الإنسان اغتيل في حال لا يمكن أن يدافع عن نفسه، والمغتال مفسد في الأرض ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ**﴾ [المائدة: ٣٣] .

إذًا مكارم الأخلاق ما هي؟ هي أن يتخلق الإنسان بالأخلاق الفاضلة الجامعة بين العفو والإحسان؛ فيأخذ بالحزم في موضع الحزم، وباللين واليسر في موضع اللين واليسر وطلاقة الوجه، أيضًا طلاقة الوجه من مكارم الأخلاق، وهل مثلًا أطلق وجهي لكل إنسان، حتى لو كان من أجرم المجرمين؟ لا...على حسب الحال، أطلق الوجه في ستة من تسعة ما معنى هذا؟ يعني في الثلثين والثلث دعه لما تقتضيه الحال، ليكن سمتك طلاقة الوجه، هذا أحسن شيء، تجذب الناس إلى نفسك، ويحبك الناس، ويستطيعون أن يفضوا إليك ما يفضون من أسرارهم، لكن إذا كنت عبوسًا تعض على شفتك السفلى، فإن الناس يهابونك ولا يستطيعون أن يتكلموا معك، لكن إذا اقتضت الحال أن لا تطلق الوجه فافعل، ولهذا لا يلام الإنسان على العبوس له مطلقًا، ولا يمدح على تركها مدحًا مطلقًا.

إفشاء السلام: يعني نشره وإظهاره على من؟ على كل أحد؟

لا ليس على كل أحد، على من يستحق أن يسلم عليه، على المسلم وإن كان عاصيًا وإن كان زانيًا، وإن كان سارقًا، وإن كان مرابيًا وإن كان يشرب الخمر، مسلم، ألقي عليه السلام، يقول النبي ﷺ : «**لا يحل للمؤمن أن يهجر أخاه المؤمن فوق ثلاث أو قال: أخاه فوق ثلاث. يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»[(١)] ، فإن فعل المؤمن منكرًا، ولا سيما إن كان منكرًا عظيمًا، يخشى منه أن يتفتت المجتمع الإسلامي،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٦٥، ٦٠٧٥- ٦٠٧٧، ٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٥٩- ٢٥٦١) من حديث جملة من الصحابة ﷺ.

فحينئذٍ يكون هجره واجبًا إن نفع الهجر، وإنما أقول ذلك لئلا يرد علينا قصة كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك؛ فإن الرسول ﷺ أمر بهجره[1]، أمر أن يهجره الناس فهجروه، وصاروا لا يتكلمون معه، حتى أنه ذات يوم تسور حديقة أبي قتادة رضي الله عنه، وهو ابن عمه وأحب الناس إليه، فسلم على أبي قتادة فلم يرد عليه السلام، فسلم ثانية؛ فلم يرد عليه السلام؛ فسلم ثالثة فلم يرد عليه السلام، فقال: أنشدك الله، هل تعلم أني أحب الله ورسوله؟ يعني كيف تهجرني، وأنا أحب الله ورسوله؟ هل تعلم يعني ألم تعلم ولم يرد عليه، ما قال (نعم)، ولا: (لا)، قال: الله ورسوله أعلم... ما أجاب؟ لماذا؟ لأن النبي ﷺ أمره، ولو أمرهم أن يفعلوا أكبر من ذلك لفعلوا، المهم أن الصحابة هجروه، لأنه تخلف عن غزوة تبوك، وكان هجرهم بأمر من رسول الله ﷺ، تصوروا يا إخوان، يأتي ويسلم على الرسول ﷺ، فيقول: لا أدري..أحرك شفتيه برد السلام أم لا.. يعني هو لا يسمع الرد قطعًا، لكن لا يدري هل حرك شفتيه أم لا، ولكن الرسول يحبه، لأنه إذا قام يصلي كعب، جعل النبي ﷺ يسارقه النظر، ينظر إليه، فهل هذا الهجر الذي وقع من الصحابة لكعب بن مالك، هل أثر أم لم يؤثر؟

أثر رجوعًا عظيمًا إلى الله عز وجل ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]. ظنوا: بمعنى أيقنوا لجئوا إلى الله، ففرج الله عنهم، فهذا أثر تأثيرًا عظيمًا، وحصل به مصلحة عظيمة، تتلى قصتهم في كتاب الله، يقرأها المسلمون كلهم في صلواتهم، وفي خلواتِهم، يذكرونَهم كلما مروا بذكرهم، هذا فائدة عظيمة، ثم فيها محنة عظيمة أيضًا لكعب، جاءه كتاب من ملك غسان، ملك، فقال له في الكتاب: إنه بلغنا أن صاحبك قلاك، يعني أبغضك، وهجرك، وتركك؛ فالحق بنا نواسك يعني ائت إلينا نجعلك مثلنا، كأنه يشير أن يجعله ملك غسان، فماذا فعل؟ رأى هذه الفتنة عظيمة، ذهب بالورقة فسجر بِها التنور، يعني أحرقها حرقًا تامًّا، كراهة لها، ولما تضمنته، ولئلا تغلبه في المستقبل، حتى يجيب لهذا الطلب، وهكذا يكون الإيمان، وهذه ولا شك أنَّها محنة عظيمة، حصلت من أجل هذه القصة. فالحاصل: أن إفشاء السلام الأصل فيه أيش؟

الأصل فيه أنه عام لكل واحد من المسلمين، إلا من جاهر بمعصية، وكان من

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٤٤١٨) ومواضع، ومسلم (٢٧٦٩).

المصلحة أن يهجر فليهجر، أما غير المسلمين فقد قال النبي ﷺ: «**لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام**»[١]؛ فيحرم علينا أن نبدأ اليهود والنصارى، ومن سواهم أخبث منهم، فلا نبدأهم بالسلام، وإن سلموا، فردوا عليهم لقول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: ٨٦]، فإذا قالوا: السلام عليكم. تقول: عليكم السلام؛ صراحة؛ لأن الآية ناطقة بذلك: ﴿**حَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾، ولأن النبي ﷺ إنما أمر أن نقول: وعليكم. لأنهم يقولون: السام عليكم كما جاء ذلك مصرحًا به في حديث عبد الله بن عمر قال: إن اليهود، أو قال: «**أهل الكتاب يقولون: السام عليكم، فإذا سلموا فقولوا: وعليكم**»[٢].

س: هل يستثنى من ذلك شيء آخر؟

يعني الطالب لا يفشي السلام مع إخوانه وزملائه؛ لأن الخواطر والقلوب سليمة، والسلام محبة، وبشاشة، وتقبل وقبول، فلا حاجة...

فيقول: فيغني ما في القلوب عن التعبير، ما تقولون في هذا الاستثناء؟

لا ليس صحيحًا ما يكفي، هذا استثناء باطل، الطلبة فيما بينهم أحق الناس بإفشاء السلام، ويستثنى من ذلك أيضًا عند بعض الناس من خالفك في المنهج، ووافقك في الهدف، عند بعض الناس لا تسلم عليه، في الآن زمر ولا تقول أحزابًا، زمر بعضهم ينتمي إلى جماعة دون الأخرى، لكن ليت أن بعضهم سلمٌ لبعض، بل العكس هم – والعياذ بالله – متناحرون بالألسن، ولا أدري لو حصلوا أن يتناحروا بالسيوف، أيفعلون أم لا؟ الله أعلم!

لكن بالألسن متناحرون، يسب بعضهم بعضًا، وينفر بعضهم من بعض، ويمضي أوقاتًا كثيرة في مجالس عديدة للقدح في الطائفة الأخرى، مع أن الهدف واحد، كلهم يريدون الوصول إلى تحقيق العبادة، وإلى الإقبال إلى الله ﷻ، وربما يكون هناك من أهل البدع المصرحين بمخالفة السنة من لا يتكلمون عليهم، وهذه محنة....محنة لمسناها في بعض الزمر التي كل طائفة أو كل زمرة تنحاز إلى شيء معين أو على منهج معين فتجد

(١) صحيح: رواه مسلم (٢١٦٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٩٢٦) ومواضع، ومسلم (٢١٦٣) من حديث أنس ﷺ واللفظ للبخاري.

بعضهم يضلل بعض وهذه محنة، فمثل هذه الزمر يجب أن يسلم بعضهم على بعض، ويجب أن ينصح بعضهم بعضًا، وأن يبين كل واحد لأخيه ما هو مخطئ فيه حتى يصحح الخطأ وتتآلف القلوب، وأما أن تضرب القلوب بعضها ببعض- والعياذ بالله- من أجل اختلاف في المنهج، مع اتحاد في الهدف فهذا غلط عظيم اهـ.

❁ ❁ ❁

وعليه فتنكب (خوارم المروءة) في طبع، أو قول، أو عمل، من حرفة مهينة، أو خلة رديئة، كالعجب، والرياء، والبطر، والخيلاء، واحتقار الآخرين، وغشيان مواطن الريب.

الشرح

نعم... لما ذكر المروءة أنه ينبغي لطالب العلم أن يتحلى بها، قال: «تنكب يعني أبعد عن خوارم المروءة في طبع»، أو قول، أو عمل، يعني في طباعك، حاول أن تكون طباعك ملائمة للمروءة ومن المعلوم أنه ليس التكحل في العينين كالكحل، وليس التطبع كالطبع، لكن الإنسان مع ممارسة الشيء ربما يكون الكسب غريزة، والتطبع طبيعة، وإلا فإن الإنسان لو حاول ما يحاول من الأخلاق، وطبعه ليس كذلك، سيجد صعوبة لكن مع التمرن يحسن أو تحسن حاله، وهذا مجرب، فقد سمعنا عن بعض الناس الذي كان بعيدًا عن العلم، وعن طلب العلم، له أخلاق سيئة ثم لما منَّ الله عليه بالعلم والهداية، صارت أخلاقه طيبة؛ لأنه مرن نفسه على هذه الأخلاق، حتى صارت كأنَّها من طباعه وغرائزه.

* قوله: (من حرفة مهينة، أو خلة رديئة)..الخلة يعني الخصلة، والحرف المهينة: كل ما يحترف الإنسان من عمل، ثم ضرب لذلك أمثلة بقوله: كالعجب، أن يعجب الإنسان بنفسه فإذا استنبط فائدة، قال: هذه الفائدة ما شاء الله، أنا استنبطتها، هذا ما يستنبطها أكبر عالم، ثم أعجب بنفسه، ورأى نفسه كبيرًا، وانتفخ.

الرياء: أن يرائي الناس، بأن يتكلم في العلوم أمامهم، حتى يروا أنه عالم فيقال: هذا عالم.

البطر: رد الحق وهذه تحصل في المجادلات والتعصب لرأي من الآراء، أو مذهب من المذاهب، تجده يغمط الآخرين، يرد الحق؛ لأنه خلاف ما يرى.

الخيلاء: نتيجة العجب، يعني يظهر نفسه مظهر العالم الواسع العلم، ومن ذلك أن

يكون للعلماء في بلد ما زي خاص في اللباس، فيأتي هذا الإنسان البادئ في العلم؛ فيلبس لباس كبار العلماء، ليظن الظان أنه من كبار العلماء، هذا من الخيلاء.

كذلك أيضًا احتقار الآخرين فالبطر هو احتقار الآخرين، هو الكبر، كما قال النبي ﷺ **«الكبر: بطر الحق، وغمط الناس»**(١) أي احتقارهم.

وغشيان مواطن الريب: المصدر غشيان، مواطن الريب: يعني المواطن التي تكون محل الشك في مروءته وأخلاقه يتجنبها رحم الله امرًا كف الغيبة عن نفسه، وإذا كان رسول الله ﷺ أطهر الخلق، قال للرجلين الأنصاريين وهو مع زوجه صفية: **«إنَّها صفية»**(٢) فكيف بغيره، فالحاصل أنك لا تثق بنفسك وتقول: الناس لن يظنوا بِي شيئًا، فأنت وإن كنت عند الناس بِهذه المثابة، لكن الشيطان يلقي في قلوبِهم الشر يتهموك بما أنت منه بريء، فتجنب مواطن الريب حتى تسلم من الغيبة.

س: ما معنى الأنفة من غير كبرياء؟

ج: يعني أن يأنف الإنسان من الأشياء المهينة، التي توجب ضعته عند الناس، لكن بدون كبرياء، والعزة في غير جبروت أن يكون عزيز النفس، قويًّا، لكن من غير جبروت؛ بمعنى أن لا يذل أمام خصمه عند المناظرة أو غير المناظرة، بل يتصور أنه غالب لكن بشرط أن لا يؤدي ذلك إلى الجبروت، فإنه إذا أدى به إلى الجبروت صار خلقًا ذميمًا، عكس ذلك.. من يكون ذليلًا حتى وإن كان عنده علم، لا يستطيع أن يناظر ولا أن يجادل، ولا أن يتكلم مع الغير، فتجده يهزم حتى في مواطن الحق التي أصاب فيها.

* (والسلامة في غير عصبية): واضح أن يكون الإنسان شهمًا، معتزًّا بنفسه؛ لكن من غير عصبية، لا يقول: أنا من القبيلة الفلانية، أنا من تميم، أنا من قريش، أنا من كذا، أنا من كذا.

* (والحمية في غير جاهلية): أن يكون عند الإنسان حمية وغيرة، لكن في الحق لا في الجاهلية اهـ.



(١) صحيح: رواه مسلم (٩١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٣٨، ٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

٩- التمتع بخصال الرجولة:

تمتع بخصال الرجولة من الشجاعة، وشدة البأس في الحق، ومكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال، وعليه فاحذر نواقضها، من ضعف الجأش، وقلة الصبر، وضعف المكارم، فإنَّها تَهضم العلم، وتقطع اللسان عن قول الحق، وتأخذ بناصيته إلى خصومه في حالة تلفح بسمومها في وجوه الصالحين من عباده.

الشرح

هذا كالتكميل للأول؛ لأن التمتع بخصال الرجولة من المروءة بلا شك، فإن الإنسان إذا نزل نفسه منزلة الرجال الذين هم رجال بِمعنى الكلمة، فإنه سوف يتمتع بما ذكره: الشجاعة، شدة البأس في الحق،و مكارم الأخلاق، والبذل في سبيل المعروف، حتى تنقطع دونك آمال الرجال؛ يعني حتى لا يهم أحد بأن يسبقك بها أنت عليه من هذه الخصال فالشجاعة: الإقدام في محل الإقدام هذه الشجاعة، وإذا كانت الشجاعة هي الإقدام في محل الإقدام لزم من ذلك أن تسبق برأي، وتفكير، وحنكة؛ ولهذا قال المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أولًا وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة بلغ من العلياء كل آمـال

أو قال: كل أماني فلا بد من رأي؛ لأن الإقدام في غير رأي تَهور، تكون نتيجته عكس ما يريده هذا القادم، أو المقدم، كذلك أيضًا شدة البأس في الحق، بحيث يكون قويًّا فيه صابرًا على ما يحصل من أذىً أو غيره في جانب الحق.

مكارم الأخلاق: قد سبق الكلام عليها، وأنَّها تشمل كل خلق كريم، فيحمد الإنسان عليه والبذل في سبيل المعروف: بذل يشمل بذل المال، والجاه، والعلم، وكل ما يبذل للغير لكن في سبيل المعروف، أما البذل في سبيل المنكر، والبذل فيما ليس بمعروف ولا منكر، قد يكون من إضاعة الوقت أو من إضاعة المال اهـ.

❁ ❁ ❁

١٠- هجر الترفه:

لا تسترسل في التنعم والرفاهية: فإن البذاذة من الإيمان، وخذ بوصية أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في كتابة المشهور وفيه: «وإياكم والتنعم وزي العجم، وتمعددوا،

واخشوشنوا». رواه ابن الجعد[(١)].

الشرح

قوله: لا تسترسل في التنعم والرفاهية: وهذه النصيحة تقال لطالب العلم ولغير طالب العلم؛ لأن الاسترسال في ذلك مخالف لإرشاد النبي ﷺ، فقد كان ينهى عن كثرة الإرفاه، ويأمر بالاحتفاء أحيانًا[(٢)]، والإنسان الذي يعتاد الرفاهية يصعب عليه مواجهة الأمور؛ لأنه قد تأتيه الأمور على وجه لا يتمكن معه من الرفاهية، ولنضرب لذلك مثلًا بهذا المثل الذي ذكرناه في الحديث: يأمر بالاحتفاء أحيانًا: بعض الناس لا يحتفي... دائمًا عليه الجورب، وعليه الخف، وعليه النعل، لا تجده يمشي، هذا الرجل لو عرض له عارض وقيل له تمشي خمسمائة متر، بدون وقاية للرجل، لوجدت ذلك يشق عليه مشقة عظيمةً، وربما تدمى قدمه من مماساة الأرض، لكن لو عود نفسه على الخشونة، وعلى ترك الترفه دائمًا لحصل له خير كثير ثم إن البدن إذا لم يعود على مثل هذه الأمور، لم يكن عنده مناعة، فتجده يتألم من أي شيء من ذلك لكن إذا كان عنده مناعة لا يهتم به، ولهذا تجد أيدي العمال الآن أقوى بكثير من أيدي طلبة العلم... ما في مانع؛ لأنّها تعودت واعتادت على ذلك حتى أن بعض العمال وكما سبق لما كانوا يعانون الطين، واللبن، إذا مسستها كأنما مسست حجرًا من خشونتها، ولو أنه ضم أصابعه على يدك لآلمك كثيرًا؛ لأنه اعتاد على ذلك، فترفيه الإنسان نفسه لا شك أنه ضرر عليك كبير.

قوله: البذاذة من الإيمان، ما هي البذاذة؟

البذاذة عدم التنعم والترفه، وليست البذاءة، ففرق بين البذاءة وبين البذاذة، البذاءة غير محمودة، والبذاذة محمودة، وكذا لوصية أمير المؤمنين رضي الله عنه في كتابه المشهور وفيه: وإياكم وزي العجم، هذه الجملة تحذيرية؛ لأن العرب عندهم جمل تحذيرية وعندهم جمل إغرائية، فإن وردت في مطلوب فهي إغراء، وإن وردت في محذور فيه تحذير، فلو قلت لشخص: الأسد الأسد، هذا تحذير، ولو قلت: الغزال الغزال،هذا إغراء أليس كذلك،

---

(١) مسند علي بن الجعد ١/ ٥١٧ رقم ١٠٣٠ وعنه: الفروسية لابن القيم ص/ ٩، وأدب الإملاء والاستملاء ص/ ١١٨. وأصله في الصحيحين وغيرهما.

(٢) حسن: رواه النسائي (٥٠٥٨، ٥٢٣٩)، وأبو داود (٤١٦٠)، وأحمد (٢٣٤٤٩). وحسنه الألباني رحمه الله في الصحيحة تحت حديث رقم (٥٠٢).

طيب..أما أيا، فهي للتحذير، قال ابن مالك:

إياك والشر ونحوه نصب   محذر بما استتاره وجب

* **إياكم والتنعُّم يعني:** أحذركم والتنعم، هذه الواو للعطف، وقيل للمعية والمعنى: أحذركم مع التنعم، يعني أن تكونوا مع التنعم، التنعم باللباس، بالبدن، وكل شيء، والمراد بذلك كثرته؛ لأن التنعم بما أحل الله على وجهه لا إسراف فيه، من الأمور المحمودة بلا شك، ومن ترك التنعم بما أحل الله، من غير سبب شرعي فهو مذموم.

* **وقوله: زي العجم... ما هو زي العجم؟**

شكله، سواء كان ذلك في الحلية كشكل شعر الرأس أو اللحية أو ما أشبه ذلك، أو كان باللباس يعني بالتحلي باللباس فإننا منهيون عن زي العجم، وليس المراد بالعجم أمة إيران، بل المراد بالعجم كل من سوى العرب،فيدخل فيه الأوربيون والشرقيون في آسيا وغيرهم، كل من سوى العرب فهو عجم، لكن المسلم من العجم التحق بالعرب حكمًا لا نسبًا؛ لأنه اقتدى بمن بعث في الأميين رسولًا ﷺ .

* **«تمعددوا».. أيعني كبروا معدتكم؟ أو يعد نفسه؟**

لا، بمعنى معد بن عدنان هذا أعلى أجداد الرسول ﷺ بعد عدنان وهو لا شك من صميم العرب، فكأنه يقول: اتركوا العجم وعليكم بزي العرب، معد بن عدنان.

* **وأما «اخشوشنوا»:** فهو من الخشونة التي هي ضد الليونة، والتنعم، وكل هذه وصايا من عمر رضي الله عنه ..وصايا نافعة لو أن الناس عملوا بها، سواء من طلبة العلم، أو غير طلبة العلم، لكان في هذا خيرًا كثيرًا، لكن الآن في البلاد التي منَّ الله عليها بالأمن وطيب العيش وكثرة المال، صار الأمر بالعكس..بل عكس تمامًا، فالتنعم موجود،لا يريد الإنسان إلا أن يركب مركبًا مريحًا، ويبني قصرًا مشيدًا، ولا يناله شيء من الأذى، لا بردًا في برد، ولا حرًا في حر، ولا يريد أن يمسه شيء، متنعم تمامًا، ولهذا كثر فيهم الأوبئة، التي ترتب على عدم الحركة، مثل السمنة، والضغط، وضيق والتنفس، وعدم القدرة... يعني بعض الناس تجده شابًا، تصعد أنت وهو الجبل، لا ينتصف الجبل إلا وقد ثار نفسه حتى يكاد يثور بدنه، **وأنت مستريح لماذا؟**

لأنك تعودت، وهو لم يتعود مع أنه شاب، لكن لم يعود نفسه.

* «زي العجم» الآن موجود يترقبون كل موضة تخرج حتى يقلدوها، وقد أتعبت النساء رجالها في هذا الباب، تأتي صباح اليوم - صباح النهار - بلباس من أحسن الألبسة، نظيف، ساتر، واسع، ثم تنْزل إلى السوق آخر النهار وإذا بموضة جديدة، فتصيح أريد أن أشتري هذا الثوب، مع أنه أضيق من الأول، وأسوأ من الأول، وأردأ من الأول، لكن هذا شيء جديد، لابد من الإعجاب ولابد من أن تأخذ منه خصوصًا من منَّ الله عليها بالمال، كبعض المدرسات وغيرها، تجدها ما يهمها تشتري ما تريد... هذا غلط، ولهذا كثرت الآن بين أيدي النساء مجلات، تسمى «البوردا»..تأخذها المرأة وتنظر ما يروق لها، حتى وإن كان لباسًا لا يتناسب مع اللباس الشرعي، لكنه جديد، نسأل الله السلامة والهداية.

* تعليق أحد الطلبة على كلمة غشيان:

ج: وغَشيان: مغمى فهو مغشيًّا عليه، وأما غِشيان فمعناه الإتيان، قال -رحمه الله-: غشيته غشيانًا: أتاه، وهو الأولى في المعنى بالنسبة لعبارة الشيخ «وغشيان مواطن الريب أي إتيانُها».

❁ ❁ ❁

وعليه فَازْوَرَّ عن زيف الحضارة؛ فإنه يؤنث الطباع، ويرخي الأعصاب، ويقيدك بخيط الأوهام، ويصل المجدون لغايتهم وأنت لم تبرح مكانك، مشغول بالتأنق في ملبسك، وإن كان منها شيات ليس محرمة ولا مكروهة، لكن ليست سمتًا صالحًا، والحلية في الظاهر كاللباس، عنوان على انتماء الشخص بل تحديد له وهل اللباس إلا وسيلة من وسائل التعبير عن الذات؟

فكن حذرًا في لباسك؛ لأنه يعبِّر لغيرك عن تقويمك؛ في الانتماء، والتكوين، والذوق، ولهذا قيل: الحلية في الظاهر تدل على ميل في الباطن، والناس يصنفونك من لباسك، بل إن كيفية اللبس تعطي للناظر تصنيف اللابس من:

الرصانة والتعقل، أو التمشيخ والرهبنة، أو التصابي وحب الظهور، فخذ من اللباس ما يزينك ولا يشينك، ولا يجعل فيك مقالًا لقائل، ولا لمزًا للامز، وإذا تلاقى ملبسك وكيفية لبسك بما يلتقي مع شرف ما تحمله من العلم الشرعي؛ كان أدعى لتعظيمك والانتفاع بعلمك، بل بحسن نيتك يكون قربة، إنه وسيلة إلى هداية الخلق للحق.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[١]:

(أَحَبُّ إليَّ أن أنظر القارئ أبيض الثياب) أي: ليعظم في نفوس الناس، فيعظم في نفوسهم ما لديه من الحق.

والناس - كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض[٢].

فإياك ثم إياك من لباس التصابي، أما اللباس الإفرنجي، فغير خاف عليك حكمه، وليس معنى هذا أن تأتي بلباس مشوه، لكنه الاقتصاد في اللباس برسم الشرع، تحفه بالسمت الصالح والهدي الحسن.

وتطلب دلائل ذلك في كتب السنة والرقاق، لاسيما في «الجامع» للخطيب[٣].

ولا تستنكر هذه الإشارة، فما زال أهل العلم ينبهون على هذه في كتب الرقاق والآداب واللباس[٤]، والله أعلم.

الشرح

لما ذكر -وفقه الله- هجر الترفه أطنب في ذكر اللباس؛ لأن اللباس الظاهر عنوان على لباس الباطن ولهذا يمر بك رجلان، كلاهما عليه ثوب مثل الآخر، فتزدري أحدهما ولا تهتم بالآخر، تزدري عن لباسه ينبغي أن يكون على غير هذا الوجه إما بالكيفية، وإما في اللون، وإما في الخياطة، أو غير ذلك. والثاني لا ترفع رأسًا ولا ترى في لباسه بأسًا؛ لأن لكل قالب ما يناسبه، فمثلًا [العقال]: ليس العقال: هو في الأصل لا بأس به أليس كذلك؟ بلى..بل إن بعضهم يقول: إنه العمامة العصرية، العمامة في عهد رسول الله ﷺ كانت لفافة طويلة تطوى على الرأس، وتحتاج إلى تعب في طيها ونقضها، لكن هذا مطوي جاهز، ليس عليك إلا أن تضعه على رأسك فهو العمامة إلا أنها عمامة ميسرة؛ ولهذا كان بعض الناس فيما سبق يجعلون [العقل] يجعلونها بيضاء لتكون كالعمامة تمامًا، هذه العقل

---

(١) الإحكام للقرافي ص/ ٢٧١.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨/ ١٥٠.

(٣) الجامع ١/ ١٥٣- ١٥٥.

(٤) أدب الإملاء والاستملاء ص/ ١١٦ - ١١٩، اقتضاء الصراط المستقيم، مجموع الفتاوى ٢١/ ٥٣٩، وانظر الروح لابن القيم ص/ ٤٠ في آخر المسألة الخامسة: بيان مشاكلة الروح للبدن.

لا يلبسها كل الناس على حد سواء، يمر بك رجلان كلاهما قد يلبس العقال، أحدهما تزدريه، والثاني لا تَهتم به؛ لأن الأول لبس ما لا يلبسه مثله والثاني لبس ما يلبسه مثله، ولا تَهتم به وأشياء كثيرة، من هذا النوع، مر بك رجلان أحدهما ميكانيكي عليه بنطلون ومر بك عالم كبير عليه بنطلون في بلد لا يلبس العلماء مثله، تجد أنك تزدري الثاني، ولا تزدري الأول. فالمهم أن الشيخ -وفقه الله- يقول: إن بعض الناس يكون مشغولًا بالتأنق في الملابس حتى وإن كانت المباحة فلا ينبغي أن يكون أكبر همك الهندمة والتأنق في اللباس، والتأنق في لبس الغترة، ويجعله مرزاب، أو مرزابين أو ثلاثة حسب الواقع، لا تَهتم بها، ولكن لا نقول أيضًا بالعكس لا تَهتم بنفسك ولا بلباسك، وقد سبق أن التجمل في اللباس مما يحبه الله ﷻ وهذا عمر رضي الله عنه يقول: أحب إلى أن أنظر القارئ أبيض الثياب؛ لأنه جمال.

* **وقوله – الشيخ بكر أبي زيد وفقه الله –**: إنه يعبر لغيرك عن تقويمك في الانتماء والتكوين والذوق. وهذا أيضًا صحيح؛ لأن كل إنسان قد يزن من لاقاه بحسب ما عليه من اللباس، كما أنه يزنه بالنسبة لحركاته، وكلامه، وأقواله، وخفته، ورزانته، كذلك في اللباس، ثم حذر من لباس التصابي، نعم، قبل كلام شيخ الإسلام كلام مهم "الناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم، يتقاطرون عليه فما تلبث أن تسع الناس كلهم.

أما لباس التصابي فأن يلبس الشيخ الكبير سنًا، ما يلبسه الصبيان من رقيق الثياب وما أشبه ذلك، فهذا أيضًا من الأمور التي لا ينبغي للإنسان أن يمارسها، **أما اللباس الإفرنجي فغير خاف حكمه، ما هو حكمه؟**

ج: التحريم لقول النبي ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»[1].

س: لكن ما هو اللباس الإفرنجي؟

ج: **اللباس الإفرنجي**: هو المختص بهم بحيث لا يلبسه غيرهم وإذا رآه الرائي، قال: إن لابسه من الإفرنج، وأما ما كان شائعًا بين الناس من الإفرنج وغير الإفرنج، فهذا لا يكون منه التشبه لكن قد يحرم من جهة أخرى مثل أن يكون حريرًا بالنسبة للرجال، أو

(١) رواه أحمد (٥٠٩٣، ٥٠٩٤، ٥٦٣٤) وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٨٣١).

قصيرًا بالنسبة للنساء، أو ما أشبه ذلك، ثم لما خاف أن الذهن يمضي بعيدًا قال: «وليس معنى هذا أن نأتي بلباس مشوه» أي ليس معنى ما قاله: أن الإنسان يأتي باللباس المشوه، كما يفعله بعض الناس إظهارًا للزهد، تجد ثوبه انشق يقول: خله ما يهتم به، يتوسخ يقول: ما يهم... أنا مآلي للتراب والأرض ستأكل الكفن، ويتوسخ الجسد.. ما يهم، أو مثلًا يأتي وغترته هكذا...؟ لا يبالي.. الجانب هذا قليل والجانب هذا كثير ويمشي بدون مبالاة، هذا ما هو طيب، الإنسان ينبغي أن يعرف نفسه، ولا يأتي بما يكون هزو في حقه؛ لأنه مأمور بأن يدفع الغيبة عن نفسه..رحم الله امرًا كف الريبة عن نفسه. اهـ.

❁ ❁ ❁

١١ - الإعراض عن مجالس اللغو:

لا تطأ بساط من يفشون في ناديهم المنكر، ويهتكون أستار الأدب، متغابيًا عن ذلك، فإن فعلت ذلك، فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة.

الشرح

* أما قوله: «الإعراض عن مجالس اللغو» فاللغو نوعان:

لغو ليس فيه فائدة ولا مضرة، ولغو فيه مضرة.

فأما الأول: فلا ينبغي للعاقل أن يذهب وقته فيه؛ لأنه خسارة.

وأما الثاني: منكر يحرم عليه أن يمضي وقته فيه؛ لأنه منكر محرم.

والمؤلف كأنه حمل الترجمة على المعنى الثاني الذي هو اللغو المحرم، ولا شك أن المجالس التي تشتمل على المحرم لا يجوز للإنسان أن يجلس فيها؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فمن جلس مجلس منكر، وجب عليه أن ينهى عن هذا المنكر، فإن استقامت الحال فهذا المطلوب، وإن لم تستقم وأصروا على منكرهم، فالواجب أن ينصرف، خلافًا لما يتوهمه بعض العامة، يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «فإن لم يستطع فبقلبه»[1]، وأنا كاره لهذا المنكر في قلبي وهو جالس

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٤٩).

مع أهله، فيقال له: لو كنت كارهًا له حقًّا ما جلست معهم؛ لأن الإنسان لا يمكن أن يجلس مكروه إلا إذا كان مكرهًا، أما شيئًا تكرهه وتجلس باختيارك؛ فإن دعواك كراهته ليس بصحيحة. وقوله: فإن فعلت ذلك؛ فإن جنايتك على العلم وأهله عظيمة: أما كونه جناية على نفسه؛ فالأمر ظاهر يعني لو رأينا طالب علم، يجلس مجلس اللهو واللغو والمنكر فجنايته على نفسه واضحة وعظيمة، لكن كيف تكون جناية على العلم وأهله؛ لأن الناس يقولون: هؤلاء طلبة علم، هؤلاء العلماء، هذا نتيجة العلم، وما أشبه ذلك، فيكون قد جنى على نفسه وعلى غيره اهـ.

❁ ❁ ❁

١٢ - الإعراض عن الهيشات:

التصون من اللغظ والهيشات، فإن الغلط تحت اللغط وهذا ينافي الطلب.

الشرح

الهيشات: يعني بذلك هيشات الأسواق، كما جاء في الحديث التحذير منها؛ لأنَّها تشتمل على لغط، وسب، وشتم، وبعض طلبة العلم يقول: أنا أقعد في الأسواق من أجل أن أنظر ماذا يفعل الناس، وماذا يكون بينهم فيقول: هناك فرق بين الاختيار والممارسة، يعني لو ذكر ذلك أن في السوق الفلاني كذا وكذا، فهنا لا حرج عليك أن تذهب وتختبر بنفسك، لكن لو كان جلوسك في هذا السوق مستمرًّا تمارسه كل عصر تروح تجلس في هذا السوق، لكان هذا خطأً بالنسبة لك؛ لأنه إهانة لك ولطلب العلم، ولطلبة العلم عمومًا وللعلم الشرعي أيضًا اهـ.

❁ ❁ ❁

ومن لطيف ما يستحضر هنا ما ذكره صاحب الوسيط في أدباء شنقيط وعنه في معجم المعاجم: أنه وقع نزاع بين قبيلتين، فسعت بينهما قبيلة أخرى في الصلح، فتراضوا بحكم الشرع، وحكموا عالمًا، فاستظهر قتل أربعة من قبيلة بأربعة قتلوا من القبيلة الأخرى، فقال الشيخ باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه، فقال القاضي: إن هذا لا يوجد في كتاب. فقال: بل لم يخل منه كتاب. فقال القاضي: هذا القاموس- يعني أنه يدخل في عموم كتاب- فتناول صاحب الترجمة القاموس، وأول ما وقع نظره عليه: والهيشة: الفتنة، وأم حبين، وليس في

الهيشات قود، أي: في القتيل في الفتنة لا يدرى قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في ذلك الموقف الحرج اهـ. ملخصًا.

الشرح

واضح الكلام واضح، هؤلاء قبيلة جرى بينهم فتنة فقتل من إحدى القبيلتين أربعة رجال، مثل هذا لا قصاص فيه قال الشيخ واسمه باب بن أحمد: مثل هذا لا قصاص فيه قال القاضي الحاكم: إن هذا لا يوجد في كتاب، يعني أين الدليل على أنه لا قصاص فيه، لا يوجد في أي كتاب أنه لا قصاص في ذلك، فقال: بل لم يخل منه كتاب، من الذي قال: بل لم يخل منه كتاب؟ الشيخ باب بن أحمد، قال القاضي: هذا القاموس؛ لأنه يعني يدخل في عموم كتاب وهو قوله: لم يخل منه كتاب... باب ابن أحمد، كلمة كتاب عامة تشتمل كل كتب الفقه والعقيدة والنحو والأدب وكل شيء؛ لأن كتاب نكرة في سياق النفي فتكون للعموم، وهو يقول: لم يخلو منه كتاب فقال القاضي: هذا القاموس، القاضي الآن عنده ثقة بنفسه أنه لن يجد في القاموس حكم على هذه المسألة؛ لأن القاموس كتاب لغة، وليس كتاب فقه، فقال القاضي: أعطه إياه، يقول: تقول: لا يخل منه كتاب، هذا القاموس أعطه إياه، يقول: فتناول صاحب الترجمة القاموس وأول ما وقع نظره عليه «والهيشة الفتنة، وأم حُبين وليس في الهيشات قود» وقصة الجماعة: الهيشة الفتنة وأم حبين وليس في الهيشات قود، فأخذ من كتاب القاموس أن حكم القاضي بأنه يقتل من القبيلة أربعة خطأ، هذا معنى القصة، فتعجب الناس أي في القتيل في الفتنة لا يدرى قاتله، فتعجب الناس من مثل هذا الاستحضار في هذا الموقف الحرج، انتهى ملخصه، الهيشة الفتنة وأم حبين، من **يعرف من أم حبين؟**

هي دويبة، لكنها تشبه الخنفسة، ودويبة ليست من الدواب القوية، لكنها على كل حال دويبة من الحشرات. اهـ.

❁ ❁ ❁

١٣ - التحلي بالرفق:

التزم الرفق في القول؛ مجتنبًا الكلمة الجافية؛ فإن الخطاب اللين يتألف النفوس الناشزة، وأدلة الكتاب والسنة في هذا متكاثرة.

الشرح

هذا من أهم الأخلاق لطالب العلم، سواء كان طالبًا أم مطلوبًا أي معلمًا، فالرفق كما قال النبي ﷺ: «**إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله**»[1]، «**وما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه**»[2]، لكن لابد أن يكون الإنسان رفيقًا في غير ضعف، أما أن يكون رفيقًا يمتهن ولا يؤخذ بقوله ولا يهتم به فهذا خلاف الحزم، لكن يكون رفيقًا في مواضع الرفق، وعنيفًا في مواضع العنف، ولا أحد أرحم من الله ﷻ، ومع ذلك يقول في الزاني والزانية: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢] فلكل مقام مقال، لو أن الإنسان عامل ابنه بالرفق في كل شيء مما ينبغي فيه الحزم ما استطاع أن يربيه، لو كان ابنه مثلًا كسر الزجاج، وفتح الأبواب، وشق الثياب، ثم جاء الأب ووجده على هذا الحال، قال: يا وليدي ما يصلح هذا... إذا شققت يخرب عليك، وإذا كسرته يروح علينا، وقام يكلمه هذا الكلام، والولد عفريت من العفاريت، أيكفي هذا أم لا يكفي؟! ما يكفي، كل مقام له مقال: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر**»[3]، لكن إذا دار الأمر بين الرفق والعنف فما الأفضل؟ الرفق. فإن تعين العنف، صار هو الحكمة.

* **يقول**: «**مجتنبًا الكلمات الجافية**»: هذا صحيح تجنب الكلمات الجافية والفعلة الجافية أيضًا.

* وقوله: «**الخطاب اللين يتألف النفوس الناشزة**»: عندنا كلمة يقولها العامة لا أدري هل توافقون عليها أم لا؟

الكلام اللين يأخذ بالحق البين؛ يغلب الحق البين، لابد أن نفهم المراد، يعني أن تلين الكلام للخصم ولو كان الحق معه فإنه يتنازل عن حقه، وليس معناه أن الكلام اللين يبطل الحق لا، «يغلب الحق البين» أي: فيما جاء به الخصم؛ لأنه إذا ألنت له الكلام، لان لك، وهذا شيء مشاهد، إذا نازعت أحدًا فسيشتد عليك ويزيد، فإذا ألنت له القول، فإنه يقرب

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٢٤، ٦٢٥٦، ٦٣٩٥، ٦٩٢٧)، ومسلم (٢١٦٥).

(٢) صحيح: رواه مسلم (٢٥٩٤).

(٣) رواه الترمذي (٤٠٧)، وأبو داود (٤٩٤، ٤٩٥)، وأحمد (٦٧١٧، ١٤٩١٥) من حديث جملة من الصحابة متفرقين، وحسن الألباني رحمه الله بعض طرقه وصحح بعضها، وانظر كمثال: صحيح الجامع (٤٠٢٥).

منك، ولهذا قال الله تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[طه: ٤٤].

❁ ❁ ❁

١٤ - التأمل:

التحلي بالتأمل فإن من تأمل أدرك، وقيل: تأمل تدرك، وعليه فتأمل عند التكلم بماذا تتكلم، وما هي عائدته، وتحرز في العبارة والأداء دون تعنت أو تحذلق، وتأمل عند المذاكرة كيف تختار القالب المناسب،وتأمل عند سؤال السائل كيف تتفهم السؤال على وجهه حتى لا يحتمل وجهين وهكذا.

الشرح

وبقي رابع تأمل عند الجواب كيف يكون جوابك،هل هو واضح لا يحصل فيه لبس أو مبهم؟ وهل هو مفصل أو مجمل؟

حسب ما تقتضيه الحال، المهم: التأمل يريد بذلك التأني، وألا تتكلم حتى تعرف ماذا تتكلم به وماذا تكون النتيجة.

ولهذا يقولون: لا تضع قدمك إلا حيث علمت السلامة يعني: الإنسان يخطو- يمشي- لا يضع قدمه في شيء لا يدري أحفرة هو أم شوك أم حصى أم ثلج؟ حتى يعرف أين يضع قدمه؛ فالتأمل هذا مهم، ولا تتعجل إلا إذا دعت الحاجة إلى ذلك، ولهذا قال الشاعر الناظم:

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته ... وقد يكون مع المستعجل الزلل

وربما فات قومًا جل أمرهـم ... مع التأنّي وكان الرأي لو عجلوا

فإذا دار الأمر بين أن أتأنَّى وأصبر، أو أتعجل وأقدم فأيهما أقدم؟

الأول؛ لأن القولة والفعلة، إذا خرجت منك لا يمكن ردها، لكن ما دمت لم تقل ولم تفعل فأنت حر تملك، فتأمل بماذا تتكلم به، وما هو فائدته. فائدة الكلام؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت»[١] وتحرز في العبارة والأداء،

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٠٨، ٦٠١٩، ٦١٣٥، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧، ٤٨).

وهذا أيضًا من أهم ما يكون، يعني لا تطلق العبارة على وجهة تؤخذ عليك، بل تحرز إما بقيود تضيفها إلى الإطلاق وإما بتخصيص تضيفه إلى العموم، وإما بشرط تقول: إن كان كذا، أو ما أشبه ذلك، ولكن أقول دون تعنت أو تحذلق: يعني دون أن تشق على نفسك، مأخوذ من العنت أو تحذلق: يعني تدعي أنك حاذق، وهذه تحذلق من الحذق مع زيادة اللام، وإلا فالأصل أن اللام هنا ليست موجودة مما اشتق منه،لو تأمل عند المذاكرة كيف يختار القالب المناسب للمعنى المراد، وتأمل عند سؤال السائل كيف تفهم السؤال على وجه حتى لا يحتمل وجهين، وكذلك أيضًا في الجواب وهو أهم؛ لأن السؤال يسهل على المسؤل أن يستفهم من السائل- ماذا يريد؟ أريد كذا وكذا – فتبين الأمر لكن الجواب إذا وقع مجملًا؛ فإنه يبقى عند الناس على تفاسير متعددة كل إنسان يفسر هذا الكلام بما يريد ويناسبه.

❁ ❁ ❁

١٥ – الثبات والتثبت:

تحل بالثبات والتثبت لاسيما في الملمات والمهمات ومنه: الصبر، والثبات في التلقي، وطي الساعات في الطلب على الأشياخ فإن «من ثبت نبت» .

الشرح

هذا أهم ما يكون في هذه الآداب هو التثبت في ما ينقل من الأخبار، والتثبت فيما يصدر منك من الأحكام، فالأخبار إذا نقلت فلا بد أن نتثبت أولًا هل صحت عمن نقلت إليه أو لا، ثم إذا صحت، فلا تحكم حتى.

تثبت في الحكم، ربما يكون الخبر الذي سمعته -ربما يكون- مبني على أصل تجهله أنت، فتحكم بأنه خطأ، والواقع أنه ليس بخطأ، ولكن كيف العمل في هذه الحال؟.

العلاج: أن نتصل بمن نسب إليه الخبر، ونقول: نقل عنك كذا وكذا، فهل هذا صحيح؟ ثم تناقشه، فقد يكون استنكارك ونفور نفسك منه أول وهلة سمعته، لأنك لا تدري ما سبب هذا المنقول، ويقال: إذا علم السبب بطل العجب، فلابد أولًا من التثبت، ثم بعد ذلك تتصل بمن نقل إليه وتسأله هل صح ذلك أولًا؟ ثم تناقشه؛ فإما أن يكون هو على حق وصواب فترجع إليه أو يكون الصواب معك فيرجع إليه.

الثبات والتثبت: هذان شيئان متفقان لفظًا لكن مختلفان معنى، فالثبات معناه: الصبر

والمصابرة، وأن لا يمل ولا يضجر وأن لا يأخذ من كل كتاب نتفة، أو من كل فن قطعة، ثم يترك لأن هذا هو الذي يضر الطالب؛ يقطع عليه الأيام بلا فائدة إذا لم يثبت على شيء، تجده مرة في الآجرومية، ومرة في الألفية، ثم في المصطلح؛ مرة في النخبة، ومرة في ألفية العراقي، ومرة في زاد المستقنع، ومرة في عمدة الفقه، ومرة في المغني، ومرة في الشرح المهذب يطامر (يقفز) في كل كتاب وهلم جرا، هذا في الغالب أنه لا يحصل العلم، ولو حصل العلم فإنما يحصل مسائل لا أصولًا، وتحصيل المسائل كالذي يلتقط الجراد واحدة بعد أخرى، لكن التأصيل والرسوخ والثبات؛ هذا هو المهم، اثبت بالنسبة للكتب التي تقرأ أو تراجع، واثبت بالنسبة للشيوخ أيضًا الذين تتلقى عنهم، لا تكن ذواقًا كل أسبوع عند شيخ، كل شهر عند شيخ، قرر أولًا من ستتلقى العلم عندهم، ثم إذا قررت ذلك فاثبت ولا تجعل كل شهر أو كل أسبوع لك شيخًا... ولا فرق بين أن تجعل شيخًا في الفقه، وتستمر معه في الفقه، وشيخًا آخر في النحو فتستمر معه في النحو، وشيخًا آخر في العقيدة والتوحيد وتستمر معه المهم أن تستمر لا أن تتذوق وتكون كالرجل المطلاق، كلما تزوج امرأة وجلس عندها سبعة أيام طلقها، وذهب يطلب أخرى هذا يبقى طوال دهره لم يتمتع بزوجة، ولم يحصل له أولاد، هذا في الغالب، أيضا التثبت كما قلنا قبل قليل أيضا من أهم الأمور إن لم يكن أهمها: التثبت فيما ينقل عن الغير أمر مهم؛ لأن الناقلين تارة يكون لهم إرادات سيئة؛ ينقلون ما يشوه سمعة المنقول عنه قصدًا وعمدًا، وتارة لا يكون لهم إرادات سيئة لكنهم يفهمون الشيء على خلاف معناه الذي أريد به، ولهذا يجب التثبت فإذا ثبت بالسند ما نقل فحينئذ يأتي دور المناقشة مع من؟ مع صاحبه الذي نقل عنه قبل أن يحكم على هذا القول بأنه خطأ أو غير خطأ وذلك أنه ربما يظهر لك بالمناقشة أن الصواب مع هذا الذي نقل عنه الكلام، وإلا من المعلوم أن الإنسان لو حكم على الشيء بمجرد السماع منه لأول وهلة، لكان ينقل عنه أشياء تنفر منها النفوس عن بعض العلماء الذين يعتبرون منارات للعلم، لكن عندما يتثبت ويتأمل، ويتصل بهذا الشيخ مثلًا يتبين له الأمر، ولهذا قال في الصبر والثبات والتلقي...

❁ ❁ ❁

كيفية الطَّلَب والتَّلَقِّي

١٦ - كيفية الطلب ومراتبه:

من لم يتقن الأصول، حرم الوصول[١]، ومن رام العلم جملة، ذهب عنه جملة[٢]، وقيل أيضًا: ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم[٣]، وعليه فلابد من التأصيل والتأسيس لكل فن تطلبه، بضبط أصله ومختصره على شيخ متقن، لا بالتحصيل الذاتي وحده، وآخذًا الطلب بالتدرج، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنـزِيلاً﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، فأمامك أمور لابد من مراعاتها في كل فن تطلبه.

الشرح

كيفية الطلب، وهذه أيضًا مهمة، ليبني الإنسان طلبه على أصول ولا يتخبط خبط عشواء، يقول: «من لم يتقن الأصول، حرم الوصول» وقيل بعبارة أخرى: من فاته الأصول حرم الوصول؛ لأن الأصول هي العلم، والمسائل فروع كأصل الشجرة وأغصانها، إذا لم تكن الأغصان على أصل جيد فإنّها تذبل وتهلك.

فلابد من أن يبني الإنسان علمه على أصول، فما هي الأصول؟ هل هي الأدلة الصحيحة؟ أو هي القواعد والضوابط؟ أو هذا وهذا؟

الثاني هو المراد، تبنى على أصول من الكتاب والسنة، وتبنى على قواعد وضوابط مأخوذة بالتتبع والاستقراء من الكتاب والسنة، تُرجع إليها أحكام الكتاب والسنة، وهذه من أهم ما يكون لطالب العلم.

مثلاً: «المشقة تجلب التيسير»، هذا أصل من الأصول مأخوذ من الكتاب والسنة ، من

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص/ ١٤٤.
(٢) فضل العلم لأرسلان ص/ ١٤٤.
(٣) شرح الإحياء ١/ ٣٣٤.

الكتاب من قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[الحج: ٧٨] . ومن السنة: قال النبي ﷺ لعمران بن حصين: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[١] .

وقال: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**»[٢] . هذا أصل لو جاءتك ألف مسألة بصور متنوعة؛ لأمكنك أن تحكم على هذا المسائل بناء على هذا الأصل، لكن لو لم يكن عندك هذا الأصل وتأتيك مسألتان أشكل عليك الأمر.

كذلك أيضًا يقول: «**من رام العلم جملة، ذهب عنه جملة**» هذا أيضًا له وجه صحيح ، إذا أراد الإنسان أن يأخذ العلم جميعًا فإنه يفوته العلم جميعًا؛ لأن هذا لا يمكن، لابد أن تأخذ العلم شيئًا فشيئًا، كسلم تصعد عليه من الأرض إلى السطح، ليس العلم مأكولا كتبت فيه العلوم، فتأكله وتقول: - خلاص- هضمت العلم... لا؛ العلم يحتاج إلى مرونة، وصبر، وثبات، وتدرج.

وقيل أيضًا: «ازدحام العلم في السمع مضلة الفهم» يعني كثرة ما تسمع من العلوم توجب أن تضل في فهمك. وهذا أيضًا ربما يكون صحيحًا، أن الإنسان إذا ملأ سمعه أو ملأ بصره بما يقرأ ربما تزدحم العلوم عليه ، ثم تشتبك عليه ، ويعجز عن التخلص منها.

* وقال: «**وعليه فلابد من التأصيل والتأسيس بكل فن تطلبه؛ تضبط أصله ومختصره على شيخ متقن**»: لابد من هذا «على شيخ متقن» ، وليس على شيخ أعلى منك بقليل؛ لأن بعض الناس إذا رأى طالبًا من الطلبة يتميز عنه بشيء من التميز جعله شيخًا، وعنده شيوخ أعلم من هذا بكثير، لكن يجعل هذا الصغير شيخه؛ لأنه بزه في شيء من مسائل العلم، وهذا غير صحيح، بل اختر المشايخ ذوي الإتقان، وأيضًا: نضيف إلى الإتقان وصفًا آخر وهو الأمانة؛ لأن الإتقان قوة، والقوة لابد فيها من أمانة: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾[القصص: ١٠٦] .

ربما يكون العالم عنده إتقان، وعنده سعة علم وعنده قدرة على التفريع، وعلى التقسيم، وعلى كل شيء، ولكنه ليس عنده أمانة، فربما أضلك من حيث لا تشعر.

(١) صحيح: رواه البخاري (١١١٧).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧).

* «لا بالتحصيل الذاتِي وحده» يعني لا تأخذ العلم بالتحصيل الذاتِي، أن تقرأ الكتب فقط ، دون أن يكون لك شيخ معتمد؛ ولهذا قيل: من كان دليله كتابه، فخطؤه أكثر من صوابه. أو غلب خطؤه صوابه، هذا هو الأصل، الأصل: أن من اعتمد على التحصيل الذاتي، وعلى مراجعة الكتب، الغالب أن يضل؛ لأنه يجد بحرًا لا ساحل له، ويجد عمقًا لا يستطيع التخلص فيه، أما من أخذ عن عالم، عن شيخ فإنه يستفيد فائدتين عظيمتين:

الفائدة الأولى: قصر المدة. الفائدة الثانية: قلة التكلف.

وفيه فائدة الثالثة: أن ذلك أحرى بالصواب؛ لأن هذا الشيخ عالم، متعلم، ومرجع، ومفهم، فيعطيك الشيء ناضجًا، لكنه يمرنك- إذا كان عنده شيء من الأمانة - على المراجعة والمطالعة. أما من اعتمد على الكتب فإنه لابد أن يكرس جهوده ليلاً ونهارًا، ثم إذا طالع الكتب التي يقارن فيها بين أقوال العلماء، فسيقت أدلة هؤلاء، وسيقت أدلة هؤلاء، من يدله على أن ذلك أصوب؟ فيبقى متحيرًا؛ ولهذا نرى أن ابن القيم -رحمه الله- عندما يناقش قولين لأهل العلم سواء في « زاد المعاد» أو في «إعلام الموقعين» إذا ساق أدلة هذا القول وعليه؛ نقول: هذا هو القول الصواب، ولا يجوز العدول عنه بأي حال من الأحوال، ثم ينقض ويأتي بالقول المقابل، ويذكر أدلته وعليه؛ فنقول: هذا هو القول الصواب. الأولى ما عنده علم، لكن لابد من أن يكون قراءتك على شيخ متقن أمين، قال: «وأخذ الطلب بالتدرج» ثم استدل بالآيات: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾، قوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢]... المعروف أن «نزل» لما ينْزل شيئًا فشيئًا، وأن «أنزل» لما نزل جملة واحدة، فلماذا قال الذين كفروا: لولا نزل، ولم يقولوا: لولا أنزل عليه القرآن جملة واحدة، نقول: قالوا ذلك باعتبار واقع القران أنه منَزل شيئًا فشيئًا، وقوله: ﴿كذلك﴾ الجار والمجرور متعلق بمحذوف والتقدير: أنزلناه كذلك، وجملة ﴿لنثبت﴾ تعليل متعلق بالفعل المحذوف وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[البقرة: ١٢١] .

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾: يعني أعطيناهم وأنزلناه إليهم يتلونه حق تلاوته والتلاوة هنا تشمل التلاوة اللفظية، والتلاوة الحكمية، فأما التلاوة اللفظية، فإن يقرءوه بألسنتهم،

وأما التلاوة الحكمية فأن يصدقوا بأخباره، ويلتزموا بأحكامه، وقول حق تلاوته من باب إضافة الصفة إلى الموصوف... يعني التلاوة الحقة الصريحة.

س: ما هو المتعلق بـ«أنزلناه»، أو «نزلناه»؟

ج: أنزلناه أو نزلناه متعلق بفعل محذوف.

س: بالنسبة للعلم والكتاب ما هي الأصول التي يجب أن تكون في العالم أو في الكتاب التي على طالب العلم أن يرجع إليها؟

ج: «يُمكن» قصدت أن أمامك أمور لا بد منها... حفظ مختصر، أو ضبطه على شيخ متقن، عدم الاشتغال بالمطولات.

❁ ❁ ❁

فأمامك أمور لابد من مراعاتِها في كل فن تطلبه:

١ - حفظ مختصر فيه.

٢ - ضبطه على شيخ متقن.

٣- عدم الاشتغال بالمطولات، وتفاريق المصنفات قبل الضبط لأصله.

٤ - لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر.

٥ - اقتناص الفوائد والضوابط العلمية.

٦- جمع النفس للطلب والترقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل ، والبلوغ إلى ما فوقه، حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة.

الشرح

هذه أمور لا بد من مراعاتِها كما قال الشيخ:

* أولاً: «حفظ مختصر فيه»: فمثلاً: إذا كنت تطلب النحو، فاحفظ مختصرًا فيه، إن كنت مبتدئًا، فلا أرى أحسن من متن الآجرومية؛ لأنه واضح جامع ، وفيه بركة، ثم متن الألفية، ألفية ابن مالك؛ لأنَّها خلاصة علم النحو كما قال هو نفسه:

أحصى من الكافية الخلاصة   كما اقتضى فنًّا بلا خصاصة

وفي الفقه: احفظ زاد المستقنع؛ لأن هذا الكتاب مخدوم في الشروح والحواشي والتدريس، وإن كان بعض المتون الأخرى أحسن منه من وجه، لكن هو أحسن منها من وجه آخر من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه

في الحديث: متن عمدة الأحكام، وإن ترقيت فبلوغ المرام، وإذا كنت تقول: إما هذا وإما هذا، فبلوغ المرام أحسن؛ لأنه أكثر، ولأن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - يبين درجة الحديث، وهذا مفقود بالنسبة لعمدة الأحكام، وإن كان درجة الحديث فيها معروفة؛ لأنه لم يضع في هذا الكتاب إلا ما اتفق عليه الشيخان- البخاري ومسلم -.

في التوحيد: من أحسن ما قرأنا «كتاب التوحيد» لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقد يسر الله في الآونة الأخيرة من خرج أحاديثه، وبيَّن ما في بعضها من ضعف، والحق أحق أن يتبع.

في الأسماء والصفات: من أحسن ما ألف وما قرأت «العقيدة الواسطية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، فهي كتاب جامع مبارك مفيد، وهلم جرا... خذ من كل فن تريد طلبه كتابًا مختصرًا فيه واحفظه.

ثانيًا: «ضبطه على شيخ متقن»: ولو قال: ضبطه وشرحه لكان أولى؛ لأن المقصود ضبطه وتحقيق ألفاظه، وما كان زائدًا أو ناقصًا، وكذلك الشرح. يستشرح هذا المتن على شيخ متقن، وكما قلنا فيما سبق: أنه يجب أن يضاف إلى الإتقان صفة أخرى ، وهي الأمانة؛ لأن هذه من أهم ما يكون وأنتم تعلمون أن ذكر القوة والأمانة في القرآن متعدد؛ لأن عليهما مدار العمل، فقد قال العفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين. وقال صاحب مدين، بل قالت ابنته: يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين، وقال تعالى في وصف جبريل: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢٠] فعلى هذين الوصفين القوة والأمانة تبنى الأعمال كلها فلابد من شيخ متقن ويكون أمينًا.

* الثالث: «عدم الاشتغال بالمطولات»: وهذا - أعني الفقرة الثالثة- مهمة جدًا لطالب العلم، أن يتقن المختصرات أولاً، حتى ترسخ في ذهنه، ثم بعد ذلك يفيض إلى المطولات، لكن بعض الطلبة قد يغرب، فيطالع المطولات ثم إذا جلس مجلسًا قال: قال

صاحب المغني، قال صاحب المجموع، قال صاحب الإنصاف، قال صاحب الحاوي، ليظهر أنه واسع الاطلاع، وهذا خطأ، نحن نقول: ابدأ بالمختصرات أولًا، حتى ترسخ العلوم في ذهنك، ثم إذا من الله عليك فاشتغل بالمطولات، ولهذا قال: عدم الاشتغال بالمطولات، وتفاريق المصنفات، قبل الضبط والإتقان لأصله- أي لأصل ذلك العلم- وانتبهوا لهذه المسألة، وإياكم أن تشغلوا أنفسكم بالمطولات قبل إتقان ما دونه وقياس ذلك في الأمر المحسوس، أن ينزل من لم يتعلم السباحة البحر العميق، فإنه لا يستطيع أن يتخلص فضلاً عن أن يتقن.

* الرابع: «لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب»: فهذا من باب الضجر، فهذه أيضًا آفة عظيمة، يعني التنقل من مختصر إلى آخر، أو كتاب فوق المختصر إلى آخر هذه آفة... آفة عظيمة، تقطع على الطالب طلبه، وتضيع على الطالب أوقاته، كل يوم كتاب، بل كل ساعة له كتاب، وهذا خطأ، إذا عزمت أن يكون قرارك الكتاب الفلاني فاستمر، لا تقل: اقرأ فصلاً في هذا الكتاب ثم تقول: أنتقل إلى آخر، فإن هذا مضيعة للوقت، ويقول: «بلا موجب»، أما إذا كان هناك موجب، كأن لم تجد أحدًا يدرسك في هذا المختصر، ورأيت شيخًا موثوقًا بإتقانه وأمانته يدرس مختصرًا آخر فهذا موجب، لا حرج عليك أن تنتقل من هذا إلى هذا.

* خامسًا: «اقتناص الفوائد والضوابط العلمية»: وهذا أيضًا من أهم ما يكون.

الفوائد التي لا تكاد تطرق على الذهن، أو التي يندر ذكرها أو التعرض لها، أو التي تكون مستجدة، تحتاج إلى بيان الحكم فيها ، هذه اقتنصها ، واضبطها بالكتابة؛ فقيدها، لا تقل هذا أمر معلوم عندي ولا حاجة أن أقيدها -إن شاء الله - أنا ما أنساها، فإنك سرعان ما تنسى، وكم من فائدة تمر بالإنسان، فيقول: هذه سهلة ما تحتاج إلى قيد، ثم بعد مدة وجيزة يتذكرها، ولا يجدها، لذلك احرص على اقتناص الفوائد، التي يندر وقوعها، أو التي يتجدد وقوعها.

أما الضوابط فناهيك بها، أيضًا احرص على الاهتمام بالضوابط، ومن الضوابط ما يذكره الفقهاء تعليلاً للأحكام فإن كل التعليلات للأحكام الفقهية تعتبر ضوابط؛ لأنها تنبني عليها الأحكام، فهذه أيضًا احتفظ بها، ولولا أني سمعت أن بعض الإخوان الآن

يتتبع هذه الضوابط في الروض المربع ويحررها لقلت: إن من الحسن أن يكلف طائفة منكم بالقيام بهذا العمل، تتبع الروض المربع من أوله إلى آخره، كلما ذكر علة يقيدها؛ لأن كل علة ينبني عليها مسائل كثيرة، إذ إن العلة ضابط يدخل تحته جزئيات كثيرة . مثلاً إذا قال: إذا شك في طهارة الماء من نجاسته، فإنه يبني على اليقين، هذه على كل حال تعتبر حكمًا وتعتبر ضابطًا أيضًا يعلل؛ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان، فإذا شك في نجاسة طاهر فهو طاهر، أو في طهارة نجس فهو نجس؛ لأن الأصل بقاء ما كان على ما كان.

وهذا لو أن الإنسان كلما مر عليه مثل هذه التعليلات حررها وضبطها ثم حاول في المستقبل أن يبني عليها مسائل جزئية، لكان في هذا فائدة كبيرة له ولغيره.

* سادسًا: «**جمع النفس للطلب والتلقي فيه، والاهتمام والتحرق للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة**»: هذا أيضًا مهم، أن الإنسان يجمع نفسه للطلب فلا يشتتها يمينًا ويسارًا، يوم يطلب العلم، ويوم يفكر،ويقول: والله أفتح مكتبة الناس رزقهم على الله، ويوم ثاني: أروح إلى مبيع الخضار، هذا ليس بصحيح.

اجمع النفس على الطلب ما دمت مقتنعًا بأن هذا منهجك وسبيلك، فاجمع نفسك عليه، وأيضًا اجمع نفسك على الترقي منه، لا تبقى ساكنًا ترق، فكر فيما وصل إليه علمك من المسائل، والدلائل حتى تترقى شيئًا فشيئًا، واستعن بمن تثق به من زملائك وإخوانك فيما إذا احتاجت المسألة إلى استعانة، ولا تستح أن تقول: يا فلان ساعدني على تحقيق هذه المسألة، بمراجعة الكتب الفلانية، لا.. الحياء لا ينال العلم به أحد، فلا ينال العلم مستح ولا متكبر.

* وقوله: «**الاهتمام والتجرد للتحصيل والبلوغ إلى ما فوقه...**»: معناه أن الإنسان يكون عنده شغف شديد ، تتحرق نفسه لينال ما فوق المنْزلة التي أعطيها ، حتى تفيض إلى المطولات بسابلة موثقة.

❁ ❁ ❁

وكان من رأي ابن العربي المالكي[1]: أن لا يخلط الطالب في التعليم بين علمين، وأن

(١) تراجم الرجال للخضر حسين ص/ ١٠٥ وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٣/ ٥٤- ٥٥ مهم.

يقدم تعليم العربية والشعر والحساب، ثم ينتقل منه إلى القرآن.

الشرح

أن لا يخلط الطالب في التعليم بين علمين، وهذا ليس على إطلاقه، بل يجب أن يقيد، ولعل ابن خلدون يقيد، فإن لم يفعل بينا ما يحتاج إلى قيد.

❁ ❁ ❁

لكن تعقبه ابن خلدون بأن العوائد لا تساعد على هذا، وأن المقدم هو دراسة القرآن الكريم وحفظه؛ لأن الولد ما دام في الحجر؛ ينقاد للحكم، فإذا تجاوز البلوغ صعب جبره، أما الخلط بين علمين فأكثر، فهذا يختلف باختلاف المتعلمين في الفهم والنشاط.

الشرح

* **قوله رحمه الله: «إنك تقدم تعليم العربية»**: هذا قد يكون مُسَلَّمًا بالنسبة لمن لا ينطق العربية، وذلك لأنه لا يمكن أن يعرف القرآن الكريم إلا إذا تعلم العربية، لكن من كان عربيًا، فليس من المسلَّم أن نقول: تعلم العربية، بمعنى توسع فيها.

* **«والشعر والحساب»**: كيف يقدم الشعر والحساب على القرآن، فهذا ليس بمسلم.

* **كذلك أيضًا قوله: «لا يجمع بين علمين»**: فيقال: إن الناس يختلفون في الفهم والاستعداد، فقد يكون سهلاً على المرء أن يجمع بين علمين، وقد يكون من الصعب أن يجمع بين علمين، وكل إنسان طبيب نفسه، فإذا رأى من نفسه قدرة وقوة، فلا بأس أن يجمع بين علمين، ولكن ليحذر النشاط، أو نشاط البدء، لأن نشاط البدء بِمنْزلة السفر؛ لأن بعض الناس أول ما يبدأ يرى نفسه نشيطًا ، نشيطًا ، نشيطًا -ثلاث مرات- فيريد أن يلتهم العلوم جميعًا، فإذا به ينكص على الوراء؛ لأنه كبر اللقمة، ومن كبر اللقمة فلابد أن يغص، حتى لو وجدت من نفسك قدرة لا تكلفها ما لا تطيق، اتزن حتى تستمر.

❁ ❁ ❁

وكان من أهل العلم من يدرس الفقه الحنبلي في «زاد المستقنع» للمبتدئين، و«المقنع» لمن بعدهم للخلاف المذهبي، ثم «المغني» للخلاف العالي، ولا يسمح للطبقة الأولى أن تجلس في درس الثانية... وهكذا؛ دفعًا للتشويش.

الشرح

نعم صحيح، من أهل العلم من يفعل ذلك، إذا كان يدرس في الفقه الحنبلي، يدرس في زاد المستقنع؛ لأن زاد المستقنع اختصار المقنع، ثم ينتقل إلى تدريس المقنع؛ لأن المقنع فيه ذكر الروايتين ، والوجهين ، والقولين في المذهب بدون تعليل، ولا دليل ، ليطلع الطالب على أن هناك خلاف في المسائل.

وبعضهم ينتقل من بعد المقنع إلى الكافي قبل المغني، لأن الكافي يذكر فيه الخلاف المذهبي مع الأدلة، ولهذا يمتاز على المقنع، فهو يذكر الخلاف والأدلة سواء كانت الأدلة السمعية من الكتاب أو السنة، أو الإجماع، أو القياس الصحيح، أو عقلية من النظر، ثم بعد ذلك المغني؛ لأن الخلاف في المغني ليس مع أصحاب الإمام أحمد، بل مع عامة المذاهب ، فيرتقي من هذا إلى هذا.

الموفق -رحمه الله- سلك هذا التدرج، لكن له كتاب قبل المقنع، سلم للمقنع وهو «عمدة الفقه»، عمدة الفقه للموفق كتاب مختصر أقل بكثير من زاد المستقنع، من حيث المسائل، لكنها تشتمل على بعض الدلائل، يعني ليست كزاد المستقنع، بل فيها أدلة.

والحاصل: أن المعلم يرتقي بالطلبة درجة فدرجة ، حتى يتقنوا ما تعلموه.

* **قال: «ولا يسمح للطبقة الأولى أن تجلس في دروس الثانية وهكذا دفعًا للتشويش»**

لكني أنا في النقطة الأخيرة لا أستطيع، ولهذا أجمع بين الصغير والكبير فيما ندرسه من الكتب، ونقول: هذا الصغير الآن يزحف، ثم يبدأ يمشي شيئًا فشيئًا حتى تقله رجلاه، وسبب ذلك أن الطلاب عندنا يتواردون شيئًا فشيئًا، ولو راعينا الوافدين، لأهملنا حق السابقين.

لو قلنا مثلاً: إذا جاء ناس جدد رجعنا في زاد المستقنع، إلى باب الطهارة، ووصلنا مثلاً إلى كتاب الصلاة، في هذه الفترة جاء العام الثاني ووفد جماعة ماذا نعمل؟! رجعنا لباب الطهارة، كان مني هذا ظلمًا للسابقين، ومعناه سنبقى دائم الأبد من أول الكتاب إلى الطهارة هذا ما يستقيم.

❁ ❁ ❁

واعلم أن ذكر المختصرات فالمطولات التي يؤسس عليها الطلب والتلقي لدى المشايخ تختلف غالبًا من قطر إلى قطر باختلاف المذاهب، وما نشأ عليه علماء ذلك القطر من إتقان هذا المختصر والتمرس فيه دون غيره.

الشرح

الفقرة هذه معناها صحيح، مثلاً: قد يكون الإنسان في بلد ينتحلون مذهب الشافعي، سنجد العلماء يبنون أصول تدريسهم على كتب المذهب الشافعي، في بلد ينتهج فيه أهله مذهب الإمام أحمد، تجد العلماء يدرسون كتب مذهب الإمام أحمد.. وهلم جرا.

❁ ❁ ❁

والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر باختلاف القرائح والفهوم، وقوة الاستعداد وضعفه، وبرودة الذهن وتوقده.

الشرح

وهناك أسباب أخرى أيضًا وهي قوة الاستعداد للعلم وتلقيه وضعف ذلك، وكذلك كثرة المشاغل وقلتها، المهم أن الاختلاف وارد في كل شيء لكن ما ذكره أولاً مبنيًا على الغالب وقد يكون من المبتدئين من يمكن أن تدرسه المقنع .

❁ ❁ ❁

وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب والأخذ بحفظ القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ في دروس المساجد، للمبتدئين، ثم المتوسطين، ثم المتمكنين.

* ففي التوحيد: «ثلاثة الأصول وأدلتها» و«القواعد الأربع»، ثم «كشف الشبهات»، ثم «كتاب التوحيد»؛ أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى -، هذا في توحيد العبادة.

* وفي توحيد الأسماء والصفات: «العقيدة الواسطية»، ثم «الحموية» و«التدمرية»؛ ثلاثتها لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى- فـ «الطحاوية» مع «شرحها»، وفي النحو «الآجرومية»، ثم «ملحة الإعراب» للحريري، ثم «قطر الندى» لابن هشام، و«ألفية ابن مالك» مع «شرحها» لابن عقيل.

* وفي الحديث: «الأربعين للنووي»، ثم «عمدة الأحكام» للمقدسي، ثم «بلوغ المرام» لابن حجر، و«المنتقى» للمجد ابن تيمية -رحمهم الله تعالى-.

فالدخول في قراءة الأمات الست وغيرها.

* وفي المصطلح: «نخبة الفكر» لابن حجر، ثم «ألفية العراقي» -رحمه الله تعالى-.

* وفي الفقه: مثلاً: «آداب المشي إلى الصلاة» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم «زاد المستقنع» للحجاوي -رحمه الله تعالى- أو «عمدة الفقه» للخلاف المذهبي، و«المغني» للخلاف العالي. ثلاثتها لابن قدامة -رحمه الله تعالى-.

* وفي أصول الفقه: «الورقات» للجويني — رحمه الله تعالى —، ثم «روضة الناظر» لابن قدامة -رحمه الله تعالى-.

* وفي الفرائض: «الرحبية»، ثم مع شروحها، و«الفوائد الجلية».

* وفي التفسير: «تفسير ابن كثير» -رحمه الله تعالى-.

* وفي أصول التفسير: «المقدم» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-.

* وفي السيرة النبوية: «مختصرها» للشيخ محمد بن عبد الوهاب «وأصلها» لابن هشام، وفي «زاد المعاد» لابن القيم -رحمه الله تعالى-.

* وفي لسان العرب: العناية بأشعارها، كـ«المعلقات السبع»، والقراءة في «القاموس» للفيروزآبادي — رحمه الله تعالى -.

الشرح

الأمات لغير العقلاء، والأمهات للعقلاء، هذا هو الفرق، وعلى هذا، فإذا قلت: تجب الزكاة في السخالي وأمهاتِها، أم وأماتِها؟

وأماتِها... لأنَّها لغير العاقل، على كل حال هذا الكلام الذي ذكره الشيخ يحتاج إلى تعليق.

* يقول -رحمه الله وأطال حياته في طاعته -: يقول: في التوحيد: ثلاثة الأصول وأدلتها، والقواعد الأربع ثم كشف الشبهات ثم كتاب التوحيد أربعتها للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: **هذا في توحيد العبادة، يعني يبدأ في الأصغر فالأصغر، «ثلاثة الأصول» هي تدور**

على: من ربك؟، وما دينك؟، ومن نبيك؟

«**أربع القواعد**» أيضًا تدور على قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١-٢]. «**كشف الشبهات**» شبهات بعض أهل الشرك التي أوردها وأجاب عنها الشيخ - رحمه الله - بما تيسر.

* **وفي توحيد الأسماء والصفات**: «**العقيدة الواسطية**» التي ألفها شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- وهي من أخصب كتب العقيدة، وأحسن كتب العقيدة، وسُميت بالواسطية نسبة إلى واسط؛ لأن بعض قضاتها قدم إلى الشيخ -رحمه الله- وطلب منه أن يكتب ملخص في عقيدة السلف، فكتب هذه العقيدة المباركة.

* **قال**: ثم «**الحموية**» ، ثم «**التدمرية**»، والحموية والتدمرية رسالتان أوسع من «العقيدة الواسطية»، لكنها أجمع منهما؛ لأنه ذكر فيها الأسماء والصفات، والكلام على الإيمان واليوم الآخر، وطريقة أهل السنة والجماعة ومنهجهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك، فهي أجمع من «التدمرية» و«الحموية»، لكن «التدمرية» و«الحموية» تمتازان بأنَّهما أوسع منها في باب الصفات.

* **يقول**: فـ«**الطحاوية**» الفاء للترتيب، الطحاوية مع شرحها، وهي معروفة، وصارت شائعة ومنتشرة بين الناس الآن حيث قررت في الجامعة.

* **قال**: وفي النحو: «**الآجرومية**»كتاب صغير في النحو، لكنه مبارك وجامع مقسم سهل، وأنا أنصح به كل مبتدئ في النحو أن يقرأه، وكذلك «**ملحة الإعراب للحريري**» ثم «**قطر الندى**» لابن هشام، و«**ألفية ابن مالك**» مع «**شرحها**» لابن عقيل... هكذا قال الشيخ بكر، لكني أقول: الآجرومية، ثم الألفية، أما أن نحشو أذهاننا بكتب تعتبر كالتكرار لأولها، فلا حاجة.

و«**ملحة الإعراب**» هذه نظم فيه بيت مشهور وهو قوله:

إن تجد عيبًا فسد الخللا   تجلى من لا عيب فيه وعلا

هذا منها وهو مشهور، كثير من الكتاب الذين يكتبون الكتب العلمية إذا انتهى من كتابة قال:

إن تجد عيبًا فسد الخلل تجلى من لا عيب فيه وعلا

المهم: أنا أختار الآجرومية ثم ألفية ابن مالك، احفظها واستشرحها من رجل عالم بالنحو وفيها الخير الكثير.

* **وفي الحديث:** «**الأربعين**» للنووي، هذا كتاب طيب، فيه آداب ومنهج جيد، وقواعد مفيدة جدًّا، في حديث واحد يبني الإنسان حياته عليه: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**»[1] هذه قاعدة إذا جعلتها هي الطريق التي تمشي عليه وتسير؛ لكانت كافية، وفي النطق: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**»[2]، فهي من أحسن ما ألف، ثم «عمدة الأحكام» للمقدسي، ثم «بلوغ المرام»... وأرى أن يقتصر على بلوغ المرام، لأن عمدة الأحكام داخلة في بلوغ المرام أكثر أحاديثها موجودة في بلوغ المرام... بلوغ المرام أوسع منها وأشد تحذيرًا لكن:

إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

إذا قال: أنا والله ما أستطيع حفظ بلوغ المرام لاسيما رواه فلان، وصححه فلان، وضعفه فلان وهذه تدوخ رأسي.

قلنا له: إذا لم تستطع شيئًا فدعه...، عندك عمدة الأحكام أي ساعة تريد أن تستدل خذ حديثًا منها، ولا حاجة أن تبحث عن صحته؛ لأن أحاديثها منتخبة من البخاري ومسلم. و«المنتقى» للمجد ابن تيمية، المنتقى أكبر من بلوغ المرام بكثير، لكنه أضعف من حيث بيان مرتبة الحديث.

* **قال: «فالدخول في الأمات الست وغيرها»، ما هي الأمات الست؟**

ج: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجة. وسميت أمات؛ لأنها مرجع الأحاديث؛ ولهذا قال بعض العلماء: إذا رأيت حديثًا في غير الأمات الست فلا تحكم عليه حتى تحرره تخريجًا؛ لأن هذه الأمات التي اشتهرت بين المسلمين،

---

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٣١٧)، وابن ماجه (٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، ورواه الترمذي (٢٣١٨)، وأحمد (١٧٣٤، ١٧٣٩) من حديث علي بن الحسين ﷺ. مرسلًا، وعند أحمد عن أبيه. والحديث يُحسَّن بطرقه.

(٢) متفق عليه: تقدم.

وأخذوها وتلقوها بالقبول، وإن كان فيها الضعيف، وربما الموضوع أيضًا، لكن اشتهرت واعتبرت بين المسلمين.

* **ثم في المصطلح:** «**نخبة الفكر**» لابن حجر، ثم «**ألفية العراقي**» -رحمه الله- نخبة الفكر أظنها ثلاث صفحات تقريبًا، لكنها نخبة، يعني الإنسان إذا فهمها تمامًا، وأتقنها تغني عن كتب كثيرة في المصطلح؛ لأنَّها مضبوطة تمامًا ولها طريقة غريبة في تأليفها، وهي السرعة والتقسيم، أكثر المؤلفات يأتي الكلام مرسلاً مسلسلاً، لكنه -رحمه الله- اختار هذه الطريقة: الخبر إما أن يكون له طرق محصورة بعدد أو غير محصورة، والمحصورة بعدد كذا وكذا وكذا..، ثم يذكر فتجد أن الإنسان إذا قرأها يجد نشاطًا؛ لأنَّها مبنية على إثارة العقل، وأنا أشير عليكم أيها الطلبة أن تحفظوها؛ لأنها خلاصة وزبدة، ثم «**ألفية العراقي**» مطولة، لكني أرى أن الإنسان يقتصر على فهمها، وأنه لا حاجة إلى حفظها؛ لأنه قد يكون هناك متون أهم منها، مثل «**آداب المشي إلى الصلاة**» للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم «**زاد المستقنع**» للحجاوي – رحمه الله – أو «**عمدة الفقه**» للموفق، ثم «**المقنع**» للخلاف المذهبي، و«**المغني**» للخلاف العالي ثلاثتها لابن قدامة -رحمه الله- يعني بذلك: عمدة الفقه، المقنع، المغني. لكن غيره ذكر أربعة، وهي: العمدة، ثم المقنع، ثم الكافي، ثم المغني:

كفى الناس بالكافي واقنع طالبًا ... بِمقنع فقه عن كتاب مطول

وأغنِ بِمغني الفقه من كان باحثًا ... وعمدته من يعتمدها يحصل

ذكرت هذه الأربع في البيتين، اقرأهما.. بيتين وليس مائتين فالعرب تقرأ القصيدة أكثر من خمسين بيتًا، ثم ينصرفون وقد حفظوها، أعد يا شيخ يقول:

كفى الناس بالكافي – يعني الموفق – واقنع طالبًا بِمقنع فقه عن كتاب مطول

وأغنِ بمغني الفقه من كان طالبًا ... وعمدته من يعتمدها يحصل

* **وفي أصول الفقه:** «**الورقات**»للجويني -رحمه الله تعالى- ثم «**روضة الناظر**» لابن قدامة، قفزة جيدة..، الورقات على اسمه ورقات صغيرة، لكن بعد هذا إلى روضة الناظر، الفرق بينهما بعيد كبير، لكن هناك كتب مختصرة جيدة في أصول الفقه جيده يمكن أن يعتمد الإنسان عليها، وربما تغنيه أيضًا عن روضة الناظر، وأصول الفقه هي عبارة عن

قواعد وضوابط يتوصل الإنسان بها إلى معرفة استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية.

* **في الفرائض:** «**الرحبية**» -يعني- مع شروحها، و«**الفوائد الجلية**» للشيخ عبد العزيز بن باز، لكن أرى أن «البرهانية» أحسن من الرحبية، البرهانية أجمع من الرحبية من وجه، وأوسع معلومات من وجه آخر، ففي مقدمتها ذكر الحقوق المترتبة في التركة بعد موت الإنسان، يعني ذكر أركان الإرث، وشروط الإرث، ولم تُذكر في الرحبية .

ذكرها ولم تذكر في الرحبية، ذكر الرد، وذوي الأرحام، ولم تذكر في الرحبية، على أنها أخصب من الرحبية وأجمع، في باب الثلثين، الرحبى ذكر أربعة أبيات، والبرهاني ذكر بيت واحد فقال:

والثلثان لاثنتين استوتا فصارا ثمن له النصف أكبر

بيت واحد الثلثان لاثنتين استوتا فصاعدًا ممن له النصف أتى، كل واحدة لها النصف إذا صار معها نظيرها صار لها الثلثان.

ولها شرح لابن سلوم مطول ومختصر ومفيد جدًّا، فلذلك فأنا أرى أن البرهانية أحسن من الرحبية للوجوه التي ذكرتُها.

* **وفي التفسير يقول:** «تفسير ابن كثير»، وهو جيد بالنسبة للتفسير بالأثر، لكنه قليل الفائدة بالنسبة لأوجه الإعراب والبلاغة، فخير ما قرأت في أوجه الإعراب والبلاغة «الكشاف» للزمخشري، وكل من بعده فهم عيال عليه، أحيانًا تجد عبارات الزمخشري منقولة نقلاً، لكن تفسير الزمخشري فيه بلايا من جهة العقيدة؛ لأنه معتزلي.

* في أصول التفسير المقدمة لشيخ الإسلام بن تيمية - رحمه الله تعالى- تعوض عن المقدمة في التفسير، وهي كتاب مختصر... جيد... مفيد.

* في السيرة النبوية مختصرها للشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله -، وأصلها لابن هشام، وفي زاد المعاد لابن القيم – رحمه الله تعالى -، لكن السيرة النبوية المختصر والأصل مجرد تاريخ، أما زاد المعاد فإنه تاريخ وفقه،فقه للسيرة، وقد يكون في التوحيد، وقد يكون في الفقه الأمور العملية.

* **وفي لسان العرب:** العناية بأشعارها،كالمعلقات السبع، قصائد من أجمع القصائد، وأحسنها وأروعها، اختارتها قريش لكي تعلق في الكعبة؛ ولهذا تسمى بالمعلقات، ولما ذكر ابن كثير -رحمه الله- «**اللامية**» لأبي طالب قال: هذه اللامية يحق لها أن تكون مع المعلقات؛ لأنها أقوى منها وأعظم، وفيها يقول أبو طالب:

لقد علموا أنا ابننا لا مكذب ... لدينا ولا يعنى بقول الأباطل

يعني الرسول ﷺ، وهذا شهادة للرسول ﷺ بأنه صادق، ولكن هذه الشهادة من أبي طالب لم تستلزم القبول والإذعان، فلذلك لم تنفعه وخذل عند موته، فكان النبي ﷺ يقول له: «**قل: لا إله إلا الله**»[1]، ولكن لم يقلها، نسأل الله العافية.

«**القراءة في القاموس**» لكن هل نقرأ في القاموس أم تراجع القاموس؟ الثاني تراجع؛ أما أن نقرأ في القاموس فمهما قرأت في القاموس، ما تستفيد الفائدة المرجوة، لكن فيه مقدمات مشروحة جيدة في الصرف، لو قرأ الإنسان يكون ذلك طيبًا، وهكذا من مراحل الطلب في الفنون.

س: بالنسبة عندنا هنا من أصعب العلوم على أكثر الشباب علم اللغة والنحو والصرف.. دائمًا المشايخ ينصحون أن نبدأ بالنحو في علم اللغة، لكن كثير من الشباب يتكاسل ولا يستمر ، فهل نبدأ بغيره قبله في الفقه والأصول والمصطلح؟

ج: إيه نعم، أقول: لا بأس بغيره قبله ولا يضر، كم من علماء فقهاء يشار إليهم بالأصابع يلحنون في اللغة، لكن لا شك أن علم العربية يعينك على فهم القرآن والسنة، ويجمل كلامك لأنك لو سمعت رجلاً قال: « جاء زيدًا راكبٌ» مججت الكلام ربما أن المعنى واضح عنده هو، وكثير من الناس يضيق صدره جدًّا إذا سمع قارئًا يلحن، ولكن... قل للإخوان: إن النحو - كما قاله مشايخنا -: إن النحو بابه من حديد وجوفه من قصب، يعني أنه سهل، ادخل الباب والباقي يكون سهلاً عليهم، وهذا حقيقة لاسيما إذا وفق الإنسان لمعلم يكثر ضرب المثال، فإنه يسهل عليه علم النحو.

س: كما بينتم أن قراءة الشعر يقوي الجانب اللغوي عند الطالب، ما حكم قراءة أشعار

(١) متفق عليه:رواه البخاري (١٣٦٠، ٣٨٨٤، ٤٦٧٥، ٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤).

العرب اللغوية، وفيها من الغزل وغيره؟

ج: أما الإنسان الذي لا يحركه هذا الغزل فلا بأس، وأما الذي يحركه ويخشى على نفسه، فليجتنبه.

س: **ما حكم وضع القرآن في البدالة؟ بدالة الهاتف بحيث أن وقت الانتظار، أو وقت تحويل مكالمة إلى مكالمة يسمع المتصل شيئًا من القرآن، وأحيانًا شريط موعظة أو غيره؟**

ج: أما القرآن، فلا أرى ذلك؛ لأن هذا ابتذال للقرآن حيث نقضي به غرضًا فقط، قد يستمع إليه من لا يقدره ولا يعظمه، ويكرهه، لكن من الممكن أن تضع حكمة من الحكم، أو إذا كنت في مصلحة، أو جهة تبين عمل هذه المصلحة والجهة في أثناء الانتظار.

س: **يا شيخ النبي ﷺ قال: «إنِّي أوتيت القرآن ومثله معه»[1] . حديث النبي ﷺ وأحاديث السنة أنَّها مؤتاه من عند الله..؟**

ج: هل آتاك الله علمًا؟!

طيب، هل هو وحي؟!.. ما يلزم من أنَّها مؤتاه .. أنه آتاه مثله، إنما آتاه مثله في وجوب العمل، ولهذا قال: «**لا ألفين أحدكم متكئًا على أريكته، يأتيه الأمر من عندي، يقول: ما أدري ما وجدناه في كتاب الله اتبعناه**» أراد النبي ﷺ أنه مثله في العمل ، أي في وجوب العمل.

المماثلة متعذرة ليس مثل القرآن لا في الإعجاز، ولا في الاحترام، ولا في تحريمه على الجنب، وهذا خرج بالدليل؛ لأن الرجل يقول: ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه، يعني ولا نتبع السنة، فقال: «**ألا إنِّي أوتيت القرآن ومثله معه**».

ثم هذا واضح أن الرسول ﷺ ... إن ما أوحي إليه بها أشياء حكم بها، وأنكر الله عليه.

فهل الذي ورد من عنده نقول هذه ليست بوحي؟

بل العكس.. الأصل أن ما قاله ليس بوحي.

(١) رواه الترمذي (٢٦٦٣، ٢٦٦٤)، وأبو داود (٤٦٠٤، ٤٦٠٥)، وابن ماجه (١٢، ١٣، ٢١)، وأحمد (١٦٧٢٢، ١٦٧٤٣، ٢٣٣٤٩). وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٢٦٤٣) وغيره.

وهكذا من مراحل الطلب في الفنون، وكانوا مع ذلك يأخذون مجرد المطولات، مثل تاريخ ابن جرير وابن كثير، وتفسيريهما، ويركزون على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله تعالى- وكتب أئمة الدعوة وفتاويهم، لاسيما محرراتهم في الاعتقاد.

الشرح

الشيخ بكر يتحدث عن الطلب في قطرنا – وليس عن الطلب عمومًا – ولهذا هذه الكتب التي عينها إنما هي في قطرنا، وقد يكون ما يساويها أو يشابهها في الأقطار الأخرى على هذا النمط، وأما قوله: «يركزون على كتب شيخ الإسلام بن تيمية، وتلميذه ابن القيم – رحمهما الله –، فهذا صحيح، وغالب المتأخرين يركزون عليهما، وكان شيخنا عبد الرحمن سعدي – رحمه الله – يحثنا على قراءتهما – أي قراءة كتب شيخ الإسلام بن تيمية، وتلميذه ابن القيم – لأن فيهما من التحقيق، والتحرير، والتقعيد ما لا يوجد في غيره، وتحس وأنت تقرأ بأن كلامهما ينبض من القلب، ولهذا يؤثر في زيادة الإيمان، وأما تمثيله أيضًا تاريخ ابن جرير، وابن كثير، فهذا أيضًا من المراجعة لا بأس، أما كون الإنسان يجعله قراءة يقرؤها فهذا طويل، وربما يقطع عليه وقتًا كثيرًا.

* وقوله: «كتب أئمة الدعوة» المراد بها أيام الدعوة لشيخ الدعوة شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب ، وأحفاده،ومن تتلمذ عليه.

❁ ❁ ❁

وهكذا كانت الأوقات عامرة في الطلب، ومجالس العلم، فبعد صلاة الفجر إلى ارتفاع الضحى، ثم تكون القيلولة قبيل صلاة الظهر، وفي أعقاب جميع الصلوات الخمس تعقد الدروس، وكانوا في أدب جم، وتقدير ، بعزة نفس من الطرفين على منهج السلف الصالح – رحمهم الله تعالى -؛ ولذا أدركوا وصار منهم في عداد الأئمة في العلم جمع غفير، والحمد لله رب العالمين، فهل من عودة إلى أصالة الطلب في دراسة المختصرات المعتمدة لا على المذكرات، وفي حفظها لا الاعتماد على الفهم فحسب، حتى ضاع الطلاب، فلا حفظ ولا فهم.

الشرح

* قوله- وفقه الله-: «الاعتماد على هذه المتون الأصيلة لا على المذكرات»،هذا صحيح؛

لأن المذكرات قد يكون واضعها ممن لا يعرف في هذا إلا معرفة سطحية، فتجده يلتمس كلمات من هذا وكلمات من هذا، وكلمات من هذا، ولا يكون كلامًا محررًا متناسقًا، لكن هذه الكتب الأصيلة القديمة محررة متناسقة، مخدومة، وكذلك أيضًا، الحفظ هو الأصل، علم بلا حفظ يزول سريعًا، وكان في الأول يلعبون علينا لما كنا بالطلب، يقولون: لا تتعب نفسك في حفظ المتن، عليك بالفهم، الفهم، الفهم، لكن وجدنا أننا ضائعون إذا لم يكن عندنا حفظ، ما نفعنا الله تعالى إلا بما حفظنا من المتون، ولولا أن الله نفعنا بذلك وإلا لضاع علينا علم كثير.

فلا تغتر بمن يقول: الفهم؛ ولهذا هؤلاء الدعاة القائلون بالفهم لو سألتهم أو ناقشتهم، لوجدتهم ضحلاء، ليس عندهم علم، ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ﴾ [النور: ٣٩].

❁ ❁ ❁

وفي خلو التلقين من الزغل والشوائب، والكدر سير على منهاج السلف، والله المستعان.

الشرح

خلو التلقين يعني تلقين العلم من الزغل والشوائب والكدر سيرًا على منهاج السلف يعني فينبغي للعالم والمتعلم أن يكون التعليم والتعلم منهما خاليًا من هذه العيوب، بل ينبغي أن يكون صافيًا بحيث يكون المعلم يريد بذلك إيصال العلوم إلى الطلاب دون الاستعلاء عليهم، أو إظهار علمه عليهم، أو ما أشبه ذلك، ويكون التلميذ كذلك مطمئنًا إلى ما يقوله معلمه؛ لأنه إذا كان يتعلم منه يقول: أني أتعلم الآن، ولكن إذا خرجت أبحث مع إنسان آخر، مع عالم آخر، فكأنه لم يأخذ عن هذا العالم أخذ واثق أو مسترهب، وهذا يضيعه بلا شك، لكن إذا أخذ عن العالم أخذ مستفيد واثق، بعد ذلك إذا كبر ترعرع في العلم، وصار عنده ملكة، فلا مانع أن يخالف شيخه فيما يرى أن الصواب في خلافه، لكن ما دام في زمن الطلب، فليتكأ على من يتعلم على يديه، وليأخذ كلامه بثقة واطمئنان حتى يرسخ، أما أن يأخذ ويقول: إذا خرجت أبحث مع ناس أو مع طلاب علم.. هذا ما يصلح أبدًا، ولا يستقيم للطالب طلب على هذا الوجه.

❁ ❁ ❁

وقال الحافظ عثمان بن خرزاذ (م سنة٢٨٢هـ)- رحمه الله تعالى-[1]: يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عدمت واحدة، فهي نقص، يحتاج إلى عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه.

قلت- أي الذهبي-: الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون: تقيًّا، ذكيًّا، نحويًّا، لغويًّا، زكيًّا، حييًّا، سلفيًّا يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد.

ويحصل من الدواوين المعتبرة خمسمائة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى المات، بنية خالصة، وتواضع، وإلا فلا يتعن اهـ.

الشرح

والله شروط ثقيلة هذه من الذهبي -رحمه الله- أقول: لو بقينا على كلام الحافظ عثمان بن خرزاد؛ لكان أحسن - يعني أهون علينا - الأمانة جزء من الدين.

* قوله: «ودين» يحتاج إلى عقل جيد ودين، والضبط داخل في «الحفظ»؛ يعني حذق الشيء، بمعنى فهمه وأدركه جيدًّا، كم بقي من الخمس؟ يبقى ثلاث، لكن أدخل علينا أكثر من ثلاث: يحتاج أن يكون: تقيًّا، وهذا صحيح، والتقوى رأس كل عبادة، وهي الأصل، والتقوى: هي إتيان أوامر الله واجتناب نواهيه؛ لأن بذلك تكون الوقاية من عذاب الله.

* «ذكيًّا»: يعني ليس غبيًّا، ضد الذكاء، بأن يكون عنده فطنة، وكم من إنسان حافظ، وليس بذكي، وكان رجل ممن سبق حافظًا جدًّا، سريع الحفظ، بطيء النسيان، حفظ الفروع لابن مفلح: الفروع لابن مفلح ثلاث مجلدات كبار، وهو حاوي لمسائل الوفاق والخلاف، وكان يحفظه كما يحفظ الفاتحة، لكن لا يفهم منه شيئًا؛ لأنه غير ذكي، فكانوا يلقبونه بحمار الفروع، كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، لكن لا ينتفع بها، وكانوا يخرجون به، أو يأتون إليه على عداد أنه نسخة إذا اختلفوا في شيء راجعوه، ماذا قال ابن مفلح في المسألة الفلانية ثم يسرد إليهم فيكون مراجعه -يعني كتاب

(١) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٨٠.

مراجعة- فيعطي الناس، يكون عنده حفظ، قوة حافظة إدراكًا، وإبقاءً، ولكنه ليس عنده ذكاء، وبعض الناس بالعكس، ذكاءه متوقد، ولكن ليس عنده حافظة.

* «**نحويًّا، لغويًّا**» النحو هو الذي يعنى بالإعراب والبناء، وهذا يختص بأواخر الكلمات، اللغوي يدخل فيه من علم الصرف، وعلم مفردات اللغة، وعلى هذا لابد من مراجعة كتب النحو، وكتب الصرف،وكتب اللغة كالقاموس، ولسان العرب وغير ذلك.

«**زكيًّا**» الزكي والتقي معناهما متقارب، فإن ذكرا فينبغي أن يحمل التقي على من ترك المحرمات، والزكي على من قام بالمأمورات، ويعجبني أن أذكر لكم كلمة قالها شيخ الإسلام – رحمه الله – في أهل الكلام قال: إنَّهم أوتوا فهومًا، ما أوتوا علومًا -يعني عندهم فهم شديد، لكن ما عندهم علم – وأوتوا ذكاءً، وما أوتوا زكاءً – أذكياء لكن ليسوا أزكياء.

* «**حييًّا**»، لكن بشرط ما يمنعه حياؤه من طلب العلم؛ ولهذا قال بعضهم: لا ينال العلم حيي ولا مستكبر، يكون حييًّا، ولكن لا يمنعه ذلك من أن يطلب ، قالت أم سليم للرسول ﷺ: إن الله لا يستحيي من الحق: هل على المرأة الغسل، إذا احتلمت؟ قال: «**نعم إذا هي رأت الماء**»[1].

* «**سلفيًّا**» يعني يأخذ بطريق السلف في العقيدة، والأدب، والعلم، والمنهج، وفي كل شيء؛ لأن السلف هم صدر هذه الأمة الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم**»[2].

* «**يكفيه أن يكتب بيديه مائتي مجلد**»، ونعزي أنفسنا أن المجلدات عندهم قليلة، قد يكون خمسين صفحة عندهم مجلد، فإن كان هو المراد فلعل الله أن يعيننا عليه، وإن كان المراد المجلد الستمائة صفحة، فالواحد منا لو يبقى ليلاً نَهارًا ما أظنه يكتب مائتي مجلد، مائتي مجلد في ستين صفحة كم؟ اثنَي عشر ألفًا!!.

* «**ويحصل من الدواوين المعتبرة خمسمائة مجلد**» أين الذي عنده مكتبة خمسمائة مجلد؟!

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٣٠، ٢٨٢، ٢٣٢٨).

(٢) **متفق عليه**: رواه- بهذا اللفظ- البخاري (٢٦٥٢، ٣٦٥١، ٦٤٢٩)، ومسلم (٢٥٣٣).

على كل حال ، هم يقولون على قدر حالهم، ونحن نقول: الله المستعان!!.

* «**وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات**» هذا صحيح، فإن طالب العلم يجب ألا يفتر، لأنه إذا عود نفسه الفتور والكسل اعتاد ذلك، ومن طلب العلا سهر الليالي، ويقال: أعط العلم كلك تدرك بعضه، وأعطه بعضك يفتك كله، العلم يحتاج إلى تعب وعناء، لكني أقول لكم: إن الإنسان إذا ترعرع في العلم سهل عليه أن يعلم أشياء قد لا تكون في بطون الكتب، لاسيما مع النية الخالصة، وإرادة الحق، والحكم بشرع الله، فإن الله يهبه علمًا لا يطرأ على باله، ولا يجده في بطون الكتب، وكثيرًا ما نبحث مسألة من المسائل في الكتب في مظانّها و لا نجدها، ثم إذا فكرنا في آية من آيات الله، من كتاب الله، أو في حديث أو من سنة رسول الله ﷺ وجدنا الحل؛ لأن بركة القرآن والسنة لا يضاهيها أي بركة.

* «**بنية خالصة وتواضع**» هذا من أهم ما يكون.. التواضع، أسأل الله أن يرزقني وإياكم التواضع للحق وللخلق. من أهم شيء لطالب العلم التواضع؛ لأن التواضع خلق من الأخلاق العظيمة التي قال الله تعالى فيها لرسوله ﷺ : ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم: ٤] ، فأعظم الناس تواضعًا هو رسول الله ﷺ .

* **قال: «وإلا فلا يتعن»** يعني: لا يتعب نفسه إن لم يتصف بهذا، فلا يتعب نفسه، ولكن نقول: عفا الله عنك يا ذهبي، ارجع إلى قول الله تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ**﴾ [التغابن: ١٦] ، ولنعامل الناس بما يمكن أن يقوموا به، وإلا لنفر الناس.

لو قلنا للطالب: يكفيك بأن تكتب مائتَي مجلد، ويكفيك أن يكون عندك من الدواوين خمسمائة مجلد، والأكمل ألف مجلد، يعني: لو قلنا للطالب هكذا لثقل عليه الطلب، لكن نقول: يكفيك أن تكتب بيدك ما تقدر عليه، بشرط أن يكون عندك حرص ونشاط في طلب العلم، والله الموفق.

س: يا شيخ، بالنسبة للسؤال الذي سألنا أمس عن وضع القرآن في البدالة فهل يجوز أن يضع شريطًا يحتوي أحاديث فقط؟

الأحاديث – بارك الله فيك – أهون، لكن عندكم- بارك الله فيكم- من الحكم الكثيرة، ارجعوا إلى ديوان المتنبي، ارجعوا إلى روضة العقلاء وتجدون من الحكم ما يملأ البدالة والبدالتين.

١٧ - تلقي العلم عن الأشياخ:

الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والمناقشة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب، والأول من باب أخذ النسيب عن النسيب الناطق، وهو المعلم، أما الثاني عن الكتاب، فهو جماد، فأنّى له اتصال النسب؟

الشرح

هذا أيضًا مما ينبغي لطالب العلم مراعاته، أن يتلقى العلم عن الأشياخ؛ لأنه يستفيد بذلك فائدتين، بل أكثر:

الفائدة الأولى: اختصار الطريق، بدل ما يذهب يقلب الكتب وينظر ما هو القول الراجح، وما سبب رجحانه؟ وما هو القول الضعيف؟ وما سبب ضعفه؟ بدل من ذلك يمد إليهم المعلم هذه لقمة سائغة يقول: اختلف العلماء في كذا، على قولين، أو ثلاثة، أو أكثر، والراجح كذا، والدليل كذا، وهذا لا شك أنه نافع لطالب العلم.

الفائدة الثانية: السرعة، يعني: سرعة الإدراك؛ لأن الإنسان إذا كان يقرأ على عالم، فإنه يدرك بسرعة أكثر ممن ذهب يقرأ في الكتب؛ لأنه إذا ذهب يقرأ يردد العبارة أربع أو خمس مرات لا يفهمها، وربما فهمها أيضًا على وجه خطأ غير صحيح.

الفائدة الثالثة: الرابطة بين طالب العلم ومعلمه، فيكون ارتباط بين أهل العلم من الصغر إلى الكبر، فهذه من فوائد تلقي العلم على الأشياخ، لكن سبق أن قلنا إنه من الواجب أن يختار الإنسان من العلماء من هو ثقة.. أمين، قوي، يعني عنده علم، وإدراك، ليس علمه سطحيًا، وعنده أمانة، وكذلك أيضًا إذا كان عنده عبادة، فإن الطالب يقتدي بمعلمه.

***

وقد قيل: من دخل في العلم وحده خرج وحده[1]. أي: من دخل في طلب العلم بلا شيخ، خرج منه بلا علم، إذ العلم صنعة، وكل صنعة تحتاج إلى صانع، فلابد إذن لتعلمها من معلمها الحاذق.

(١) الجواهر والدرر للسخاوي ١/ ٥٨.

الشرح

هذا أيضًا صحيح، وقد قيل: إنه من كان دليله كتابه، كان خطؤه أكثر من صوابه، هذا هو الغالب بلا شك، لكن قد يندر من الناس من يكرس جهوده تكريسًا عظيمًا، ولاسيما إن لم يكن عنده من يتلقى العلم عنده، فيعتمد اعتمادًا كاملاً على الله ﷻ ويدأب ليل نهار، ويحصل من العلم ما يحصل وإن لم يكن له شيخ.

❁ ❁ ❁

وهذا يكاد يكون محل إجماع من أهل العلم، إلا من شذ، مثل: علي بن رضوان المصري (م سنة ٤٥٣هـ)، وقد رد عليه علماء عصره، ومن بعدهم، قال الحافظ الذهبي- رحمه الله تعالى- في ترجمته له[١]: ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتابًا في تحصيل الصناعة من الكتب، وإنها أوفق من المعلمين، وهذا غلط اهـ.

وقد بسط الصفدي في «الوافي» الرد عليه، وعنه الزبيدي في «شرح الإحياء» عن عدد من العلماء، معللين له بعدة علل، منها ما قاله ابن بطلان في الرد عليه[٢].

السادسة: يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم، وهي معدومة عند المعلم، وهي التصحيف العارض، من اشتباه الحروف مع عدم اللفظ، والغلط بزوغان البصر، وقلة الخبرة بالإعراب، أو فساد الموجود منه، وإصلاح الكتاب.

وكتابة ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب، ومذهب صاحب الكتاب، وسقم النسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وخلط مبادئ التعليم، وذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة، وألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالنورس، فهذه كلها معوقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذه الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه...

قال الصفدي: ولهذا قال العلماء: لا تأخذ العلم من صحفي، ولا من مصحفي، يعني: لا

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠٥ وانظر: شرح الإحياء ١/ ٦٦، وبغية الوعاه ١/ ١٣١، ٢٨٦، وشذرات الذهب ٥/ ١١، الغنية للقاضي ص/ ١٦- ١٧.

(٢) شرح الإحياء ١/ ٦٦.

تقرأ القرآن على من قرأ من المصحف، ولا الحديث ولا غيره على من أخذ ذلك من الصحف... اهـ.

والدليل المادي القائم على بطلان نظرة ابن رضوان: أنك ترى آلاف التراجم والسير على اختلاف الأزمان ومر الإعصار وتنوع المعارف مشحونة بتسمية الشيوخ والتلاميذ، ومستقل من ذلك ومستكثر، وانظر شذرة من المكثرين عن الشيوخ حتى بلغ بعضهم الألوف كما في «العزاب» من «الأسفار» لراقمه، وكان أبو حيان محمد ابن يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥هـ)[1] إذا ذكر عنده ابن مالك، يقول: أين شيوخه؟

وقال الوليد[2]: كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريمًا يتلقاه الرجال بينهم، فلما دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله.

وروي مثلها ابن المبارك عن الأوزاعي، ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل، ولاسيما في ذلك العصر، حيث لم يكن بعد نقط ولا شكل، فتتصحف الكلمة بما يحيل المعنى، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال، وكذلك التحديث من الحفظ يقع فيه الوهم، بخلاف الرواية من كتاب محرر اهـ.

ولابن خلدون مبحث نفيس في هذا، كما في «المقدمة»[3] له، ولبعضهم:

من لم يشافه عالمًا بأصوله فيقينه في المشكلات ظنون

وكان أبو حيان كثيرًا ما ينشد:

يظن الغمر أن الكتب تَهدي ... أخا فهم لإدراك العلوم

وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيم

إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم

وتلتبس الأمور عليك حتى ... يصير أضل من «توما الحكيم»

الشرح

الله أكبر ... هذه الكلمات فيها ما أشرنا إليه من قبل، أن الأخذ عن العلماء والمشايخ

(١) مقدمة التحقيق لكتاب الغنية للقاضي عياض ص/ ١٦- ١٧.
(٢) السير ٧/ ١١٤.
(٣) ٤/ ١٢٤٥.

أفضل من الأخذ من الكتب...، وبين ما نقله هنا في الرد على ابن بطلان، قال: «يوجد في الكتاب أشياء تصد عن العلم، وهي معلومة عند المعلم، والتصحيف العارض من اشتباه الحروف مع عدم النقط»، وكانوا فيما سبق يكتبون بلا نقط، فيخطأ الإنسان، فمثلاً ربما تجد كلمة «بزة»: اشتريت بزًّا بصاع من تمر بدون مقابضة، إذا لم يكن فيها نقطة «برًّا»، ومعلوم أنك إذا اشتريت برًّا بتمرٍ بدون مقابضة، فالبيع غير صحيح، فتختلف الأحكام باختلاف النقط، كذلك «والغلط بزوغان البصر» يعني بزوغ البصر، فيرى الكلمة على صورة غير حقيقتها، لاسيما إذا كان الكتاب ليس جيدًا، فمثلاً بعض الناس إذا كتب كلمة «زين» ربط طرف النون بطرفها الأول، فتكون كأنها «زيّه» فيحصل الخطأ، كذلك «قلة الخبرة بالإعراب« والإعراب له أثر في تغيير المعنى، فإذا قرأ مثلاً: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فقرأه إنسان ما يعرف الإعراب، والكلمة ما شُكلت ربما يقول: وكلم اللهَ موسى تكليمًا، فيختلف المعنى اختلافًا عظيمًا.

* «أو فساد الموجود فيه»، يعني من الإعراب.

* و «إصلاح الكتاب وكتابة ما لا يقرأ، وقراءة ما لا يكتب» كل هذا يعتري من يأخذ العلم عن الكتاب، كذلك «مذهب صاحب الكتاب« ربما يكون مذهبه مذهب المعتزلة، أو جهمي، أو غيره، وأنت ما تدري، وكذلك «سقم الناسخ، ورداءة النقل، وإدماج القارئ مواضع المقاطع، وكل هذا خلل عظيم، معناه أن الكلمة لا بد أن تقف عليها، فيأتي القارئ ليقرأ الكتاب، ويقرأ مع ما بعدها ويختلف المعنى.

* «وخلط مبادئ التعليم»، بحيث لا يميز بعضها من بعض، بمعنى أن الكاتب ربما لا يكون متقنًا في تحرير الكتاب فيخلط هذا مع هذا، والمبتدئ لا يعلم.

* «ذكر ألفاظ مصطلح عليها في تلك الصناعة»، وهو لا يدري مثل كلمة في المصطلح «معضل، منقطع» إيش معنى المعضل؟ إذا لم يكن عنده علم أشكل عليه هذا الشيء.

يقول: ألفاظ يونانية لم يخرجها الناقل من اللغة كالنورس« هذه لابد أن تفهموها أنتم، ما هو النورس؟

ج: طائر؟. والله ما أدري؛ لأن الطائر ما يكون ألفاظ يونانية، فلعلها اسم لعلم من

العلوم.

يقول: فهذه كلها معوقة عن العلم، وقد استراح المتعلم من تكلفها عند قراءته على المعلم، وإذا كان الأمر على هذا الصورة، فالقراءة على العلماء أجدى، وأفضل من قراءة الإنسان لنفسه، وهو ما أردنا بيانه.

ثم نقل عن بعض العلماء أنه قال: لا تأخذ العلم عن صحفي، ولا عن مصحفي «يعني لا تقرأ القرآن على من قرأ من مصحف، ولا الحديث وغيره على من أخذ ذلك من الصحف.

وهذا كله فيما إذا كانت الأشياء التي يقرأ منها ليست فيها بيان، أما إذا كان فيها بيان، كالموجود الآن من المصاحف - والحمد لله -، فهو واضح.

س: سأل سائل: ما معنى قراءة لا تكتب؟

ج: يعني معناه أن الإنسان يُلحق كلمة غير مكتوبة، ظنًّا منه أن المعنى لا يتم إلا بها فيقرأ ما ليس مكتوبًا.

فيه أيضًا الأبيات التي ذكرها

من لم يشافه عالمًا بأصوله ... فيقينه في المشكلات ظنون

يعني إذا وردت أي مشكلة، وقال: الحكم كذا وكذا يقينًا، فهو ظن حتى يكون على عالم.

أم يظن الغمر أن الكتب تَهدي ... أخا فهم لإدراك الفهوم

من هو الغمر؟ الصحفي:

وما يدري الجهول بأن فيها ... غوامض حيرت عقل الفهيم

إذا رمت العلوم بغير شيخ ... ضللت عن الصراط المستقيم

وتلتبس الأمور عليك حتى ... تصير أضل من توما الحكيم

توما الحكيم مشهور بالغباوة، يدعي العلم، وقال على حاله بعض الشعراء:

قال حمار الحكيم توما لو أنصف الدهر كنت أَركب

لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

يقول: لو أنصف الدهر، طبعًا هذه كلمة غير مقبولة، لكن هذا الشاعر يقول هكذا، كنت أركب، يعني هذا الحمار يركب على صاحبه وليس بالعكس.

لأنني جاهل بسيط وصاحبي جاهل مركب

وهنا يقول:

إذا رمت العلوم بغير شيخ ضللت عن الصراط المستقيم

وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضل من توما الحكيم

البيت الثالث الذي بعده:

تصدق بالبنات على رجال يريد بذاك جنات النعيم

يعني أنه يزوج بلا مهر، إذا رأى شابًّا فقيرًا ليس عنده مهر، قال: تصدقت عليك بهذه الفتاة. قال: كما أنك تتصدق، انظر إلى القياس العجيب.

تصدق بالمهر الذي يدرك به الزوجة، فتصدق عليه بالزوجة بدون مهر.

❁ ❁ ❁

آداب الطّالب مع شَيْخه

١٨ – رعاية حرمة الشيخ:

بما أن العلم لا يؤخذ ابتداءً من الكتب بل لابد من شيخ تتقن عليه مفاتيح الطلب، لتأمن من العثار والزلل، فعليك إذًا بالتحلي برعاية حرمته، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل والتوفيق، فليكن شيخك محل إجلال منك، وإكرام وتقدير وتلطف، فخذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه، وحسن السؤال والاستماع، وحسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب، وترك التطاول والمماراة أمامه، وعدم التقدم عليه بكلام منك أو الإلحاح عليه في جواب، متجنبًا الإكثار من السؤال، لاسيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور، وله الملل.

الشرح

آداب الطالب مع شيخه، وهذه من أهم الآداب لطالب العلم، أن يعتبر شيخه معلمًا، مربيًا، معلمًا يلقي إليه العلم، مربيًا يلقي إليه الآداب، والتلميذ إذا لم يثق بشيخه في هذين الأمرين، فإنه لن يستفيد من الفائدة المرجوة.

فمثلًا: إذا كان عنده شك في علمه، كيف ينتفع به؟ إن أي مسألة ترد على لسان الشيخ سوف لا يقبلها حتى يسأل ويبحث، وهذا خطأ في التقدير من وجه، وخطأ في التصرف من وجه آخر، أما كونه خطأ في التقدير: فإن الشيخ المفروض فيه أن لا يجلس للتعليم إلا وهو يرى أنه أهل، وأن التلميذ لم يأت إلى هذا الشيخ إلا وهو يعتقد أنه أهل.

أما في المنهج ؛ فلأن الطالب إذا سار هذا المسير، وسلك هذا المنهج سوف يبني علمه على شفا جرف هار؛ لأن نفسه قلقة، ليس واثقًا كل الثقة في هذا الشيخ الذي قرأ عليه ؛ ولهذا يضيع عليه الوقت، ويضيع عليه التحصيل.

* وقول الشيخ: **«إن العلم لا يؤخذ ابتداءً من الكتب»** سبق الكلام عليه، وأنه لابد من القراءة على شيخ، بل لابد من شيخ متقن، تتقن عليه مفاتيح الطلب، وتأمن من العثار والزلل، فعليك إذن بالتحلي برعاية حرمته، فإن ذلك عنوان النجاح والفلاح والتحصيل

والتوفيق، وهذا كما قال الشيخ واضح.

* «**فليكن شيخك محل إجلال منك وإكرام وتقدير وتلطف**» كل هذا صحيح، ولكن فهل نحن عملنا بذلك؟ إذا كان الطالب يمر بشيخه ولا يسلم، هذا ليس من الآداب، بل إنه إذا حاذى شيخه مر مرَّ السحاب، وعجل ليدرك، هذا ليس من الآداب، نحن نذكر لما كنا طلبة، إذا رأينا شيخنا من بعيد نقف ونسلم، ومثلًا: إذا كنا معه ندخل المسجد نمكنه أن يدخل قبلنا، وأنا شخصيًّا ما أريد هذا، أن تقفوا لي وأدخل قبلكم، فأنا مسامح، لكن أريد السلام الذي أمر به الرسول ﷺ بإفشائه، كذلك بعض الناس يمر مع زميله منكم أنتم أيضًا الطلبة يمر مع زميله، ثم يقنع رأسه هكذا كأنه يزلق في الماء..، هذا غلط أيضًا، أعجبني الأخ هداية الله، كان يمر من الصف خارجًا من المسجد، ولا يمر بواحد من الطلبة، ولو كان بعيدًا إلا سلم عليه، هذا طيب لكن كونه يمشي إلى جنبه، هذا جاء من اليمين، وهذا جاء من اليسار، ثم يتلاقيان أنا في نفسي أنه لا يسلم أحدهما على الآخر؛ لأنني لا أسمع صوتًا، لا أرى حركة، وهذا غلط، والله غلط.

يعني ينبغي لطالب العلم، ولاسيما مع أقرانه، أن يكون على أحسن الأدب.

* يقول كذلك: «**خذ بمجامع الآداب مع شيخك في جلوسك معه، والتحدث إليه**» وهذا صحيح، اجلس جلسة المتأدب، يعني: لا تمد رجليك بين يديه؛ لأن هذا سوء أدب، ولا تجلس متكئًا، هذا أيضًا سوء أدب، ولا سيما في مكان الطلب، أما إذا كنت في مكان جلوس عادي، فهذا الأمر أهون، كذلك أيضًا في التحدث إليه، لا تتحدث إلى شيخك وكأنما تتحدث مع قرينك، لا...لا يستقيم هذا، تحدث إليه تحدث الابن إلى أبيه باحترام وتواضع، ولكن «انظروا» يا جماعة ترى هذا ليس بالنسبة لي معكم، أنا ما يهم خاطبوني كأني أحد أقرانكم ما يهم، لكن «بس» الشيء الذي لابد منه، لابد منه.

* يقول: «**حسن السؤال**»، حسن السؤال، والاستماع، حسن السؤال... الحمد لله حسن فأرى أنكم تحسنون السؤال... لا أحد يسأل إلا باستئذان... وهذا طيب، وإذا سأل يسأل بِهدوء وبرفق، والحمد لله هذا طيب، وبعضهم أيضًا يقول: أحسن الله إليك مثلًا، وما أشبه ذلك، كل هذا الحمد لله أنتم على مستوى جيد منه.

* كذلك أيضًا «**حسن الأدب في تصفح الكتاب أمامه ومع الكتاب**» تصحف الكتاب

بقوة، وهذا ما يصلح، لابد إذا تصفحت الكتاب يكون برفق ؛ أولًا: تأدبًا مع الشيخ، والثاني: رفقًا بالكتاب ؛ لئلا يتمزق ؛ ولهذا قال: «أمامه ومع الكتاب».

* «وترك التطاول والمماراة أمامه» والتطاول في الواقع ليس أمرًا محسوسًا، مدركًا بالحس الظاهر...، لكن النفس تشعر بأن هذا السائل متطاول، وقد يكون هذا لسوء الظن، وقد يكون لفراسة، لكن التطاول معروف، كذلك المماراة، المماراة يعني: يجابه الشيخ، ثم إذا أجاب قال: وإذا كان كذا، وإذا أجاب، قال: وإذا كان كذا، يسألك عن مسألة من المسائل تجيبه، ثم يأتي بمسألة فرضية تجيبه على هذا الفرض، تجيب بفرض آخر أضيق من الأول، هذه مماراة ما لها داعي.

* كذلك: «عدم التقدم عليه بكلام أو مسير» الله المستعان، وهذا- الحمد لله- عندكم موجود، إلا أن أحيانًا بعضكم يجيب قبل أن أتكلم أنا، ولكني ربما أسخط عليه وأقول: أتريد أن أنزل عن هذا لك؟ فليتحمل مني، فعلى كل حال لا ينبغي للطالب أن يتقدم بين يدي الشيخ بكلام أو مسير أيضًا، المسير هذا الحمد لله فيكم أدب، لكن وفيكم سوء أدب، ومن ذلك أنه إذا تقدم الشيخ ليخرج من المسجد، وكان حذاء الطالب عن يمين الشيخ، والطالب عن يساره خطى أمام الشيخ من الأمام ؛ ليأخذ الحذاء، تقدم في المسير أم لا؟ هذا تقدم في المسير، وإعاقة لسير الشيخ، كأن يقول الشيخ: انتظر حتى أعبر وأمر، هذا أيضًا ليس من الأدب الطيب.

* وقوله أيضًا: «أو إكثار الكلام عنده» إكثار الكلام عنده فيه سوء أدب، لكن المجالس تختلف، إذا كان مجلس علم ومجلس جد فلا تكثر، لكن إذا كان المكان نزهة، فهذا لا بأس أن يأتي أحد يكثر الكلام، يوسع الصدر، صدرالشيخ، وصدر الحاضرين، ما فيه مانع.

* **كذلك أيضًا** «أو مداخلة في حديثه ودرسه بكلام منك» مداخلة معناها: الشيخ يتكلم، مستمرًا في كلامه، فتأتي أنت وتدخل فيه.. في كلامه ؛ لتقطع الكلام، هذا لا يصح لا في الدرس، ولا خارج الدرس؛ لأنه من سوء الأدب.

* «أو الإلحاح عليه في جواب» الإلحاح في الجواب إذا قال مثلًا: سأل الشيخ قال له الشيخ: انتظر، أعاد، قال: انتظر، أعاد، قال: انتظر، ربما يأتي بعض الناس يقول: جاوب،

يقولون للشيخ.. وهو يقول: انتظر، هذا أيضًا غلط، إذا قال: انتظر، فانتظر حتى يقول هو لك: ما سؤالك، ولا تلح عليه.

* كذلك أيضًا «**متجنبًا الإكثار من السؤال**»؛ لأن بعض الناس يحب الإكثار من السؤال، وقد يكون في غير موضوع الدرس، فيقول الشيخ: لا تكثر.

* «**لاسيما مع شهود الملأ، فإن هذا يوجب لك الغرور، وله الملل**» صحيح، مثلًا: في مجلس كبير تبدأ تسأل بعض الناس، حتى إذا جلسوا على المائدة، أكثروا من الأسئلة، هذا يسأل، وإذا خلص الثاني، يسأل، وإذا خلص الثالث، يسأل، والرابع يسأل، فيخرج الشيخ ولم يأكل الطعام، وهؤلاء مستريحين؛ لأنه يسأل سؤال، ويبدأ يأكل، والثاني يسأل سؤال ويبدأ يأكل، والشيخ مسكين مشتغل بالأجوبة؛ ولهذا لا حرج على الشيخ في هذه الحال أن يقول: إذا حضر الهرس بطل الدرس، أو إذا حضر الهرس- يعني الطعام- بطل الدرس ؛ لأن صحيح بعض الناس يبتلون بهذا.

❁ ❁ ❁

ولا تناده باسمه مجردًا، أو مع لقبه كقولك: يا شيخ فلان، بل قل: يا شيخي، أو يا شيخنا، فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب، ولا تخاطبه بتاء الخطاب، أو تناديه من بعد من غير اضطرار.

الشرح

سبحان الله!! هذه آداب عامة، لا تناديه باسمه، لا تقل يا محمد، يا عبد الله، يا علي مجردًا، أو مع لقبه يا شيخ محمد، يا شيخ عبد الله، لا تفعل، بل قد يقال: حتى ولا بلقبه.. لا تقل يا شيخ.. قل: أحسن الله إليك، وما أشبه ذلك، أو يقول: قل: يا شيخي، أو يا شيخنا، «**فلا تسمه، فإنه أرفع في الأدب**» طيب وهل يقال مثل ذلك بالنسبة لمناداة الأب؟ لا تناده باسمه، نعم وهل تخبر عنه باسمه؟ تقول: قال فلان؟ لا، طيب وقع عن الصحابة أنهم يسمون آباءهم، فيقول ابن عمر: قال عمر، وما أشبه ذلك من الكلام.

فيقال: إن الخبر أهون من النداء ؛ لأنك لو تنادي أباك، فتقول: يا فلان، صار من سوء الأدب، لكن لو تقل: قال فلان، وهو مشهور بعلم، أو إمارة أو ما أشبه ذلك فإنه لا

يعد ذلك سوء أدب، فلكل مقام مقال، وباب الطلب أشد، يجب أن يكون أشد في الاحترام.

* **يقول: «ولا تخاطبه بتاء الخطاب»** يعني مثل لا تقول: قلت: كذا وكذا، قلت في الدرس الماضي: كذا وكذا.. ؛ لأن هذا فيه إساءة أدب، وفيها إشعار بأنك لم ترضى قوله، إذًا ما تقول؟ تقول: قلنا: كذا وكذا، مر علينا كذا وكذا، أما قلت: كذا وكذا، فهذا لا يليق مع الشيخ.

* **«أو تناديه من بعد من غير اضطرار»** في أقصى الشارع الشيخ، تقول: يا فلان... يا فلان ما يصلح، متى تناديه عجل شوي.. عجل شوي إلى أن تصل، فإذا وصلت فلا بأس، إلا من ضرورة، إذا كان هناك ضرورة بحيث يكون عليه خطر هو أمامه مثل حفرة...، أمامه سيارات...، أمامه أشياء يخاف عليه منها... فهنا لا بأس أن تناديه من بعيد، أو أنت مضطر إليه، قد تكون ضرورة تريد أن يساعدك في شيء من الأشياء، هذا لا بأس به.

س:يا شيخ بصيغة الجمع قلتم أو فعلتم كذا هل يعتبر من سوء الأدب؟

ج:لا هي أهون من «قلت»، لكن مع ذلك «قلنا» أحسن، إذا صار الخطاب في مجلس علم.

س:شيخ بارك الله فيكم هذه الآداب وغيرها من الآداب هي غاية ما يرومه التلميذ مع شيخه، أي ما ينبغي للطالب أن يتحلى به مع شيخه، أسأل الله أن يعيننا على فعله معكم يا شيخ، لكن أقول هل الإكثار من هذه الأخلاق هل يكون فيها للصوفية يعني يكون يقولون شيخنا أعلى منا، ونحن لا شيء، فنأخذ بقوله المجرد مطلقًا، كيف نصنع ضابط لهذه القواعد أم هؤلاء الذين يستشهدون بهذا؟

ج: هو بارك الله فيك الطلبة أقسام: قسم طالب ابتدائي، ما يعرف الكوع من الكرسوع، هذا يجب أن يقلد شيخه بكل حال، ولا يمكن أن ينال العلم إلا بهذه الطريقة، أنا لا أقول يجب شرعًا ؛ لأنه ما أحد يجب تقليده شرعًا إلا الرسول ﷺ لكن من ناحية الطلبة، وقسم آخر كبر وصار عنده شيء من العلم والمعرفة، فلا بأس أن يناقش الشيخ.

س (ط):في بعض الأوقات يمر الإنسان بالشيخ وهو في سيارته؟

س:من الذي في السيارة الشيخ أو الإنسان؟

(ط): **الطالب، إذا سلم وهو ماشي يعتبر سوء أدب، ولا يستطيع أن يقف حتى يسلم بشكل صحيح، فماذا يصنع؟ فما بقي إلا أن ينزل رأسه ويمشي؟**

ج: لا يا شيخ ليس بصحيح أبدًا، إذا سلم التلميذ على شيخه وهو في السيارة يعذره، وهو خير من كونه لا يسلم حتى وأنت في السيارة سلم.

❁ ❁ ❁

وانظر ما ذكره الله تعالى من الدلالة على الأدب مع معلم الناس الخير ﷺ في قوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

الشرح

هذه الآية للعلماء في تفسيرها قولان:

القول الأول: لا تناده باسمه، كما ينادي بعضكم بعضًا، وهذا ما ساقه المؤلف بكر من أجله.

والثاني: لا تجعلوا دعاءه إياكم كدعاء بعضكم بعضًا، بل عليكم أن تجيبوه، وأن تمتثلوا أمره، وتجتنبوا نهيه بخلاف غيره، فغيره إذا دعاك إن شئت أجبه، وإن شئت لا تجبه، يعني إذا قال: يا فلان، فإن شئت أجب وإن شئت فلا تجب، لكن النبي ﷺ إذا دعاك يجب أن تجبه ؛ ولهذا قال العلماء: إن النبي ﷺ إذا دعا الإنسان وهو في صلاة، وجب عليه أن يجيبه ولو قطعها.

ففي الآية قولان لأهل العلم، فعلى القول بأن المعنى: لا تناده باسمه كما ينادي بعضكم بعضا تكون دعاء مضافة إلى الفاعل، أو المفعول، يعني.. لا تجعلوا دعاءكم الرسول كدعاء بعضكم بعضًا، وإذا قلنا: دعاء الرسول، يعني إذا دعاكم الرسول فأجيبوه، تكون مضافة إلى الفاعل، يعني لا تجعلوا دعاء الرسول إياكم كدعاء بعضكم بعضًا.

طيب، بناءً على هذه القاعدة التفسيرية: أن الآية إذا كانت تحتمل معنيين، لا منافاة بينهما، فإنَّها تحمل على المعنيين، هل يمكن هنا أن نحملها على المعنيين، نعم يمكن أن نحملها على المعنيين.

وكما لا يليق أن تقول لوالدك ذي الأبوة الطينية: يا فلان، أو يا والدي فلان، فلا يجمل بك مع شيخك.

الشرح

«ذي الأبوة الطينية»: **أي لا تقول لأبيك من النسب: يا فلان، فكذلك أبوك في العلم، لا تقول: يا فلان، وهو لم يقل الشيخ بكر- لم يقل- أن تقول لوالدك ذي النسب، كالأبوة الطينية إشارة إلى حقارته بالنسبة لأب العلم- المعلم -.**

❁ ❁ ❁

والتزام توقير المجلس، وإظهار السرور من الدرس، والإفادة به.

الشرح

هذا أيضًا مهم، أن تبدي السرور من الدرس، والإفادة به، وأن ترتقبه بفارغ الصبر، أما أن تتململ، مرة تقلب الكتاب، ومرة تزين الغترة، وما أشبه ذلك، هذا معناه الملل، فالذي ينبغي أن الإنسان يفرح، وأنه نزل في رياض يجني ثمارها.

❁ ❁ ❁

وإذا بدا لك خطأ من الشيخ، أو وهم فلا يسقطه ذلك من عينيك، فإنه سبب لحرمانك من علمه، ومن ذا الذي ينجو من الخطأ سالمًا؟.

الشرح

ولكن إذا بدا وهم أو خطأ من الشيخ هل تسكت، أو تنبهه، وإذا نبهته هل تنبهه في مكان الدرس، أو في مكان آخر؟ هذا يجب التزام الأدب فيه. نقول: لا يجوز لك أن تسكت على الخطأ ؛ لأن هذا ضرر عليك وعلى شيخك، فإنك إذا نبهته على الخطأ وانتبه، أصلح الخطأ، كذلك الوهم، قد يتوهم، قد يسبق لسانه إلى كلمة لا يريدها...، فلابد من التنبيه، ولكن يبقى هل أنبهه في مكان الدرس، أو إذا خرج؟ هذا ينظر القرائن، قد تقتضي الحال أن تنبهه في الدرس ؛ فإذا لم نصلح الخطأ في حينه، نشر هذا العلم خطأ، فلابد من التنبيه في مكان الدرس، أما لو كان لا يحضر، أو ليس يسمع هذا الوهم، أو هذا الخطأ إلى الطلاب، فإن من الأليق ألا تنبهه في مكان الدرس، بل إذا خرج تلتزم الأدب معه، وتمشي

معه، وتقول: سمعت كذا وكذا، فلا أدري أوهمت أنا في السمع، أم أن الشيخ أخطأ مثلًا، إذن التنبيه على الخطأ والوهم حكمه.. واجب لابد منه ؛ لأن السكوت إضرار بالطالب، وإضرار بالمعلم، لكن أين يكون التنبيه، حسب ما تقتضيه الحال، وعلى كل حال، فكما قال الشيخ: لا ينبغي الإنسان أن يسقط الشيخ من عينه، لخطأ من ألف إصابة، أما لو كان كثير الخطأ، كل ما تكلم، فهو لا ينبغي أن يكون شيخًا، هذا ينبغي أن يكون متعلمًا قبل أن يكون معلمًا.

❁ ❁ ❁

واحذر أن تعامله بما يضجره، ومنه ما يسميه المولدون: «حرب الأعصاب»[1]، بمعنى: امتحان الشيخ على القدرة العلمية والتحمل.

الشرح

هذا صحيح، بعض الناس يقول: سأمتحن الشيخ، ثم يأتي بأسئلة معضلة ويبدأ يروح يمينًا ويسارًا، كلما أجاب الشيخ بالجواب قال: طيب، وإذا كان كذا، فيقول: إذا كان كذا فالحكم كذا، فقال: وإذا كان كذا الحكم: كذا، وإذا كان كذا، ويصعده مائة درجة بهذه التقديرات، يقول: سأنظر هل يضجر ويمل ويغضب...، فما رأيكم لو غضب الشيخ في هذه الحال؟ يحق له ذلك؟ نعم... طيب ولو طرد الطالب؟ هذا ينظر فيه.

❁ ❁ ❁

وإذا بدا لك الانتقال إلى شيخ آخر، فاستأذنه بذلك، فإنه أدعى لحرمته، وأملك لقلبه في محبتك والعطف عليك.

الشرح

الله أكبر، كذلك أيضًا هذا طيب، إذا بدا لك أن تنتقل إلى شيخ آخر، أو أن تتعلم من شيخ آخر علمًا آخر غير ما تتعلمه عند شيخك، فإنه من الأدب أن تستأذن، للفائدة التي ذكرها الشيخ بكر ؛ أنه أدعى لحرمته، وأملك لقلبه ومحبتك والعطف عليك، ثم إنه قد يعلم عن الشيخ الذي تريد أنت الذهاب إليه ما لا تعلمه أنت، فينصحك، ويقول: احذر

---

(١) معجم التراكيب لأحمد أبو سعد ص/ ٢٨٣: تركيب مولد.

منه، أو لا تذهب إليه؛ لأن كثير من الشباب الصغار قد يغترون بأسلوب أحد من الناس، وبيان وفصاحة، فيظنونه ذاك الرجل العظيم، لكنه على خطر، فلهذا استئذان الشيخ له فوائد، منها ما ذكره الشيخ بكر، ومنها ما أشرنا إليه، إلا أنه قد يكون عند شيخك العلم عن هذا الشيخ الذي تريد أن تذهب إليه ما ليس عندك، فينصحك، ويبين لك، كذلك أيضًا إذا أراد الإنسان أن يسافر مثلًا، ويعرف من شيخه أنه يتفقد الطلاب، وأنه ينشغل قلبه إذا فقد أحدًا، ولاسيما إن كان من الحريصين، فينبغي أن تؤذنه، وتقول: إنني مسافر حتى لا ينشغل قلبه، أو يتهمك بالخمول والكسل والملل وما أشبه ذلك.

❁ ❁ ❁

إلى آخر جملة من الآداب يعرفها بالطبع كل موفق مبارك، وفاءً لحق شيخك في أبوته الدينية، أو ما تسميه بعض القوانين باسم الرضاع الأدبي[1]، وتسميه بعض العلماء له الأبوة الدينية أليق، وتركه أنسب.

واعلم أنه بقدر رعاية حرمته يكون النجاح والفلاح، وبقدر الفوت يكون من علامات الإخفاق.

تنبيه مهم: أعيذك بالله من صنيع الأعاجم، والطرقية، والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع، من لحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف، والقبض على اليمين باليمين والشمال عند السلام، كحال تودد الكبار للأطفال، والانحناء عند السلام، واستعمال الألفاظ الرخوة، المتخاذلة، سيدي، مولاي، ونحوها من ألفاظ الخدم والعبيد.

الشرح

* **«أعيذك بالله»** يعني هذه الجملة يريد به التحذير من هذا **«صنيع الأعاجم والطرقية والمبتدعة الخلفية، من الخضوع الخارج عن آداب الشرع من لحس الأيدي»** هذا ما سمعنا به، أقول: لحس الأيدي: أن يخرج الإنسان لسانه ويلحس اليد، لكن تقبيل الأيدي كثير، وتقبيل الأيدي لا بأس به ما لم يخرج عن حد الإفراط والزيادة، وتقبيل الأكتاف ليس أيضًا مذمومًا، على كل حال ولا محمودًا بكل حال، عندما يأتي الإنسان من سفر فلا بأس أن

---

(١) مقاصد الشريعة لجلال الفاسي ص/ ٣٣.

يقبل هامته وجبهته، وكذلك بأكتافه، لأنه لا يضر إلا إذا اقترن ذلك بانحنائه، كذلك القبض على اليمين باليمين والشمال، هذا أيضًا لا نرى فيه بأسًا، فإن ابن مسعود رضي الله عنه قال: علمني النبي ﷺ التشهد كفي بين كفيه[١]. وهذا يدل على أن يقبض الكف بالكف، وإذا اعتاد الناس أن يفعلوا ذلك عند السلام، فلا حرج ؛ لأنه ليس فيه نهي، صحيح أن المصافحة باليد مع اليد فقط، لكن هذا من باب إظهار الشفقة والإكرام، كما هو معروف الآن، فلا نرى في ذلك بأسًا، بل الانحناء عند السلام، حق هذا خلق ذميم ؛ ينهى عنه ؛ لأنه ورد النهي عن ذلك.

* «**استعمال الألفاظ الرخوة المتخاذلة: سيدي، مولاي**»: هذا مالها داعي، إلا حقيقة أن الشيخ سيد إلى تلميذه، ولكن لا ينبغي أن يتخاذل أمامه حتى يقول: سيدي، أو يقول مولاي، ولكن مع ذلك هو جائز من حيث الشرع، إلا أنه قال بالنسبة للعبد المملوك، يقوله: سيده المالك، كما جاء في الحديث: «**وليقل: سيدي ومولاي**»[٢].

❁ ❁ ❁

وانظر ما يقوله العلامة السلفي الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري (م سنة ١٣٨٠هـ) – رحمه الله تعالى – في البصائر، فإنه فائق السياق[٣].

الشرح

يعني أحالنا إلى هذا الكتاب المسمى «البصائر»، فإنه فائق السياق لا أعرف الكتاب هذا، ولا طالعته.

❁ ❁ ❁

١٩ – رأس مالك أيها الطالب من شيخك:

القدوة بصالح أخلاقه، وكريم شمائله، أما التلقي والتلقين فهو ربح زائد، لكن لا يأخذك الاندفاع في محبة شيخك، فتقع في الشناعة من حيث لا تدري، وكل من ينظر إليه يدري، فلا تقلده بصوت ونغمة، ولا مشية، وحركة، وهيئة، فإنه إنما صار شيخًا جليلًا بتلك،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٢٦٥)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٥٥٢)، ومسلم (٢٢٤٩).

(٣) آثاره ٤/ ٤٠ – ٤٢.

فلا تسقط أنت بالتبعية له في هذه.

الشرح

القدوة بصالح أخلاقه وكريم شمائله هذا من أهم ما يكون إذا كان شيخك على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة الطيبة، فهنا اجعله قدوة لك، لكن قد يكون الشيخ على خلاف ذلك أو عنده نقص في ذلك، فلا تقتدي به في هذا ولا تقل إذا صار شيخك عنده خلق سيء فاقتديت به.. تقول هكذا كان شيخي مثلًا، لأن الشيخ يكون قدوة، لكن بماذا؟

بالأخلاق الفاضلة، والشمائل الطيبة، كذلك أنت، أما التلقي، والتلقين فهو ربح زائد، فالواقع أن التلقي والتلقين هو الأصل ؛ لأن التلميذ لما يأت للشيخ من أجل أن يتعلم منه الأخلاق فقط، بل من أجل أن يتعلم العلم أولًا، ثم الأخلاق ثانيًا، ففي الحقيقة أن التلقي والتلقين أمر مقصود كما أن الاقتداء به في أخلاقه أمر مقصود أيضًا ؛ ولهذا لو سألت أي طالب علم لماذا حضرت عند هذا الشيخ؟ فقال: لأتلقى علمًا، ولا يقول: لأجعله قدوة لي في الأخلاق، وعلى كل فالشيخ شيخ في العلم، وفي الأخلاق.

* **أما قوله: «لا تقلده بصوت، ونغمة»**، فهذا صحيح ؛ لأن بعض الناس يملكه حبه لشيخه، أو لغيره من الناس حتى يبدأ يقلد صوته ونغمته....

* **كذلك: «ولا مشية وحركة وهيئة»** هذا أيضًا ليس على إطلاقه بل يقال: إن كانت مشية الشيخ كمشية النبي ﷺ فاقتدِ بها، لكن لا لأن الشيخ قدوتك، ولكن لأن رسول الله ﷺ قدوتك، وكذلك أيضًا الحركة قد تكون في بعض المعلمين، حركة ممقوتة، تجده مثل: لو يتحرك بحركة الكلمة تحرك كل جسمه...، نعم، هذا لا تقتدي به في هذا، لكن حركة تبين المراد أو تبين ما في النفس من انفعال، هذه لا بأس بها، وربما تكون تنشط الطالب ؛ لكن تجد فرقًا بين معلم يكون له حركات تنبأ عن المعنى، وعما في نفسه من احساسات، وبين معلم يسرد لك الحديث سردًا، ولما كنت في الطلب في المعهد العلمي في الرياض، يأتينا واحد يدرسنا في النحو ما شاء الله، ولكنه لا يتكلم، يعني ويتحرك في كل شيء يحتاج إلى حركة يتحرك فتجد أننا مشدودين معه تمامًا، ويحيينا حتى لو كان عندنا نوم في الأول يطير عنا النوم، لكن يأتي واحد يسرد الحديث سردًا، هذا قد يموت حيل الإنسان ويكسره، فهذه المسألة يفصل فيها، لا تقلد شيخك في الهيئة إلا إذا كانت هيئته

حسنة، يعني لا نقول: اترك تقليده مطلقًا، ولا تقلده مطلقًا قد يكون مثلًا الشيخ لا يبالي بهيئة جميلة بالثياب الحسنة، بلبس العباءة على ما ينبغي، بلبس الشماغ على ما ينبغي، هذا لا تقلده، وقد يكون الشيخ يراعي المروءة في ذلك ويستعمل بالجملة عند الناس ويزينه فهنا لا بأس أن يقلده. إذن هذه المسائل تحتاج إلى تفصيل. وأما قوله: لا تسقط أنت بالتبعية له، فإذا كنت أتابعه في أمر محمود فليس هذا بسقوط، نعم.

س: والانحناء عند السلام، عند تقبيل جبهة الشيخ، هذا لابد منه.

ج: لا ما يعني هذا، هو يعني مثلًا صافحك الشيخ قائم فانحنيت له، وأما هنا انحناؤك لتقبيل جبهته لا تعظيمًا له، لكن لأنه لا يمكن أن تقبله إلا وأنت منحني، ويكون انحناؤك فوق رأسه، والانحناء للتعظيم يكون انحناؤك تحته.

س: كذلك إذا كان الشيخ مثلًا قصير فما هو السبيل؟

ج: هذه المسائل لا يوردها العلماء.

س: أحسن الله إليك هل الآداب التي مرت بنا تثبت للمدرس في الجامعة والمدرسة.

ج: أي نعم تثبت لمدرس الجامعة والمدرسة، لكن تعرف أن مدرسي المدارس بعضهم ليس أهلًا أن يكون شيخًا يقتدى به، لكن على سبيل العموم نريد بذلك أهل المشيخة الذين لهم قدم رأس في العلم وفي الأخلاق وفي الآداب.

❁ ❁ ❁

٢٠- نشاط الشيخ في درسه:

يكون على قدر مدارك الطالب في استماعه، وجمع نفسه، وتفاعل أحاسيسه مع شيخه في درسه، ولهذا فاحذر أن تكون وسيلة قطع لعلمه، بالكسل، والفتور، والاتكاء، وانصراف الذهن وفتوره.

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى -[١]:

حق الفائدة أن لا تساق إلا إلى مبتغيها، ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع، فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر

---

(١) الجامع ١/ ٣٣٠.

فهم المستمع، فليسكت، ثم ساق بسنده عن زيد بن وهب، قال: قال عبد الله: حدث القوم ما رمقوك بأبصارهم، فإذا رأيت منهم فترة فانزع اهـ.

الشرح

هذا أيضًا من حلية الطالب: أن يكون له همة وقوة في الاستماع إلى الشيخ، واتباع نطقه حتى ينشط الشيخ على هذا، ولا يظهر للشيخ أنه قد مل وتعب بالاتكاء تارة، والحملقة فيه تارة، أو تقليب الأوراق تارة، وما أشبه ذلك، ولا ينبغي للإنسان أن يلقي العلم بين الطلبة ولا بين عامة الناس إلا وهم متشوقون له حتى يكون كالغيث أصاب أرضًا يابسة فقبلته، وأما أن يكره أو يفرض نفسه، فهذا أمر لا ينبغي.

أولًا:لأن الفائدة تكون قليلة.

وثانيًا:ربما يقع في قلب السامع الذي أكره على إلقاء هذه الكلمة مثلًا: يقع في قلبه كراهة إما للشخص، وإما لما يلقيه الشخص، وكلا الأمرين مر، وأمرُّهما أن يكره ما يلقيه الشخص.

على كل حال متى رأيت الناس متشوقين للكلام فتكلم، وإذا رأيت الأمر لا يناسب، فلا تتكلم، لا تثقل على الناس، وهذا قد مر معنا في البخاري في حديث عبد الله بن عباس: أنك لا تلقي على القوم حديث إلا وأنت تعلم أنَّهم يحبون ذلك، وإلا فلا تلقه عليهم، وهنا يقول عن الخطيب البغدادي – رحمه الله -: حق الفائدة ألا تساق إلا لمبتغيها ولا تعرض إلا على الراغب فيها، فإذا رأى المحدث بعض الفتور من المستمع فليسكت، فإن بعض الأدباء قال: نشاط القائل على قدر فهم المستمع، وهذا صحيح، القائل المتكلم نشاطه على قدر فهم المستمع وإن شئت فقل: على قدر انتباه المستمع ؛ لأن الفهم مرتبة وراء الانتباه، ينتبه الإنسان أولًا ثم يفهم، والفهم أمره خفي لكن الإنسان ينشط إذا رأى القوم قد انتبهوا له، وأحسن الإنصات والإصغاء.

* * *

٢١ – الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة:

وهي تختلف من شيخ لآخر، فافهم.

الشرح

كيف تختلف من شيخ لآخر؟ الكتابة عن الشيخ حال الدرس والمذاكرة، فبعضهم سريع، وبعضهم يملي إملاءً، وبعضهم يلقي إلقاءً، وبعضهم لا يستحق أن يكتب ما يقول، لكن مثل هذا قد لا يكون إنسان يضيع وقته في الجلوس إليه، والكلام في شيخ يأتي الإنسان إليه ليستفيد، وأيضًا يجب في مسألة الكتابة – أي: حال إلقاء الشيخ – يجب أن ينتبه الإنسان إلى مسألة مهمة، وهي أنه قد يفوته بعض الكلمات من حيث لا يشعر، فيكتب خلاف ما قال الشيخ – كما جرى ذلك – ونحن الآن نحمد الله في هذا الوقت لا نحتاج أن يكتب الطالب حال إلقاء الشيخ... لماذا؟ لأنه عندنا تسجيلات – الحمد لله – تسجيل ينقل لك كلام الشيخ من أوله إلى آخره، وأنت تستمع إليه وتقيد ما ترى أنه جدير بالتقييد.

❁ ❁ ❁

ولهذا أدب وشرط، أما الأدب: فينبغي لك أن تعلم شيخك أنك ستكتب، أو كتبت ما سمعته مذاكرة، وأما الشرط: فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه[(١)].

الشرح

الأدب لابد أن تخبر الشيخ بأنك ستكتب، وإذا كنت تريد أن تسجل أخبره بأنك سوف تسجل ؛ لأن الشيخ ربما لا يرضى أن تكتب عنه شيئًا، كما يوجد في بعض المشايخ الآن لا يرضى أن أحدًا يكتب عنه شيئًا، أو ينقل عنه بواسطة التسجيل؛ ولهذا من الأدب أن تستأذن من الشيخ، وأما الشرط فتشير إلى أنك كتبته من سماعه من درسه حتى يتبين القارئ؛ لأنك لو لم تشر إلى هذا، لظن القارئ أن الشيخ أملاه عليك إملاءً، وهناك فرق بين الإملاء، وبين كتابة الدرس الذي يلقيه الشيخ بدون أن يشعر بأنه يملي على الطلبة...، يعني ما يسمى بالتقرير، فرق بين كتابة التقرير، وبين كتابة الإملاء ؛ لأن الإملاء سوف يكون محررًا ومنقحًا، والشيخ لا يملي كلمة إلا ويعرف منتهاها، لكن التقرير يلقي الكلام هكذا مرسلًا وربما يتداخل بعضهم من بعض، ربما يكون سهوًا، وغير ذلك، فيفرق بين

---

(١) الجامع ٢/٣٦-٣٨.

التقرير وبين الإملاء.

ولذلك ينبغي أن يستأذن الشيخ، فإن قال قائل: هل إقرار الشيخ إذن بمعنى أنه إذا رأى الطلبة يكتبون وسكت؟ هل يعتبر إذنًا؟ نعم، نقول هو إذنٌ بشرط القدرة على الإنكار، فإن كان لا يقدر أن ينكر، يخشى أن تثور عليه الطلبة، وتهيج عليه الطلبة إذا قال: لا تكتبون...، فلا يعتبر سكوته إقراره، أنا أرى بعضكم يكتب ولا بأس ما في مانع بشرط أن لا يشغله عن الاستماع.

❁ ❁ ❁

٢٢- التلقي عن المبتدع:

احذر «أبا الجهل» المبتدع، الذي مسه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة، يحكم الهوى، ويسميه العقل، ويعدل عن النص، وهل العقل إلا في النص؟ ويستمسك بالضعيف، ويبعد عن الصحيح، ويقال لهم أيضًا: أهل الشبهات[1]، وأهل الأهواء؛ ولذا كان ابن المبارك - رحمه الله تعالى - يسمي المبتدعة: الأصاغر. رواه الخطيب في الجامع[2].

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى -[3]:

إذا رأيت المتكلم والمبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث، وهات العقل: فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق.

والوجد، فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبنت منه فاهرب، وإلا فاصرعه، وابرك على صدره، واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه اهـ.

الشرح

يقول -رحمه الله-: «احذر أبا جهل» يعني صاحب الجهل - «المبتدع الذي مسه زيغ العقيدة، وغشيته سحب الخرافة كحكم الهوى ويسميه العقل»، وهذا التحذير الذي قاله الشيخ بكر أمر لازم يجب أن نحذر أهل البدع، وإن صاغوا البدع بصياغة مغرية مزخرفة، كما قيل فيهم:

---

(١) الجامع ١/١٣٧.

(٢) منهاج السنة النبوية.

(٣) السير ٤/٤٧٢.

حجج تَهافت كالزجاج تخالها حقًّا وكـلٌّ كاسـرٌ مكسور

فأنت ترى الآن يرى السحاب فيحسبه ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا ووجد الله عنده فوفاه حسابه، احذر صاحب الهوى، وهؤلاء الذين يتبعون أهواءهم في العقيدة يسمون ذلك العقل، والحقيقة أنه عقل... ولكنه عقلهم عن الهدى إلى اتباع الهوى، فهم كما قال ابن القيم في أمثالهم: هربوا من الرق الذي خلقوا له وبلوا برق النفس والشيطان، يعدل عن النص، ويقول: دل العقل على الخلاف، سبحان الله !! هل العقل يخالف النص؟ أبدًا.. لا يمكن بأي عقل صريح خال من الشبهات، والشهوات، يخالف النص الصريح أبدًا، لكن العلة إما من النقل كيف يكون غير صحيح، أو من العقل قد يكون غير صريح، أما مع صراحة العقل، وصحة النقل فلا يمكن أن يوجد تعارض إطلاقًا، ولهذا ينص الله ﷻ عن المخالفين للرسل ينفي عليهم عقولهم، يقول: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ٦٨] ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾، وما أشبه ذلك، فالعقل كما قال الشيخ: «وهل العقل إلا في النص وقال: ويستمسك بالضعيف ويبعد عن الصحيح»، وأكثر ما يكون ذلك في الوعاظ والقصاص تجدهم يحشون أدمغتهم من الأحاديث الضعيفة من أجل تهييج الناس ترغيبًا أو ترهيبًا، يأتي بمثال: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّـهُ أَحَدٌ﴾، يقول: قال النبي ﷺ: «إن الله يخلق من كل حرف من سورة قل هو الله أحد ألف طائر، ولكل طائر ألف لسان كلها تدعو أو تسبح لهذا الذي قرأها...». من أين جاءنا هذا!!، وأشياء عجيبة غريبة، في فضائل الأعمال تذكر، كذلك يقال لهم أيضًا: أهل الشبهات مع أهل الجهل، وأهل الأهواء، وكان ابن المبارك يسمي المبتدعة: الأصاغر، وهذا وصف مطابق للموصوف، فهم أصاغر، وإن عظموا أنفسهم، وكل من خالف النص فهو صغير.

* أما كلام الذهبي: فيقول: إذا رأيت المتكلم عن المبتدعة يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث وهات العقل، فاعلم أنه أبو جهل، وليس أبا علم بل هو جاهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقول، ومن العقل أيضًا، وهات الذوق والوجد.. هؤلاء الصوفية كل دينهم ذوق ووجد، فهذا أيضًا يقول: فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، الظاهر أن الذهبي -رحمه الله- لقي النكد من هؤلاء ؛ ولهذا شدد في تقبيح أوصافهم، أو قد حل فيهم، يعني إما هو شيطان، وإما حل فيه الشيطان.

* «فإن جبنت منه فاهرب» يعني إن عجزت عنه أن تجادله وتناظره فاهرب، لأن هذا هو الحكمة، وإذا كنت تستطيع أن تجادله، وأن تفحمه فاصرعه صرعًا حسيًّا أو معنويًّا اصرعه وابرك على صدره «هذا يدل على أنه حسي». «واقرأ عليه آية الكرسي حتى يذهب الشيطان واخنقه».

الإنسان يسمع كلام الذهبي هذا في ظنه إذا صرعه ثم برك على صدره، ثم قرأ عليه آية الكرسي، ثم خنقه سيموت ؛ لأنه يكون خنقه حينئذٍ شديدًا وقويًّا، ولكن على كل حال الظاهر أن الذهبي – رحمه الله – أصابه ما أصابه من هؤلاء، والمعافى من عافاه الله منها: لو ذهبت إلى بعض البلاد الإسلامية لوجدت من هؤلاء القوم عجبًا كما يذكر عنهم العلماء السابقون واللاحقون، يعني يصلون إلى حد الجنون، يضربون بالطبول، يضربون بالعصي على الأرض، يغبرون تغبير... يأخذ كل واحد منهم سوط ويهللون تهليلاتهم، وأذكارهم، ثم يضرق الإنسان الأرض، والذي يكن أكثر غبارًا، فهو صدق إرادة ؛ لأن إذا كان أكثر غبارًا صار أشد وأقوى، فيكون هذا دليلًا على أنه مريد حقًّا – اللهم لك الحمد.

❁ ❁ ❁

وقال أيضًا – رحمه الله تعالى –[1]:

وقرأت بخط الشيخ الموفق قال: سمعنا درسه -أي ابن أبي عصرون- مع أخي أبي عمر، وانقطعنا، فسمعت أخي يقول: دخلت عليه بعد، فقال: لم انقطعتم عني؟ قلت: إن ناسًا يقولون: إنك أشعري، فقال: والله ما أنا أشعري، هذا معنى الحكاية. اهـ.

الشرح

يستفاد أنك لا ينبغي أن تجلس لمبتدع، وإن كانت بدعته خفيفة كبدعة الأشعرية.

❁ ❁ ❁

وعن مالك- رحمه الله تعالى- قال[2]:

لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة

(١) السير ٢١/ ١٢٩.
(٢) السير ٨/ ٦١.

يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كنت لا أتّهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يحدث به.

فيا أيها الطالب إذا كنت في السعة والاختيار، فلا تأخذ عن مبتدع: رافضي، أو خارجي، أو مرجئي، أو قبوري،... وهكذا، فإنك لن تبلغ مبلغ الرجال- صحيح العقد في الدين، متين الاتصال بالله، صحيح النظر، تقفو الأثر- إلا بِهجر المبتدعة وبدعهم.

الشرح

والذي يعلم من كلام الشيخ -رحمه الله ووفقه الله- أنه لا يؤخذ عن صاحب البدعة شيء، حتى فيما لا يتعلق ببدعته، فمثلًا: إذا وجدنا رجلًا مبتدعًا، لكنه جيد في علم العربية: البلاغة، والنحو، والصرف، فهل نجلس إليه ونأخذ منه هذا العلم الذي هو موجودًا فيه، أو نهجره؟ الظاهر كلام الشيخ أننا لا نجلس إليه ؛ لأن ذلك يوجب مفسدتين:

المفسدة الأولى: اغتراره بنفسه، فيحسب أنه على حق.

المفسدة الثانية: اغترار الناس به، حيث يتوارد عليه طلاب العلم، ويتلقون منه، والعامي لا يفرق بين علم النحو، وعلم العقيدة ؛ لهذا نرى أن الإنسان لا يجلس إلى أهل الأهواء والبدع مطلقًا، حتى إن كان لا يجد علم العربية والبلاغة، والصرف مثلًا إلا فيهم، فسيجعل الله له خيرًا منها ؛ لأنا لو نأتي إلى هؤلاء، ونتردد إليهم لا شك أنه يوجب غرورهم، واغترار الناس بِهم.

س: إذا كنا نقرأ عليهم القرآن وكان صاحب بدعة، فهل نقرأ عليهم القرآن؟

ج: لا تقرأ.

س: التعاون يا شيخ مع الجمعيات والمؤسسات المبتدعة في مجال دراسة الأعمال الخيرية؟

ج: إذا لم يلزم منهم محذور، فلا بأس فإن ترتب عليهم محظور فلا تفعل.

س: قد يؤدي إلى اغترار الناس فإذا كان هذا طالب علم يشار إليه بالبنان ويروح مؤسسة مبتدعة؟

ج: هذا من اغترار الناس بذلك يعني هذا يكون إغاثة مستقلة وليس ترك الإغاثة.

س: ما المقصود بالسالك التوحيدي؟

ج: السالك التوحيدي يريد بذلك الصوفية.

س: يمكن تسجل لنا كلمة بارك الله فيكم عن واجب المسلمين نحو ما يحصل لإخوانهم في البوسنة وكشمير وفلسطين؟

ج: **أولًا**: أنا أحب أن أسجل كلمة ثم يدور بين الإخوة الطلاب العلم في البلاد، سواء عندنا أو عندكم، فإنه لا يجوز للإخوة طلاب العلم أن يتفرقوا، أو تتفرق كلمتهم بِمجرد خلاف يسوغ فيه الاجتهاد؛ لأن ذلك ضرر يحصل به الفشل، وذهاب الريح، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا﴾ [الأنفال: ٤٦]، ثم هو قوة عظيمة للعدو المخالف سواء كان هذا العدو المخالف بدعيًّا ينتسب للإسلام أو كان كافرًا أيضًا ؛ لأن الكفار يودون من المسلمين أن يتفرقوا وأهل البدع يودون أهل السنة أن يتفرقوا، فالواجب على أهل السنة أن يقطعوا الطريق على هؤلاء، وأن تجتمع كلمتهم، وأن لا يكون بأسهم بينهم، وأن تتسع صدور بعضهم لبعض، وأن يعلموا أن الخلاف قد وقع في الأقوال، وليس خلاف في القلوب، وهذا هو الذي نريده من طلاب العلم، أما بالنسبة لإخواننا الذي ابتلاهم الله تعالى وسلط عليهم من شاء من خلقه في الشيشان، والبوسنة، والهرسك، وكشمير، والصومال، فإن عليهم أن يصبروا ويحتسبوا، وعلى إخوانهم من المسلمين أن يدعوا لهم بالنصر والتأييد، وأن يدعوا على أعدائهم بالخذلان والتبديد، وتفريق الكلمة، ما إلى ذلك من الدعاء المناسب، هذا أقل ما يجب علينا لإخواننا المسلمين المضطهدين، أو المقاتلين، الذين تسلط عليهم الأعداء... ونحن الآن في انتظار فريضة من فرائض الله تعالى نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينصر إخواننا المسلمين في كل مكان، وأن يذل أعداءهم في كل مكان، ونسأل الله ﷻ أن يرد كيد أعداء الإسلام في نحورهم، ونقول: اللهم من أراد بالمسلمين سوءًا فاجعل كيده في نحره، وأفسد عليه أمره، واجعل تدبيره تدميرًا عليه، إنك على كل شيء قدير.

***

وكتب السير والاعتصام بالسنة حافلة بإجهاز أهل السنة على المبتدعة، ومنابذة المبتدعة، والابتعاد عنهم، كما يبتعد السليم عن الأجرب المريض، ولهم قصص، وواقعات يطول

شرحها، لكن يطيب لي الإشارة إلى رءوس المقيدات فيها: فقد كان السلف -رحمهم الله- يحتسبون الاستخفاف بهم، وتحقيرهم، ورفض المبتدع وبدعته، ويحذرون من مخالطتهم، ومشاورتهم، ومؤاكلتهم، فلا تتوارى نار سني ومبتدع.

وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع، فينصرف، وقد شوهد من العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (م سنة ١٣٨٩هـ)- رحمه الله تعالى- انصرافه عن الصلاة على مبتدع، وكان من السلف من ينهى عن الصلاة خلفهم، وينهى عن حكاية بدعهم ؛ لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة.

وكان سهل بن عبد الله التستري لا يرى إباحة الأكل من الميتة.. للمبتدع عند الاضطرار؛ لأنه باغ ؛ لقوله تعالى:﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ [الأنعام: ١٤٥] الآية، فهو باغ ببدعته(١).

وكانوا يطردونهم من مجالسهم، كما في قصة الإمام مالك- رحمه الله تعالى- مع من سأله عن كيفية الاستواء، وفيه بعد جوابه المشهور: أظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج، وأخبار السلف متكاثرة في النفرة من المبتدعة، وهجرهم، حذرًا من شرهم، وتحجيمًا لانتشار بدعهم، وكسرًا لنفوسهم حتى تضعف عن نشر البدع ؛ ولأن في معاشرة السني للمبتدع تزكية له لدى المبتدئ والعامي: مشتق من العمى، فهو بيد من يقوده غالبًا، ونرى في كتب المصطلح، وآداب الطلب، وأحكام الجرح والتعديل الأخبار في هذا(٢).

الشرح

المؤلف -وفقه الله- حذر هذا التحذير المديد من أهل البدع، وهم جديرون بذلك ولاسيما إذا كان المبتدع سليط اللسان، فصيح البيان، فإن شره يكون أشد وأعظم، ولا سيما إذا كانت بدعة مكفرة أو مفسقة تفسيقًا بالغًا، فإن خطره أعظم، ولاسيما إذا كان يتظاهر أمام الناس بأنه من أهل السنة ؛ لأن بعض أهل البدع عندهم نفاق، تجده عند من

---

(١)الفتاوى ٢٨/ ٢١٨ انظرها فهومهم.

(٢)منها في: الجامع للخطيب: باب تخير الشيوخ إذا تباينت أوصافهم ١٠/ ١٢٧. وفي كتاب: منهاج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للسامرائي ص/ ٢١٥- ٢٥٥ وهو مهم، وفي: التحول المذهبي من: الإسفار، لراقمه، أمثلة من آثار مخالطتهم.

يخاف منه يتمسكن، ويقول: أنا من أهل السنة، وأنا لا أكره فلان ولا فلان من الصحابة، وأنا معكم، وهو كاذب فمثل هؤلاء يجب الحذر منهم، وإن كان المبتدع عنده علوم لا توجد عند أهل السنة، ولا تتعلق بالعقيدة كمسائل النحو والبلاغة وما أشبهها، فلا تأخذ منه ؛ لأنه يتولد من ذلك مفسدتان، **الأولى**: كاغتراره بنفسه، **والثانية**: اغترار الناس به، فالناس لا يعلمون، فلذلك يجب الحذر.

* وقوله: «وكان من السلف من لا يصلي على جنازة مبتدع» على كل حال إذا كانت البدعة مكفرة، فلا شك أن الصلاة عليه لا تجوز ؛ لقوله تعالى لرسوله ﷺ في المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٤] ، هذا لا يصلى عليه، أما إذا كانت غير مكفرة، فهذا ينظر فيما يترب على ترك الصلاة عليه من المفسدة أو عدمها، فإذا كان أهل السنة أقوياء، وكان أهل البدعة في عنفوان دعوتهم، فلا شك أن ترك الصلاة عليهم أولى ؛ لأن أهل السنة أقوى منهم، وهؤلاء في عنفوان دعوتهم، ربما إذا تركنا الصلاة عليهم يحصل بذلك ردع عظيم لهم، وما ذكر عن الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- مفتي البلاد السعودية في زمانه يدل على قوته -رحمه الله- وصرامته، حيث انصرف عن الصلاة على مبتدع، وأيضًا الصلاة خلفه من باب أولى أن يحذر الإنسان منها، فإن كانت بدعته مكفرة، فإن الصلاة خلفه مع العلم ببدعته المكفرة لا تصح، وإن كانت دون ذلك، فالصحيح أن الصلاة خلفه صحيحة، لكن لا ينبغي أن يصلي خلفه، أما ما ذكر عن سهل بن عبد الله التستري، الذي لا يبيح أكل الميتة للمبتدع، وإن اضطر إلى ذلك، فإن كان هذا المبتدع كافر، فإنه لا يباح له عند الله أكل الميتة، ولا أكل مذكاته ؛ لقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا﴾ [المائدة: ٩٣] ، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢] ، فدل هذا على أن الطيبات من الرزق والزينة التي أخرج الله لعباده ليست خالصة لغير المؤمنين يوم القيامة، بل يحاسبون عليها، فإذا كانت بدعته مكفرة فنحن نقول: لا يحل له أن يأكل الميتة عند الاضطرار، ولا المذكاة عند الاختيار، لكن نقول: تب إلى الله من بدعتك المكفرة، وكل كما يأكل المؤمنين.

وإن كانت مفسقة ففي ما قاله – رحمه الله – نظر ؛ لأن الصحيح فيما قاله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، أي غير مبتغ لأكل الميتة ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي غير معتد لأكل ما يحتاج إليه، هذا هو الصحيح في معنى الآية والدليل على أن هذا هو الصحيح، قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣] ومن العلماء من قال المراد بالباغي: من بغى على الإمام وليس كل فاعل معصية، ففي كلام سهل -رحمه الله- تفصيل: وهو إن كانت بدعته مكفرة فلا يحل له أن يأكل من الميتة و المذكاة ويحاسب بذلك عند الله، وإن كانت غير مكفرة ففي ما قاله نظر، أما طرده من المجالس، فنعم يطردون من المجالس، وللشيخ أن يطرد في مجلسه ما دون ذلك إذا رأى من أحد من الطلبة أنه يريد أن يفسد الطلب عند زملائه وبحيث يعتدون على الشيخ ولا يهابونه ويحتقرونه، فله أن يطرده ؛ لأن هذا يعتبر ماذا؟! مفسدة فيطرد، والإمام مالك -رحمه الله- قال: ما أراك إلا مبتدعًا ؛ لأن الذين يسألون عن مثل هذا هم المبتدعة، يسألون كيف استوى؟ يحرجون بذلك أهل السنة، يقولون: أخبرني كيف استوى؟ كيف استواؤه؟ والجواب عن ذلك سهل: أن الله أخبرنا أنه قد استوى على العرش، ولم يخبرنا كيف استوى، وهل نعلم كيفية شيء لم نعلم به وهو غائب عنا؟! أبدًا.

لو قال لك قائل: إني بنيت بيتًا، فقد علمت أنه بنى بيتًا، وتعرف كيف بناء البيت، لكن هل تعرف كيفية هذا البيت، وما فيه من الحجر والغرف؟ الجواب: لا...إذا كنت لم تشاهده، وهكذا صفات الله ﷻ، أخبرنا عنها ولم نخبر عن كيفيتها.

* وقوله: «العامي من العمى» لم أعرف أنه اشتق من العمى إلا الآن، فينظر في ذلك هل هو من العمى، أو من العموم، أي عموم الناس، والعامي لا شك أنه هو الجاهل الذي لا يعرف، والجهل عمى، فينظر في هذا.

❁ ❁ ❁

فيا أيها الطالب: كن سلفيًّا على الجادة، واحذر المبتدعة أن يفتنوك فإنَّهم يوظفون للاقتناص، والمخاتلة سبلًا، يفتعلون تعبيدها بالكلام المعسول، وهو عسل مقلوب، وهطول الدمعة وحسن البزة، والإغراء بالخيالات، والإدهاش بالكرامات، ولحس الأيدي، وتقبيل الأكتاف... وما وراء ذلك إلا وحم البدعة، ورهج الفتنة، يغرسها في فؤادك، ويعتملك في

شراكه، فوالله لا يصلح الأعمى لقيادة العميان وإرشادهم.

أما الأخذ عن علماء السنة لتنهل من ميراث النبوة صافيًا، وإلا فليبك على الدين من كان باكيًا، وما ذكرته لك هو في حال السعة والاختيار، أما إن كنت في دراسة نظامية لا خيار لك فاحذر منه، مع الاستعاذة من شره، ولا تتخاذل عن الطلب، فأخشى أن يكون هذا من التولي يوم الزحف، فما عليك إلا أن تتبين أمره، وتتقي شره، وتكشف ستره.

الشرح

هذا احتراز جيد، يعني أنه قد يلجأ الإنسان إلى الأخذ عن مبتدع وذلك في الدراسات النظامية، فقد يندب إلى التدريس في العلوم العربية مثلًا أو في العلوم الأخرى، هو مبتدع ومعروف أنه من أهل البدع، ولكن ماذا تعمل؟ إذا كنت لابد أن تدرس على هذا الشيخ؟!

نقول: خذ من خيره ودع شره، إن تكلم أمام الطلاب في العقيدة فعليك بمناقشته إن كنت تقدر على المناقشة وإلا فارفع أمره لمن يقدر على مناقشته، واحذر أن تدخل معه في نقاش لا تستطيع التخلص منه ؛ لأن هذا ضرر ليس عليك أنت، على القول الذي تدافع عنه ؛ لأنك إذا فشلت أمام هذا الأستاذ مثلًا... صار في هذا كسر للحق، ونصر للباطل، لكن إذا كان عندك قدرة في مجادلته، فعليك بذلك، وربما يكون في هذا مصلحة للجميع، مصلحة لك أن يهديه الله على يديك، ومصلحة له هو يهديه الله من بدعته.

وهل يقال مثل ذلك فيمن ابتلوا بالدراسة النظامية مع الاختلاط على وجه نظامي؟

لا... وأحدهم يقول: نعم والثالث يفصل.

ممكن أن يقول بالتفصيل، إن دعت الضرورة إلى ذلك، إذا لم يكن هناك جامعات أو مدارس، خالية من ذلك، فهنا قد تكون هناك ضرورة، وفي هذه الحال يجب على الطالب أن يبتعد عن الجلوس إلى امرأة أو التحدث معها، أو تكرار النظر إليها، يعني بقدر ما يستطيع يبتعد عن الفتنة.

أما إذا كان من الممكن أن يدرس في مدارس أخرى خالية من الاختلاط أو فيها نصف اختلاط، بأن يكون النساء في جانب، والرجال في جانب آخر فليتق الله ما استطاع.

ومن النتف الطريفة: أن أبا عبد الرحمن المقرئ حدث عن مرجئ فقيل له: لم تحدث عن مرجئ؟ فقال: «أبيعكم اللحم بالعظام»[(١)]، فالمقرئ -رحمه الله تعالى- حدث بلا غرارة ولا جهالة، إذا بين فقال: وكان مرجئًا.

الشرح

أبيعكم اللحم بالعظام يعني معناه أنه ما من لحمة إلا وفيها عظم، فالباء هنا ليست للبدل بل للمصاحبة والمعية، يعني معناه: ما من لحمة إلا وفيها عظم، فأنا أعلمكم، أو أحدثكم بما حدثت به، لكن أقول: وكان مرجئًا، فيكون العظم هنا في وسط اللحم، ولا شك أنه إذا دعت الحاجة إلى التحديث عن شخص صاحب بدعة.. لا شك أنه يحدث عنه، لكن لابد من تبيين حاله، ما لم تكن بدعته مكفرة، فإنه لا يقبل منه حديث.

❁ ❁ ❁

وما سطرته هنا هو من قواعد معتقدك، عقيدة أهل السنة والجماعة، ومنه ما في العقيدة السلفية، لشيخ الإسلام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (م سنة ٣٣٩هـ)، قال- رحمه الله تعالى-[(٢)]: ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يحبونهم، ولا يصحبونهم، ولا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم، ولا يجادلونهم في الدين، ولا يناظرونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان وقرَّت في القلوب ضرت، وجرت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرت، وفيه أنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [الأنعام: ٦٨] اهـ..

الشرح

كلام الصابوني – رحمه الله – يحتاج إلى بيان قوله –رحمه الله –: يبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، لا شك أن هذا أمر واجب على كل مسلم أن يبغض من أحدث في دين الله ما ليس منه، لكن إذا كانت بدعته غير مكفرة، فإنه يبغض من وجه ويحب من وجه آخر، لكن بدعته تبغض بكل حال، كذلك أيضًا «ولا يصحبونهم» أيضًا

(١) الخطيب في جامعه ١/ ٢٢٤.
(٢) ص/ ١٠٠.

الصحبة، إذا صحبته تأليفًا له، ودعوة له، فلا بأس لكن بشرط، أنك إذا أيست من صلاحه، فارقته وتركته «لا يسمعون كلامهم، ولا يجالسونهم ولا يجادلونهم في الدين ولا يناظرونهم" كل هذه تحتاج إلى قيود، فـ«لا يسمعون كلامهم» إذا لم يكن في ذلك

فائدة: فإن كان في ذلك فائدة، بحيث يسمع كلامه ليرى ما عنده من باطل حتى يرد عليه فإن السماع هنا والاستماع واجب لأنه لا يمكنك أن ترد على قول إلا بعد أن تعرفه، إذ أن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، وأيضًا: لا تسمع عن أقوال أهل البدع من أعدائهم، بل من كتبهم لأنه ربما تشوه المقالة، فإذا قلت: أنتم تقولون كذا وكذا، قالوا: أبدًا ما قلنا بهذا أين كتبنا، ولهذا يخطئ بعض الناس حيث يحكم على شخص ببدعة أو بفعل مفسق دون أن يرجع إلى الأصل، لأنك إذا قلت: أنتم قلتم كذا وكذا، لأحد أهل البدع، وقال: لم نقل هذا هذه كتبنا تخسر كل الجولة، ولا يوثق بكلامك.

كذلك أيضًا «**لا يجادلونهم في الدين**» هذا يجب أن يقيد، لأن الله تعالى قال: ﴿**وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ فلابد من المجادلة، كيف نعرف نميز الحق من الباطل إلا بالمجادلة والمناظرة، نعم، المجادلة التي يقصد بها المراء، هذه ويتركون، إذا علمنا أن الرجل يجادل مراءاة، ما قصده الحق، فهذا ويترك، وانظر إلى قصة أبي سفيان حيث جعل ينادي يوم أحد، أفيكم محمد؟ أفيكم ابن أبي قحافة؟ أفيكم عمر؟ قال النبي ﷺ: «**لا تجيبوه**»[1] لماذا؟ إهانة له وإذلالًا وعدم مبالاة به، فلما قال: أعل هبل، وافتخر بصنمه وشركه، قال: «**أجيبوه**». الآن: ما يمكن السكوت، قالوا: ما نقول؟ قال: «**قولوا: الله أعلى وأجل**»، إذا كان صنمك قد علا اليوم، فالله أعلى وأجل، ثم قال: يوم بيوم بدر، والحرب سجال، يوم بدر للمسلمين، ويوم أحد لهؤلاء المشركين، قالوا له: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، هذا أيضًا افتخر، بقومه واستذل المسلمين فلا بد من مجاوبته فقالوا: لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، وصحيح لا سواء، على كل المجادلة إذا كان المقصود بها بيان الحق، كانت واجبة ولابد منها وكذلك المناظرة.

* «ويرون صون آذانهم عن أباطيلهم التي إذا مرت بالآذان، وقرت في القلوب، ضرت وجرت إليها من الوساوس والخطرات» هذا صحيح، الإنسان الذي يخشى على نفسه من

(١) صحيح: رواه البخاري (٣٠٣٩، ٤٠٤٣).

سماع البدع، أن يقع في قلبه شيء فالواجب عليه البعد وعدم السماع، وأما إذا كان عنده من اليقين والقوة والثبات ما لا يؤثر عليه سماعها فإنه إن كان في ذلك مصلحة سمعه واستحببنا له أن يسمعه، وإن لم يكن في ذلك مصلحة قلنا الأولى أن لا تسمعه لما في ذلك من إضاعة الوقت واللغو وفيها أنزل الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾[الأنعام: ٦٨] الآية واضحة، لكن إذا كنت تريد أن تعرف ما هم عليه من الباطل فترده فإنه لا يدخل في الآية الكريمة.

س: الشيخ بكر - حفظه الله - أطلق «أهل البدعة» مطلقًا، فلو كان كثير من أهل السنة مرتكبون بجهلهم، يعنى لا يظنون أن هذا هو بدعة، فهناك كثير من أهل السنة هكذا؟.

ج: إيه نعم.. العوام، صحيح، العوام على دين علمائهم.

س: يعنى: بعض الناس من أهل السنة مرتكبون البدعة، ولو ميز الفاهم بالبدعة والجاهل بالبدعة فما هو أحسن؟

ج: لا.. هو مراده أهل البدعة الذين يدعون إلى بدعتهم ويقررونها.

س: قلنا: لا نسمع ما قيل عنهم، حتى نعرف ما في كتبهم، ولكن بعض أهل الملة من أهل البدعة يقول: «خاصةً المحدثين منهم» يعني لهم محدثون لا نعرفهم، ومستحدثين لم يكونوا محدثين، فهم يقولون: لا تصدقوا هذا؛ لأنَّهم يقولون: نحن محدثين وهم ثقات، فهل نقل لهم: إن شهادة المهاجم لا تقبل منهم..، فعليه أن يثبت.. بالقرائن.

ج: إذا قال: إنه مبتدع «نشوف» وننظر، أما من عمله أم من قوله يتبين، وإلا كل إنسان سينفي البدعة عن نفسه.

س: هل مثل هذا الموقف مع أهل البدع يدخل مع كتبهم، ممن يريد الرد على هؤلاء الكتاب، فتحتفظ بالكتاب حتى يرد عليهم؟

ج: لا... - بارك الله فيك - من يريد الرد لابد أن يكون عنده قوة وثبات، أما إنسان يقول: سأحتفظ بالكتاب وإذا صرت عالمًا أرد عليه، فأنا أخشى يفتن قبل أن يكون عالمًا.

س: مَثل، يا شيخ: يكون في المدارس يريد أن يبين لهم بعض ما فيها؟

ج: لا... لا أبدًا، إذا كانت كتب المبتدعة، أو كتب أهل الكتاب، كالإنجيل ليست

مشهورة بأيدي الناس، فليعرض عنها ؛ لأن الشيطان مهما كان...، أنت إذا ذكرت الشر وإن حاولت أن ترفعه قد يرتفع من بعض الناس وقد لا يرتفع من بعض الناس.

س: **ما حكم احتفاظ طالب العلم بها في المكتبة؟**

ج: كما قلت لك: إذا لم يكن عنده علم وثبات، يرد عليها حاضرًا، طالب العلم هذا ربما يموت، يأتي بعده من يتلقى المكتبة، من لا يعرف.

س: **ما هي الشروط والحدود للمبتدع؟**

ج: - بارك الله فيك - هذا يعرف بتعريف البدعة، البدعة: هي التعبد لله ﷻ بغير ما شرع، وما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من عقيدة، أو قول، أو فعل، فقولنا: التعبد خرج به الأمور العادية، هذا وإن لم تكن معروفة في عهد الرسول ﷺ، فإنّها لا تضر، ولكن إذا فعل الإنسان عبادة يدين الله بها، سواء عقيدة، أو قول، أو فعل، فهذه هي البدعة، ومن تلبس بها فهو مبتدع، لكن هل يضلل ويمقت؟ نقول: لا... حتى تقوم عليه الحجة، ويبين له أن هذه بدعة، فإن أصر حينئذٍ، قلنا: إن الرجل فاسق، أو كافر ، حسب ما تقتضيه هذه البدعة.

س: **هل الأشعري الذي له خير في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واجتماع المسلمين، هل يثنى عليه بهذا الخير، وهل يشهر في العوام؟**

ج: إذا كان ينشر بدعته هذا الأشعري، يجب أن يبين حاله، ولكن يثنى عليه بما معه من الخير، ما لم يحصل بذلك فتنة.

ش: والذي يبدو لي والله أعلم أنّها من العموم، يعني من عموم الناس **«وبعثت للناس عامة»**[1] يعني عمومًا، الظاهر هذا أنّها من العموم، ويدل على هذا أنه تقرن في بعض الأحيان بالخاصة... الخاصة: هم حاشية الإنسان وأقاربه وأصدقائه وما أشبه ذلك.

❁ ❁ ❁

وعن سليمان بن يسار أن رجلًا يقال له: صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن؟ فأرسل إليه عمر ؓ وقد أعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد الله

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٣٥، ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

بن صبيغ، فأخذ عرجونًا من تلك العراجين، فضربه حتى دمي رأسه، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد، ثم تركه حتى برأ، فدعى به ليعود، فقال: إن كنت تريد قتلي، فاقتلني قتلًا جميلًا، فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري باليمن: لا يجالسه أحدٌ من المسلمين. رواه الدارمي.

وقيل: كان متهمًا برأي الخوارج. اهـ.

الشرح

هذا الحديث إذا صح سنده واتصاله، فهو يدل على شدة عمر - رضي الله تعالى عنه - على أولئك الذين يوردون المتشابه من القرآن لأنه كان يورد آيات متشابهة، مثلًا يقول: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٦]، ثم يأتي بالآية الأخرى التي تدل على أنهم يعتذرون، ولا يقبل منهم ويأتي يقول: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]، ثم يأتي بآية أخرى تدل على إقرارهم بذنوبهم، وما أشبه ذلك، وهذا ولا شك أنه سعي في الأرض بالفساد، وتشكيك الناس، وحق لمن هذه حاله أن يفعل به أمير المؤمنين رضي الله عنه ما فعل، وفيه أيضًا أن بعض الناس قد يورد المتشابهات؛ لاشتباهها عليه حقيقة وهذا لا يلام وقد يورد المتشابهات؛ لأنه في الأصل لم يركز على إرادة الجمع بين النصوص، فتجده دائمًا يتتبع الأشياء المتشابهة... ثم يأتي... ما الجمع بين كذا وكذا... وهذه الحقيقة ، مهنة ليست جيدة، وأذكر أن محمد الخلوني - رحمه الله - كان له حاشية على متن الممتع، وكان كل ما أتى ببحث قال: يحتمل كذا ، ويحتمل كذا ؛ فلقب عند بعض طلبة العلم بالشكاك ؛ لأنه لا يستقر على رأي، ولهذا ينبغي أن تتخذ لنفسك طريقًا، بأن تبني على أن الأمور واضحة، ولا تتبع المشتبهات؛ لأنك إن تتبعت الشبهات، ربما تذل.

عرجون النخل تعرفونه؟ العرق الذي فيه ، هذا هو العرجون، قال تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]اهـ.

❁ ❁ ❁

والنووي- رحمه الله تعالى- قال في كتاب الأذكار: باب التبري من أهل البدع والمعاصي، وذكر حديث أبي موسى رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ بريء من الصالقة، والحالقة، والشاقة. متفق

عليه[١].

الشرح

هذه الثلاث معناها واضح، **الصالقة**: التي ترفع صوتها بالنياحة، **والحالقة**: التي تحلق شعرها، تسخطًا وسواء حلقته بموسي، أو نتفته باليد، **والثالثة**: **الشاقة**: التي تشق الجيب عند المصيبة، وإنما برئ النبي ﷺ من هؤلاء الثلاث ؛ لعدم رضاهن بالقدر، ومن فعل من الرجال مثلهن، فحكمه حكمهن، لكنه ذكر ذلك ؛ لأن الغالب أن هذا يقع من النساء ؛ لأن الرجال أشد تحملًا من النساء.أهـ.

❁ ❁ ❁

وعن ابن عمر براءته من القدرية[٢]. رواه مسلم[٣].

الشرح

لأنه لما حدث بأن عندهم قومًا يقولون: إن الأمر أنف، يعني مستأنف، وأن الله لم يقدره من قبل ، قال للذي بلغه. أخبرهم، فإن ابن عمر منهم بريء؛ لأنهم أنكروا قضاء الله وقدره السابق.

يعتبرون من القدرية الذي يثبتون القدر أم الذين ينفون القدر، وهي نسبة عكسية؛ لأن الذي يسمع «القدرية» يظن أن المعنى هم الذين يثبتون القدر، والأمر بالعكس، فهي نسبة سلب لا إيجاب، وهؤلاء القدرية يسمون مجوس هذه الأمة، وقد وردت في ذلك أحاديث[٤]، ووجه ذلك أنهم جعلوا للحوادث محدثين، الحوادث الكونية التي من فعل الله... أحدثها الله ﷻ، كإنشاء الغيم، وإنزال المطر، وما أشبه ذلك، والحوادث التي تكون من فعل العبد.. استقل بها العبد فهم يرون أن العبد مستقل بعمله، وأن الله تعالى لا علاقة له

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٠٤)، وعلّقه البخاري رحمه الله باب ما ينهى من الحلق عند المصيبة- كتاب الجنائز.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٨).

(٣) وانظر أبحاثًا مهمة في: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ٢/ ١٣٢، ٥/ ١١٩، ١٤/ ٤٥٩-٤٦٠، ٣٦/ ١١٨.

(٤) ذكر القدرية باسمهم ورد في جملة أحاديث لا تسلم أسانيدها من ضعف، ولكن صح ذمهم بالوصف (نفي القدر). وراجع في ذلك الكبائر للذهبي رحمه الله.

به إطلاقا؛ ولهذا سموا مجوسًا ؛ لأنَّهم كالمجوس الذين يقولون: إن للحوادث خالقين، النور يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر اهـ.

❁ ❁ ❁

والأمر في هجر المبتدع ينبني على مراعاة المصالح، وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، وعلى هذا تتنَزل المشروعية من عدمها، كما حرره شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في مواضع[1].

الشرح

إذًا عاد الشيخ إلى ما ذكرنا وهو أن ينظر إلى المصالح، فإذا رأينا أن من المَصلحة أن لا نَهجره، ولكن نبين له الحق - لا نداهنه- ونبقيه على بدعته ونقول: أنت على بدعتك، ونحن على سنتنا، إذا رأينا المصلحة في هذا ، فترك الهجر أولى، وإن رأينا من المصلحة الهجر، بأن يكون أهل السنة أقوياء، وأولئك ضعفاء، مهزومين، فالهجر أولى اهـ.

❁ ❁ ❁

والمبتدعة إنما يكثرون ويظهرون، إذا قل العلم، وفشا الجهل، وفيهم يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى -: فإن هذا الصنف يكثرون، ويظهرون، إذا كثرت الجاهلية وأهلها، ولم يكن هناك من أهل العلم بالنبوة والمتابعة لها من يظهر أنوارها الماحية لظلمة الضلال، ويكشف ما في خلافها من الإفك، والشرك والمحال اهـ.

فإذا اشتد ساعدك في العلم، فَاقمع المبتدع وبدعته بلسان الحجة والبيان والسلام اهـ.

الشرح

صحيح: إذا اشتد ساعدك في العلم، أما إذا لم يكن عندك العلم الوافي في رد البدعة، فإياك أن تجادل ؛ لأنك إذا هزمت وأنت سني ؛ لعدم قدرتك على مدافعة هذا المبتدع، فهو هزيمة للسنة، ولذلك لا نرى الجواز للإنسان أن يجادل مبتدعًا، إلا وعنده قدرة على مجادلته، وهكذا أيضًا مجادلة غير المبتدعة الكفار، لا نجادلهم إلا ونحن نعلم أننا على يقين من أمرنا، وإلا لكان الأمر عكسيًّا، بدل أن يكون انتصار لنا، لما نحن عليه من دين

(١) منها في: مجموع فتاوى ٢٨/ ٢١٣، ٢١٦-٢١٨.

وسنة..يكون الأمر بالعكس، ومن ذلك يعني قوة الحجة أن يكون معك من يساعدك... كما قال الشاعر:

لا تخاصم بواحد أهل بيت ... فضعيفان يغلبان قويًا

إذا صار معك أحد فإن حجتك سوف تقوى ؛ لأنه يقمعه من الخد الأيمن، وأنت تقمعه من الخد الأيسر، حتى يضيع اهـ.

* * *

أدب الزَّمَالة

٢٣- احذر قرين السوء:

كما أن العرق دساس، فإن أدب السوء دساس[١]، إذ الطبيعة نقالة، والطباع سراقة، والناس كأسراب القطا، مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فاحذر معاشرة من كان كذلك، فإنه العطب، والدفع أسهل من الرفع، وعليه فتخير للزمالة والصداقة من يعينك على مطلبك، ويقربك إلى ربك، ويوافقك على شريف غرضك ومقصدك، وخذ تقسيم الصديق في أدق المعايير[٢].

الشرح

هذه الكلمات مأخوذة من قول الرسول ﷺ: «**مثل الجليس الصالح كحامل المسك، ومثل الجليس السوء كنافخ الكير**»[٣]، فعليك باختيار الصديق الصالح الذي يدلك على الخير، ويبينه لك، ويحثك عليه، ويبين لك الشرع، ويحذرك منه، وإياك وجليس السوء. فإن المرء على دين خليله، وكم من إنسان مستقيم قيض الله له شيطانًا من بني آدم، فصده عن الاستقامة، وكم من إنسان جائر قاصد ، يسر الله له من يدله على الخير، بسبب الصحبة. وبناء على ذلك نقول: إذا كان في مصاحبة الفاسق سبب لهدايته، فلا بأس أن تصحبه ؛ تدعوه إلى بيتك.. تأتي إلى بيته، تخرج معه للتمشي، بشرط أن لا يقدح ذلك في عدالتك عند الناس، وكم من إنسان فاسق، هداه الله تعالى بما يسره له من صحبة الخير، وقول - الشيخ بكر وفقه الله -: «كأسراب القطا» سبق أن هذا الكلام من شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وهو حقيقة الناس، يتبع بعضهم بعضًا، وقوله: «الدفع أسهل من الرفع» هذه قاعدة فقهية ، ذكرها ابن رجب - رحمه الله - في القواعد الفقهية، أن الدفع أسهل من الرفع، وفي معناها قول الأطباء: «الوقاية أسهل من العلاج»؛ لأن الدفع ابتعاد

---

(١) شرح الإحياء ١/ ٧٤.

(٢) محاضرات إسلامية لمحمد الخضر حسين ص/ ١٢٥-١٣٦.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

عن الشر وأسبابه، لكن إذا نزل الشر صار من الصعب أن يدفعه الإنسان.

س: **بعد أن انتهى من «آداب الطالب مع شيخه»، بقي آداب الطالب مع غير شيخه من باقي العلماء، فيا شيخ نجد الآن بعض طلبة العلم الذين يحترمون مشايخهم، يستطيلون في أعراض غير مشايخهم، فتجده يتكلم فيه، ويفسقه ويبدعه ويضلله؟**

ج: لا هذا غلط، هذا من الشيطان، هذا من وحي الشيطان أن يقع الإنسان في عرض العلماء، إذا وقع الإنسان في أعراض العلماء، فإنه معتد ظالم، وليس غيبة العلماء كغيبة العامة؛ لأن غيبة العلماء فيها مفسدة خاصة، ومفسدة عامة: المفسدة الخاصة بالنسبة لهذا العالم، والمفسدة العامة بالنسبة لما يحمله من علم، فإن الناس إذا سقط الإنسان من أعينهم، لم يقبلوا منه صرفًا ولا عدلاً، فيكون في هذا جناية على الشريعة التي يحملها هذا العالم، والإنسان الناصح هو الذي إذا رأى من أحد من العلماء، أو طلبة العلم الذين دون العلماء، أو عامة الناس، إذا رأى ما ينكره أن يتصل بالعالم، أو طالب العلم أو العامي، ويتبين الأمر، فقد يكون ما تظنه أنت خطئًا، وقد يكون صوابًا، لا لعين هذا الفعل، ولكن لما يلامسه من أحوال تستدعي أن يقوله هذا العالم، أو أن يفعله هذا العالم، يعني قد يكون الشيء منكر في حد ذاته، لكن يفعله بعض الناس لمصلحة أكثر؛ لهذا نرى أن أولئك الذين يقعون في أعراض العلماء، أنَّهم قد جنوا على العلماء، وعلى ما يحملونه من علم، والواجب توقير العالم، لاسيما العالم الذي عرف بأنه يريد الحق، ويجتهد في طلبه، ولكنه قد يزل...، هذا أمر لا يسلم منه بشر، كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون.

س: **مثل هؤلاء الذين يقعون في أعراض العلماء، هل ينبغي لطالب العلم الذي يعرف حقيقتهم أن ينبه صغار طلبة العلم عنهم، ويحذرهم منهم، وعن الجلوس حولهم والتعلق بهم؟**

ج: نعم الواجب على طلبة العلم والزملاء أن يعلم بعضهم من بعض ما لا يعلمه البعيد، إذا علموا من هذا الرجل أنه ليس له هم إلا الوقوع في أعراض العلماء، فالواجب الحذر منه، والتحذير، الحذر في نفسك، وتحذير غيرك منه، لأنه داء مهلك، والشيطان إذا علم من الإنسان أنه يتلذذ بلحوم العلماء، فسوف يزيده؛ فسوف لا يأتي إليهم ، ولا يستقر في أي مجلس إلا إذا أتى بعالم من العلماء يشرِّحه، نسأل الله العافية، وهذا شيء يجب الحذر

منه والتحذير.

س: يوجد الآن للأسف بعض طلبة العلم الذين يتعرضون في البحث في الأشرطة والكتيبات التي نحسبهم على الطريق الصحيح، ويرمون بعض المشايخ والعلماء ببعض الألقاب ويتقصدون البحث عن زلاتهم، وكتبهم قد ملأت العالم منذ حوالي عشرون سنة؟

ج: هذا لا يجوز - بارك الله فيك- تتبع عورات المسلمين، ولاسيما العلماء محرمة، فقد جاء في الحديث: **«يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم ، فمن تتبع عورة مسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته فضحه - أظنه قال - ولو في حجر أمه- أي في بيته -»**[1] فلا يجوز لنا أن نتبع العورات، وتتبع العورات عورة، يعني هذا الذي ذهب يتتبع عورات الناس هو الآن واقع في عورة، والواجب لمن صدر منه ما ينتقد عليه ، أن يدافع الإنسان عن أخيه، إذا سمع من ينتقده في هذا، ويقول: لعله اشتبه عليه الأمر، لعله تأويل، لاسيما من عرف بالصدق، والإخلاص، وحب نشر العلم.

س: «وخذ تقسيم الصديق في أدق المعايير» ما معنى هذه العبارة؟

ج: يعني: معناه أنك عاير صديقك في أدق المعايير، بمعنى أنك تلاحظه ملاحظة تامة، حتى لا يغرك ببهرجته، أو كلامه الظاهر، هذا هو المراد لأن بعض الناس يغتر:

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ عنك كما يروغ الثعلب

يلقاك يحلف أنه بك واثق ... فإذا توارى عنك فهو العقرب

❁ ❁ ❁

١- صديق منفعة. ٢- صديق لذة. ٣- صديق فضيلة.

فالأولان منقطعان بانقطاع موجبها، المنفعة في الأول، واللذة في الثاني، وأما الثالث فالتعويل عليه، وهو الذي باعث صداقته تبادل الاعتقاد في رسوخ الفضائل لدى كل منهما. وصديق الفضيلة هذا «عملة صعبة» يعز الحصول عليها، ومن نفيس كلام هشام بن عبد الملك (م سنة ١٢٥هـ) قوله[2]:

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٨٤).

(٢) طبقات النسابين ص/ ٣١.

ما بقي من لذات الدنيا شيء إلا أخ رفع مئونة التحفظ بيني وبينه اهـ.

ومن لطيف ما يقيد قول بعضهم[1]:

العزلة من غير عين العلم زلة، ومن غير زاي الزهد علة.

الشرح

* «العزلة من غير عين العلم»، يعني العزلة احذف العين تقولون: «زلة»، والثاني من غير زاي الزهد «علة»، يعني احذف الزاي تكون «علة»، إذن لابد من علم، ولابد من زهد، قبل أن ينعزل الإنسان عن الناس، طيب الأصدقاء هؤلاء قسمهم إلى ثلاثة أقسام، صديق منفعة، وهو الذي يصادقك ما دام ينتفع منك بمال أو جاه أو غير ذلك، فإذا انقطع الانتفاع، فهو عدوك، لا يعرفك ولا تعرفه، وما أكثر هؤلاء الذين يلمزون في الصدقات، إن أعطوا منها رضوا، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون، صديق لك حميم ترى أنه من أعز الناس عندك، وأنت من أعز الناس عنده، يسألك يومًا من الأيام يقول: أعطني كتابك أقرأ فيه، فيقول: والله الكتاب أنا محتاج إليه اليوم، أعطيك إياه غدًا، فينتفخ عليك، ويعاديك، هل هذا صديق !! هذا صديق منفعة... أكّال، والثاني: صديق لذة.. يعني لا يصادقك إلا لأنه يتمتع بالجلوس إليك... المحادثات والمؤانسات، والمسامرات، ولكنه لا ينفعك، ولا تنتفع منه أنت، كل واحد منكم لا ينفع الآخر، ليس إلا ضياع وقت فقط، هذا أيضًا احذر منه، أن يضيع أوقاتك، والثالث: صديق فضيلة، يحملك على ما يزين، وينهاك عن ما يشين، ويفتح لك أبواب الخير.. يدلك عليه، وإذا زللت نبهك على وجه لا يخدش كرامتك... هذا هو صديق الفضيلة... طيب كلمة صديق منفعة من أوسع هذه الأقسام ؛ لأن المنافع كثيرة جدًا فإذا رأيت هذا الرجل لا يصادقك إلا حيث ينتظر منفعتك، فاعلم أنه عدو وليس بصديق، كذلك صديق اللذة الذي يشغلك ويلهيك بالتمتع بالسهر، وإضاعة الوقت بالخروج للمنتزهات وغير ذلك، أيضًا هذا لا خير فيه، الذي يجب أن تعض عليه بالنواجذ، هو صديق الفضيلة، يحملك على كل فضيلة، وينهاك عن كل رذيلة.

❁ ❁ ❁

(١) العزلة للخطابي.

آداب الطالب في حياته العلمية

٢٤- كِبَرُ الهِمَّة في العلم:

من سجايا الإسلام التحلي بكبر الهمة، مركز السالب والموجب في شخصك، الرقيب على جوارحك، كبر الهمة يجلب لك بإذن الله خيرًا غير مجذوذ، لترقى إلى درجات الكمال، فيجري في عروقك دم الشهامة، والركض في ميدان العلم والعمل، فلا يراك الناس إلا واقفًا على أبواب الفضائل، ولا باسطًا يديك إلا لمهمات الأمور.

الشرح

وهذا من أهم ما يكون، أن يكون الإنسان في طلب العلم له هدف ليس مراده مجرد قتل الوقت، بهذا الطلب، بل يكون له همة، ومن أهم هم طالب العلم أن يريد القيادة والإمامة للمسلمين في علمه، ويشعر أن هذه درجة هو يرتقي إليها درجةً درجة، حتى يصل إليها، وإذا كان كذلك فسوف يرى أنه واسطة بين الله ﷿، وبين العباد في تبليغ الشرع، هذه مرتبة ثانية، وإذا شعر بهذا الشعور، فسوف يحرص غاية الحرص على اتباع ما جاء في الكتاب والسنة معرضًا عن آراء الناس إلا أنه يستأنس بها ويستعين بها على معرفة الحق ؛ لأن ما تكلموا فيه العلماء -رحمهم الله- من العلم أنه ولد يفتح الأبواب لنا وإلا لما استطعنا أن نصل إلى درجة نستنبط الأحكام من النصوص أو نعرف الراجح من المرجوح وما أشبه ذلك فالمهم أن يكون الإنسان عنده همة، وهو بإذن الله إذا قوى هذه النية فإن الله ﷻ سيعينه على الوصول إليها اهـ.

❁ ❁ ❁

والتحلي بها يسلب منك سفاسف الآمال والأعمال، ويجتث منك شجرة الذل والهوان والتملق والمداهنة، فكبير الهمة ثابت الجأش، لا ترهبه المواقف، وفاقدها جبان رعديد، تغلق فمه الفهاهة.

الشرح

هذا صحيح، التحلي بعلو الهمة يسلب عنك سفاسف الأعمال. والأعمال والآمال

هي أن يتمنى الإنسان الشيء دون السعي في أسبابه فإن المؤمن كيس فطن لا تلهيه الآمال، بل ينظر إلى الأعمال ويترقب النتائج، وأما من تلهيه الآمال ويقول: إن شاء الله أقرأ هذا، أراجع هذا الآن سأستريح وبعد ذلك أراجع، أو تلهيه الآمال فيما يحدث للإنسان أحيانا يتصفح الكتاب من أجل مراجعة مسألة من المسائل ثم ينظر ... يمر به في الفهرس أو في الصفحات مسائل تلهيه عن المقصود الذي من أجله فتح الكتاب ليراجع ، وهذا يقع كثيرًا فينتهي الوقت وهو لم يراجع المسألة التي من أجلها صار يراجع هذا الكتاب، فإياك والآمال المخيبة اجعل نفسك قوي العزيمة، عال الهمة، وقد مر علينا في الأحاديث التي تدل على أن العناية بالمقصود قبل كل شيء ، مثل حديث عتبان بن مالك عندما دعا النبي ﷺ -إلى بيته- ليصلي في مكان يتخذه عتبان مصلى، فواعده النبي ﷺ، فأعد لرسول الله ﷺ طعامًا، وأخبر الجيران بذلك، فخرج النبي ﷺ، فلما وصل البيت أخبره عتبان بما صنع له، ولكن النبي ﷺ قال: «**أرني المكان الذي تريد أن أصلي فيه**»[1]، فأراه المكان، وصلى قبل أن يأكل الطعام، وقبل أن يجلس إلى القوم؛ لأنه جاء لغرض فلا تشتغل عن الغرض الذي أنت تريد... بأشياء لا تريدها من الأصل؛ لأن هذا يضيع عليك الوقت، وهو من علو الهمة.

❁ ❁ ❁

ولا تغلط بين كبر الهمة والكبر، فإن بينهما من الفرق كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، كبر الهمة حلية ورثة الأنبياء، والكبر داء المرضى بعلة الجبابرة البؤساء.

الشرح

نعم.. الهمة أن الإنسان يحفظ وقته، ويعرف كيف يتصرف ولا يضيع الوقت بغير فائدة، وإذا جاءه إنسان يرى أن مجالسته فيها إهمال وإلهاء، عرف كيف يتصرف وأما كبر النفس، فهو الذي يحتقر غيره ولا يرى الناس إلا ضفادع، لا يهتم، وربما يصعر وجهه، وهو يخاطبه، فكما قال الشيخ بكر: فبينهما كما بين السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع.

❁ ❁ ❁

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٧، ١٨٩، ٤٢٤، ٦٦٧، ٦٨٦، ٨٣٨، ٨٤٠) ومواضع، ومسلم (٣٣).

فيا طالب العلم ارسم لنفسك كبر الهمة، ولا تنفلت منه، وقد أومأ الشرع إليها في فقهيات تلابس حياتك، لتكون دائمًا على يقظة من اغتنامها، ومنها: إباحة التيمم للمكلف عند فقد الماء، وعدم إلزامه بقبول الهبة ثمن الماء للوضوء، لما في ذلك من المنة التي تنال من الهمة منالًا، وعلى هذا فقس[(١)]، والله أعلم.

الشرح

يعني من علو الهمة أن لا تكون متشرفًا، لما في أيدي الناس، لأنك إذا تشرفت، ومنَّ الناس عليك ملكوك ؛ لأن المنة ملك للرقبة في الواقع، لو أعطاك الإنسان قرشًا لوجد أن يده أعلى من يدك، كما جاء في الحديث: «**اليد العليا خير من اليد السفلى**»[(٢)] واليد العليا هي المعطية والسفلى هي الآخذة، لا تبسط يدك للناس، ولا تمد كفك إليهم، إذا كان الإنسان عادم الماء، لو وهب له الماء لم يلزمه قبوله، بل يعدل التيمم، خوفًا من المنة، مع أن الوضوء بالماء فرض للقادر عليه.

ولهذا فرق الفقهاء -رحمهم الله- بين أن تجد من يبيعه ومن يهديه، فقالوا: «من يبيعه اشترى منه وجوبًا، لأنه لا منة له حيث أنك تعطيه العوض، ومن أهدى إليك لا يلزمك قبوله ، من أجل أن منته تقطع رقبتك، ولكن إذا كان الذي أهدى إليك الماء لا يمن عليك به، بل يرى أنك أنت المانّ عليه بقبوله، أو ممن جرت العادة بأنه لا منة بينهم، مثل الأب مع أبيه، والأخ المشفق مع أخيه، وما أشبه ذلك، فهنا ترتفع العلة، وإذا ارتفعت العلة ارتفع الحكم، والمهم أن من علو الهمة وكبرها، أن لا يكون الإنسان مستشرفًا ؛ لما في أيدي الناس، بعض الناس يكون عنده أسلوب في السؤال، أي في سؤال المال... إذا رأى مع هذا - ما شاء الله - من أين اشتراه، هل يوجد في السوق؟ من أجل ماذا؟ ؛ من أجل أن يعطيه إياه؛ لأن الكريم سوف يخجل، ويقول: إنه ما سأل هذا السؤال إلا من أجل أن يقول: تآمر عليه -يقصد تأمر عليه- فخذه، وإذا قال: تآمر عليه، ماذا يقول: لا يا رجل، أخذه منك ، وأدعك بلا قلم، وبلا ساعة مثلًا، فالمهم أن بعض الناس يستشرف أن يسأل بطريق غير مباشر، وكل هذا مما يحط من قدر طالب العلم، وقدر غيره أيضًا.

---

(١) السعادة العظمى لمحمد الخضر حسين ص/ ٧٦- ٧٨.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٧٢)، ومسلم (١٠٣٣).

٢٥- النهمة في الطلب:

إذا علمت الكلمة المنسوبة إلى الخليفة الراشد على بن أبي طالب ﷺ: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها، فاحذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر، وصوابه: كم ترك الأول للآخر.

الشرح

* قوله: «علمت الكلمة المنسوبة إلى الخليفة الراشد علي بن أبي طالب: قيمة كل امرئ ما يحسنه» هذا صحيح إذا كان الإنسان يحسن الفقه والشرع، صار له قيمة أكثر ممن يحسن مثلًا فتل الحبال مثلًا ؛ لأن كلًا منهما يحسن شيئًا، لكن فرق بين هذا وهذا، فقيمة كل امرئ ما يحسنه، «وقد قيل: ليس كلمة أحض على طلب العلم منها»، وهذا القيل ليس بصحيح، أشد كلمة من الحض على طلب العلم، قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، وقول النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[١]، وقول النبي ﷺ: «**العلماء ورثة الأنبياء**»[٢]، وأشباه ذلك مما جاء في الحث على طلب العلم، لكن ما نقل عن علي ابن أبي طالب ﷺ: «قيمة كل امرئ ما يحسنه»، هي كلمة لا شك أنَّها كلمة جامعة، لكنها ليست أحسن ما قيل في الحث على طلب العلم.

* وقوله: «احذر غلط القائل: ما ترك الأول للآخر، وصوابه: كم ترك الأول للآخر»، ما الفرق بين العبارتين؟ ما ترك الأول للآخر: خطأ، كم ترك الأول للآخر: صواب، ففي العبارة الأولى: ما ترك الأول للآخر، إما أن تكون «ما» نافية، أو استفهامية. أقول: إما هذا أو هذا، فإن كانت نافية، المعنى ما ترك الأول للآخر شيئًا، وإذا كانت استفهامية. المعنى أي شيء تركه الأول للآخر، وكلا المعنيين يوجب أن يثبط الإنسان عن العلم، ويقول: كل العلم أخذ من قبلي، فلا فائدة، فيكون في ذلك تثبيط لهمته ؛ لأنه إذا قيل: لك إن من قبلك أخذ كل شيء، ستقول: إذن ما الفائدة؟ أما إذا قيل: كم ترك الأول للآخر، فالمعني ما أكثر ما تركه الأول للآخر، وهذا يحملك على أن تبحث عما قاله الأولون، ولا شك أن المعنى

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧١، ٣١١٦، ٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٢)، وأبو داود (٣٦٤١)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٢٩٧) وغيره.

الصواب قول القائل: كم ترك الأول للآخر، فإن قيل: إن الشاعر الجاهلي يقول:

ما نرانا نقول إلا معارًا أو معادًا من قولنا مكرورًا

فهل هذا صواب؟ الجواب: لا، ليس هذا بصواب، وما أكثر الأشياء الجديدة التي تكلمنا بها، ولم يتكلم بها من قبلنا، نعم إن أراد بهذه حروف الكلمات، أو الكلمات، هذا صحيح، أما ما يكون له معنى جديد، فلا، بل يحدث من الأشياء الكثيرة ما يكون له معنى جديد لم يعرفه السابقون، ولعل الشاعر الجاهلي أراد أنه كل ما يقال من الكلمات والحروف، فإنه إما معار، يعني: أخذناه من غيرنا، وإما معاد، لكن إذا كان البيت بهذا المعنى، فقيمته ضعيفة رخيصة؛ لأن هذا معلوم لا يحتاج إلى أن ينشأ الإنسان فيه بيتًا، فعليك بالاستكثار...

❁ ❁ ❁

فعليك بالاستكثار من ميراث النبي ﷺ، وابذل الوسع في الطلب، والتحصيل، والتدقيق، ومهما بلغت في العلم، فتذكر كم ترك الأول للآخر.

الشرح

* «عليك بالاستكثار» يعني: يحثك على الاستكثار من ميراث النبي ﷺ، وذلك العلم ؛ لأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه، فقد أخذ بحظ وافر من ميراث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم اعلم أن ميراث النبي ﷺ إما أن يكون بالقرآن الكريم، أو بالسنة، فإن كان بالقرآن الكريم، فقد كفيت إسناده والنظر فيه ؛ لأن القرآن لا يحتاج إلى النظر في السنة، إذ أنه متواتر، أعظم التواتر، وأما إذا كان في السنة النبوية، فلابد من أن تنظر أولًا: هل صحت نسبته إلى الرسول ﷺ، أم لم تصح، فإن كنت تستطيع أن تمحص ذلك بنفسك، فهذا هو الأولى، وإلا فقلد؟!

إذا لم تستطع شيئًا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

* **قوله: «وابذل الوسع في الطلب، والتحصيل، والتدقيق»** بذل الوسع يعني: الطاقة

في التدقيق أمر مهم ؛ لأن بعض الناس يأخذ بظواهر النصوص، وبعموماتِها، دون أن يدقق، هل هذا الظاهر مراد، أو غير مراد، وهل هذا العام مخصص، أو غير مخصص، وهل هذا المطلق مقيد، أو غير مقيد، فتجده يضرب السنة بعضها ببعض؛ لأنه ليس عنده علم في هذا الأمر، لا يدقق وهذا يغلب على كثير من الشباب اليوم الذين يعتنون بالسنة، تجد الواحد منهم يتسرع في الحكم المستفاد من الحديث، أو في الحكم على الحديث، وهذا خطر، عظيم.

* يقول: «مهما بلغت في العلم، فتذكر كم ترك الأول للآخر»، هذا طيب، لكن نقول: إن أحسن من ذلك، مهما بلغت في العلم، فتذكر قول الله ﷻ: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]؛ لأن هذا من القرآن، وأوضح في الدلالة، من القول الأول: كم ترك الأول للآخر، كلما بلغت في العلم فتذكر:﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، ويذكر الآية الأخرى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

❁ ❁ ❁

وفي ترجمة أحمد بن عبد الجليل من «تاريخ بغداد» للخطيب، ذكر من قصيدة له:

لا يكون السري مثل الدني ... لا ولا ذو الذكاء مثل الغبي

قيمة المرء كلما أحسن المرء ... قضاء من الإمام علي

الشرح

هذا سبق الكلام عليه، لكن لا يكون السري يعني الشريف عالي الهمة، مثل الوفي، ونفي المماثلة ظاهر، أيضًا لا يكون الإنسان الذكي مثل الإنسان الغبي، وبقي.. ولا ذو العلم مثل الجاهل، إلا أنه سري، أما قوله: قيمة المرء كل ما يحسنه المرء قضاء من الإمام علي، فهو قد سبق الكلام عليه، قيمة كل امرئ ما يحسنه، وسبق تعليقنا عليه.

❁ ❁ ❁

٢٦- الرحلة للطلب:

من لم يكن رُحْلَةً، لن يكون رِحْلَةً[١]، فمن لم يرحل في طلب العلم، للبحث عن الشيوخ، والسياحة في الأخذ عنهم، فيبتعد تأهله ليُرحل إليه؛ لأن هؤلاء العلماء الذين مضى وقت في تعلمهم وتعليمهم والتلقي عنهم، لديهم من التحريرات، والضبط، والنكات العلمية، والتجارب.

الشرح

«والتجارب»، الراء مكسورة، والتجارُب والتجرُبة غلط، ما هي لغة عربية، مع أنها الشائعة عند الناس الآن، حتى عند طلبة العلم، يقول: تجارُب وتجرُبة، مع أن الصواب بكسر الراء، قال الشاعر:

قد جربوه فما زادت تجارِبُهم أبا قدامة إلا المجد والفنع

الآن تبين أن المعنى من لم يكن له رحلة في طلب العلم، فلن يكون له رحلة، أي لن يرحل إليه، والمعنى: أن من لم يبلغ في العلم، ما يبلغ، فإنه لن يرحل إليه، ولن يأتي الناس إليه.

❁ ❁ ❁

ما يعز الوقوف عليه، أو على نظائره في بطون الأسفار.

الشرح

الأسفار: جمع سِفر، يعني: الكتب.

❁ ❁ ❁

واحذر القعود عن هذا على مسلك المتصوفة البطالين، الذين يفضلون «علم الخرق» على «علم الورق»، وقد قيل لبعضهم: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق، فقال: ما يصنع بالسماع من عبد الرزاق، من يسمع من الخلاق.

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم.

الشرح

أعوذ بالله، الصوفية يزعمون أن الله يخاطبهم، ويوحي إليهم، وأنّهم يزورونه، ويزورهم، نسأل الله العافية، هذا من خرافاتِهم.

❁ ❁ ❁

وقال آخر:

إذا خاطبوني بعلم الورق   برزت عليهم بعلم الخرق

الشرح

الخرق ما يلبسونه من لباسهم.

❁ ❁ ❁

فاحذر هؤلاء، فإنَّهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا، بل منهم من كان بأسًا، وبلاءً على الإسلام.

الشرح

صحيح هذه العبارة، فإنَّهم لا للإسلام نصروا، ولا للكفر كسروا، مأخوذة من كَلام شيخ الإسلام -رحمه الله- في المتكلمين، قال: هؤلاء لا للإسلام نصروا، ولا للفلاسفة كسروا، يعني: أنَّهم ما نصروا الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، ولا كسروا الفلاسفة الذين هاجوا وماجوا على الإسلام كله، وتدلك لذلك أن هؤلاء المتكلمين حرفوا النصوص، عن ظاهرها، وأولوها إلى معان أوجدوها، بما يزعمون أنه عقل، فتسلط عليهم الفلاسفة، وقال: أنتم إذا أولتم آيات الصفات، وأحاديث الصفات مع ظهورها ووضوحها، فاسمحوا لنا أن نؤول آيات المعاد، يعني آيات اليوم الآخر، فإن ذكر أسماء الله وصفاته في الكتب الإلهية أكثر بكثير من ذكر المعاد، وما يتعلق به، فإذا أبحتم لأنفسكم أن تؤولوا في أسماء الله وصفاته الواردة في الكتاب والسنة، فاسمحوا لنا أن نؤول في آيات المعاد، وننكر المعاد رأسًا، ولا شك أن هذه حجة قوية للفلاسفة على هؤلاء المتكلمين، إذ لا فرق، بل يقول شيخ الإسلام: ما جاءت به الرسل من أسماء الله وصفاته، أكثر بكثير مما جاءت به الرسل من أمر اليوم الآخر، فإن جاز التأويل في الأسماء والصفات، جاز

التأويل في المعاد، وإنكار المعاد كفر، وإن لم يجز إنكار المعاد، فإنه لا يجوز إنكار الصفات.

أظن الشيخ -وفقه الله- يعني هاجم الصوفية، وهم جديرون بالمهاجمة؛ لأن بعضهم يصل إلى حد الكفر والإلحاد -والعياذ بالله-، حتى يعتقد أنه هو الرب، كما يقول بعضهم: ما في الجبة إلا الله، يعني نفسه، ويقول:

الرب عبد والعبد رب يا ليت شعري من المكلف.

يقول: «الرب عبد، والعبد رب»، يعني هما شيء واحد، «يا ليت شعري»، يعني يا ليتني أشعر «من المكلف»، إلى أمثال ذلك من الخرافات التي يقولونها.

لكن ينبغي أيضًا أن نُهاجمهم، ونركز على مهاجمة أهل الكلام الذين سلبوا الله ﷻ من كماله بكلامهم، أنكروا الصفات، فمنهم من أنكر الصفات رأسًا، كالمعتزلة، وأثبت الأسماء، لكن جعلها أسماء جامدة، لا تدل على معنى، وغالى بعضهم، فقال: إنّها أسماء واحدة، وإن السميع هو البصير، وإن السميع والبصير هما العزيز وهما شيء واحد، وبعضهم قال: هي أسماء متعدية، لكنها لا تدل على معين، مسلوبة المعنى؛ لأنّهم لو أثبتوا لها معنى على زعمهم، للزم تعدد الصفات بتعددها، وتعدد الصفات يرون أنه شرك؛ لأنّهم يقولون: إنه يلزم من تعدد الصفات القديمة كالعلم، والسمع، والبصر، فيلزم من ذلك تعدد القدماء، وهذا أشد شركًا من النصارى، ثلثوا، وأنتم صرتم بالمائة والآلاف... فالحاصل أنه أيضًا ينبغي أن يهاجم على أهل الكلام الذين عطلوا الله ﷻ مما يجب له من صفات الكمال، بعقول واهية، بل دامرة بالكلية.

س:... الرحلة إليهم في الطلب.

ج: العلماء الأوائل لم يدركوا هذا الذي أدركت، فالأشرطة المسجلة تغني عن الرحلة، لكن الرحلة أفضل؛ لأن الرحلة إلى العالم يكتسب الإنسان من علمه، ومن أدبه، وأخلاقه، ثم رؤيتك والرجل يتكلم، ليست كسماعك إياه في الشريط، نضرب لك مثلًا بالخطبة، أنت عند رجل يخطب، وكلامه جيد، ستتأثر به، لكن لو تسمع هذا الكلام من الشريط، لم تتأثر به تأثرك إذا كنت تشاهد الخطيب.



٢٧- حفظ العلم كتابةً[1]:

أبذل الجهد في حفظ العلم «حفظ كتاب»؛ لأن تقييد العلم بالكتابة أمان من الضياع، وقصر لمسافة البحث عند الاحتياج، لاسيما في مسائل العلم التي تكون في غير مظانّها، ومن أجل فوائده أنه عند كبر السن، وضعف القوى، يكون لديك مادة تستجر منها مادة تكتب فيها بلا عناء في البحث والتقصي.

الشرح

يعني: بذل الجهد مهم، لاسيما في نوادر المسائل، أو في التقسيمات التي لا تجدها في بعض الكتب، كم من مسألة نادرة مهمة تمر بالإنسان، فلا يقيدها اعتمادًا على أنه يقول: إن شاء الله ما أنساها، فإذا به ينساها، ويتمنى لو كتبها، لكن احذر أن تكتب على كتابك، على هامشه أو بين سطوره، كتابة تطمس الأصل، فإن بعض الناس يكتب على هامش الكتاب، أو بين سطوره، كتابةً تطمس الأصل، بل يجب إذا أردت أن تكتب على كتابك،.أن تجعله على الهامش البعيد عن الأصل؛ لئلا يلتبس هذا بِهذا، فإن لم يتيسر هذا،كأن ما تريد تعليقه أكثر من الهامش فلا ضير عليك أن تجعل ورقة بيضاء تلصقها بين الورقات، تشير إلى موضعها من الأصل، وتكتب ما شئت، وكان طلبة العلم يأخذون مذكرات صغيرة، يجعلونَها في الجيب، كلما ذكر منهم الإنسان مسألة، قيدها، إما فائدة علم في خاطره، أو مسألة يريد أن يسأل عنها الشيخ، فيقيدها فاستفاد بذلك كثيرًا.

❁ ❁ ❁

ولذا فاجعل لك «كناشًا»[2] أو «مذكرة»؛ لتقييد الفوائد، والفرائد.

الشرح

س: إيش معنى الكُنَاشة؟

ج: الكناش بضم الكاف، تخفيف النون وشين معجمة على وزن غراب: لفظ سيرياني بمعنى المجموعة ، والتذكرة، انظر التراكيب الإدارية.

---

(١) الجامع للخطيب ٢/ ١٦، ١٨٣ - ١٨٥.

(٢) الكُناش: بضم الكاف، وتخفيف النون وشين معجمة على وزن: غراب، لفظ سرياني بمعنى: المجموعة، والتذكرة. وانظر التراتيب الإدارية ٢/ ٢٧٠.

فيه الآن يقولون: كُناش. ما عمرنا سمعناها.. أسمعتموها؟ لا...، مذكرة موجودة، مفكرة أيضًا بالفاء، أظن موجودة، كراس... لا... أظن كّراس يمكن.

❁ ❁ ❁

والأبحاث المنثورة في غير مظانِها، وإن استعملت غلاف الكتاب ؛ لتقييد ما فيه من ذلك، فحسن، ثم تنقل ما يجتمع لك بعد في مذكرة، مرتبًا له على الموضوعات، مقيدًا رأس المسألة، واسم الكتاب، ورقم الصفحة والمجلد، ثم اكتب على ما قيدته: «نقل»، حتى لا يختلط، بما لم ينقل، كما تكتب: بلغ صفحة كذا، فيما وصلت إليه من قراءة الكتاب، حتى لا يفوتك ما لم تبلغه قراءة، وللعلماء مؤلفات عدة في هذا، منها: «بدائع الفوائد» لابن القيم، و«خبايا الزوايا» للزركشي، ومنها كتاب «الإغفال»، و«بقايا الخبايا»وغيرها.

الشرح

ومنها أيضًا «صيد الخاطر» لابن الجوزي، لكن أحسن ما رأيت «بدائع الفوائد» لابن القيم أربعة أجزاء في مجلدين، فيه من بدائع العلوم، ما لا تكاد تجده في كتاب آخر في كل فن، كل ما طرأ على باله قيده ؛ ولهذا تجده فيه مثلًا في العقائد، في التوحيد، في الفقه، في النحو، في البلاغة، في التفسير، في كل شيء، أحيانًا يبحث في كلمة من الكلمات اللغوية، في صفحات تحليلًا، وتنويعًا، وإحالة، واشتقاقًا، وغير ذلك، يبحث بحثًا في الفرق بين المدح والحمد، اللغة: حمد ومدح، كتب كتابة فيه فائضة في ذلك، وقال: كان شيخنا إذا بحث في مثل هذا أتى بالعجب العجاب، ولكنه كما قيل:

تألق البرق نجديًا، فقلت له ... إليك عني، فإني عنك مشغول

يعني أنه -رحمه الله- منشغل بما هو أهم من التحقيق في اللغة العربية، وإلا فهو أعني: شيخ الإسلام -رحمه الله- آية في اللغة العربية، لما قدم مصر واجتمع بأبي حيان المصري الشهير، صاحب- البحر المحيط- في التفسير، وكان أبو حيان، يثني على شيخ الإسلام ثناء عاطر، ويمدحه بقصائد عصامية ، ومن جملة ما يقول فيه:

قام ابن تيمية في نصر شرعتنا ... مقام سيد تيم إذا عصت مضر

يعني أبا بكر ﷺ يوم الردة، فلما قدم حضر شيخ الإسلام اجتمع بهذا الرجل - أبي

حيان- وتناظر معه في مسألة نحوية، واحتج عليه أبو حيان بقول سيبويه في كتابه قال: إن سيبويه في الكتاب، وكذا يعني فكيف نخالفه، فقال له شيخ الإسلام: وهل سيبويه نبي في النحو، يعني حتى يجب علينا اتباعه، ثم قال: لقد غلط سيبويه في الكتاب في أكثر من ثمانين موضعًا، لا تعلمها أنت ولا هو -سبحان الله- هكذا يقول في سيد النحاة، يقال: إن أبا حيان بعد ذلك أخذ عليه، وصار بنفسه، فأنشأ قصيدة يهجوه فيها، نسأل الله العافية، عفا الله عنا وعنهم جميعًا، فالمهم أن كتاب بدائع الفوائد من أحسن الكتب فيه فوائد ما تجدها في غيره.

اكتبوا «بلغ»، أنا أرى في الهوامش، هوامش الكتب المصححة... بلغ قراءة، أو بلغ تصحيحًا، أو بلغ مقابلة، لكن لو كتبت بلغ، بالنسبة لكتابنا الآن يكفي، لأن نحن إنما نقرأ فقط، نكتب بلغ، وعليه فقيد العلم بالكتاب.

س: **ما معنى الفنع؟**

ج: الظاهر شدة الكرم.

س: **ماذا نستفيد من هذا التقييدات، إذا كان من عادة طالب العلم عندهم كتب في كل فن فهل يجب عليه التقييد؟**

ج: هذا أيسر هو من الممكن أن نقول مثلًا: ذكر في الكتاب الفلاني صفحة كذا، مجلد كذا، فائدة عظيمة في موضوع كذا وكذا، ممكن ولا تكتب ، تجعل المسألة في سطر واحد، لكن ألم تر أن مثل هذا يؤدي إلى أن تطلب الكتاب عند الحاجة إليه، ثم قد يكون الكتاب أيضًا غير موجود، قد يضيع، فإذا قيدت نفس المسألة، ولا أقول: قيد كل مسألة ؛ لأن هذا شيء ما يمكن، لكن في مسائل ما يمكن تجدها... يفتح الله بِها على الإنسان، أو أنه يجمعها من هنا وهناك، في غير مظانِّها، في الرحلة في طلب العلم من لم يكن رحلة، لن يكون رحلة، هذه عبارة الشيخ بكر أبو زيد، لعل فيها حذفًا وأن التقدير من لم يكن له رحلة، لن يكون إليه رحلة، لكن بعد البحث تبين أن صواب العبارة: من لم يكن رحلة يعني: كثير الرحلات لن يكون له رحلة أو رحلة التي هي المصدر، يعني من لم يكن رحلة، يكثر الرحلات لن يأتيه أحد ؛ لأنه لا علم عنده، «والعلم بالتعلم»، ولو بالرحيل إليه، فنقول: رُحلة في الأول، لن يكون له رُحله أو رِحلة بالكسر، نرجع إلى ما انتهينا إليه، من لم يكن

رُحله أي كثير الرحلات، لن يكون رِحلة، أي: لن يصير إليه رحلة، أو المعنى لن يكون رُحلة، أي مرحولًا إليه.

في القرآن الكريم ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] أي كثير الهمز واللمز، هي رُحَلَة لا شك، لكن رحلة يجوز الكسر والضم.

❁ ❁ ❁

وعليه فقيد العلم بالكتاب، لاسيما بدائع الفوائد، في غير مظانِّها، وخبايا الزوايا، في غير مساقها، ودررًا منثورة تراها وتسمعها، تخشى فواتها... وهكذا، فإن الحفظ يضعف، والنسيان يعرض.

الشرح

* **قوله: «لاسيما بدائعَ»** الأفصح في هذا أن تكون مرفوعة بعد لاسيما، يجوز النصب، ولكن الأحسن الرفع، ومعنى الكلام: أنه يحث على كتابه هذه الأشياء، بدائع الفوائد، التي تعرض للإنسان حتى لا ينساها، وكذلك أيضًا، ولاسيما أيضًا إذا كانت في غير مظانِّها؛ لأنك أحيانًا تبحث عن مسألة تظنها مثلًا: في باب الصيد، وهي المذكورة في مكان آخر، فإذا ذكرت في مكان آخر فقيدها، وكذلك أيضًا **«خبايا الزوايا في غير مساقها»** بمعنى الجملة الأولى، يعني: معناه ما اختبأ في الزاوية في سياقه فاكتبه **«ودررًا منثورة تراها، وتسمعها تخشى فواتها»** وهذه أيضًا من المسائل التي إما أن تعرض لك، أو تعرض في كتب أهل العلم، وهي منثورة، فهذه ينبغي أن تجمعها، وتجعلها في مكان في الكتاب، وكذلك الدرر المنثورة، وتسمعها، وتخشى فواتها.

❁ ❁ ❁

قال الشعبي: إذا سمعت شيئًا فاكتبه، ولو في الحائط. رواه خيثمة، وإذا اجتمع لديك ما شاء الله أن يجتمع، فرتبه في «مذكرة» أو «كناش»، على الموضوعات، فإنه يسعفك في أضيق الأوقات التي قد يعجز عن الإدراك فيها كبار الأثبات.

الشرح

صحيح ، هذا القول ينبغي لك إذا اجتمع لديك ما شاء الله فاجمعه في مذكرة، أو

مفكرة، أو محفظة، أو ما شئت فسمها، المهم أن تجمعها، ولكن يقول: على الموضوعات، وهل الأولى أن ترتبها على الموضوعات، أو أن ترتبها على أ، ب؟ نرى أنه على أ، ب أحسن؛ وذلك لأن ترتيبها على الموضوعات تختلف فيه كتب العلماء، تجد مثلًا ترتيب الحنابلة غير ترتيب الشافعية، ولاسيما في المعاملات، بل إن نفس أهل المذهب الواحد يختلف ترتيبهم، ترتيب المتقدمين منهم والمتأخرين على الموضوعات، فإذا رتبناها على أ، ب، سهل واتفقت الموضوعات على هذا الترتيب: تبين لنا الآن أن الشيخ بكر يحث على حفظ العلم كتابة، ومن العلماء من عكس، فقال: ينبغي حفظ العلم؟ حفظًا، في الصدور، لا في السطور، وقال: «إن اعتماد الإنسان على الكتابة» يعني أنه في حافظته وأهملها، لكن لو عود نفسه على الحفظ حفظ، وهذا له وجهة نظر؛ ولذلك نرى أن الآلات الحاسبة الآن، والكمبيوترات، التي وضعت فيها العلوم والفنون، نرى أنَّها أثرت على الناس، الآن مثلًا نفرض... في جدول الفرائض في الكمبيوتر، يأتي الإنسان في الشارع يعرف كيف يشغل الكمبيوتر، ويطلع لك الأحكام في المواريث، وهو لا يعرف، وهذا ضرر، ضرر عظيم على الذاكرة، وعلى الحفظ، ولا أرى استعمال هذا الشيء إلا عند الحاجة، المسألة فرضية، وردت على إنسان تتطلب العجلة، وحسابُها طويل عريض، فهنا لا بأس أن يستعمل، أما ما دمت يمكنك أن تستعمل الشيء حسب حافظتك، وذهنك، فابتعد عن الكتابة، فالكتابة في الحقيقة يحتاج إليها الإنسان إذا كان قليل الحفظ، يعني ضعيف الحفظ، وإلا فالاعتماد على الحفظ أولى؛ ولهذا نجد أن الصحابة ﷺ حملوا الحديث أكثرهم حمله حفظًا لا كتابة، وإن كان منهم من يكتب، كعبد الله بن عمرو بن العاص، لكن أبو هريرة لا يكتب، ومع ذلك عنده علم بالحديث، أو روى ونقل عن رسول الله ﷺ ما لم ينقله غيره، مع تأخر إسلامه، فالمسألة هنا لا نقول: بفضل الكتابة مطلقًا، ولا بفضل الحفظ مطلقًا في الصدر مطلقًا، نقول: إذا تساويا فالحفظ في الصدور أفضل وأحسن، وإن دعت الحاجة إلى هذا أو هذا، فليستعمل الآن عندكم في المسجلات، لو كنتم تعتمدون على التلقي حفظًا، لحفظتم أكثر مما تعتمدون على المسجلات؛ لأن الإنسان بالمسجل، يقول: سأنام، وإذا انتهى الدرس، فتح هذا المسجل، وسمع، لكن لو كان ليس له مسجل، وصار يركز على ما يقوله أستاذه، كان هذا أقوى.

فإذًا نقول: الكتابة أحيانًا يضطر إليها الإنسان، وإذا لم يكن هناك حاجة، فالحفظ في الصدور أولى، ومن ما يعتري الكتابة، أنه قد لا يكون الكتاب معك، فتبقى كأنك عامي، صح أقول إذا اعتمدت على الكتابة... ربما لا يكون الكتاب معك تسافر به، والكتاب في البيت، وإذا كنت تعتمد على حفظ الصدر ربما لا يكون صدرك معك، غلط؟ إيه.. نعم... صدرك معك، هذه من آفات الكتابة.

❁ ❁ ❁

٢٨- حفظ الرعاية:

ابذل الوسع في حفظ العلم حفظ رعاية بالعمل والاتباع، قال الخطيب البغدادي - رحمه الله تعالى- [1]: يجب على طالب الحديث أن يخلص نيته في طلبه، ويكون قصده وجه الله سبحانه، وليحذر أن يجعله سبيلًا إلى نيل الأعراض، وطريقًا إلى أخذ الأعواض، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه.

الشرح

نعم جاء الوعيد في ذلك، بأن من طلب علمًا، وهو مما يبتغى به وجه الله لم يجد عرف الجنة، ذكره الخطيب البغدادي - رحمه الله- حتى أن يخلص الإنسان النية في طلب العلم بأن ينوي امتثال أمر الله تعالى، والوصول إلى ثواب طلب العلم، وحماية الشريعة، والذب عنها، ورفع الجهل عن نفسه، ورفع الجهل عن غيره، كل هذه تدل على الإخلاص، وأن لا يكون قصده نيل الأعراض، جمع عرض، يعني: نيل شيء من عرض الدنيا كالجاه، والرئاسة، والمرتبة، أو طريقًا إلى أخذ الأعواض، كالراتب، لا يريد هذا.

فإذا قال قائل: كل الذين يطلبون العلم في الكليات الآن إنما يقصدون الشهادة، كالشهادات المزيفة، والغش، وما أشبه ذلك ، فيقال: يمكن الإنسان أن يريد الشهادة في الكلية، مع إخلاص النية، وذلك بأن يريد بها الوصول إلى منفعة الخلق؛ لأن من لم يحمل الشهادة، لا يتمكن من أن يكون مدرسًا، أو مديرًا، أو ما أشبه ذلك مما يتوقف، على نيل هذه الشهادة.

---

(١) الجامع للخطيب ١/ ٨١، ٨٣، ٨٥، ٨٧، ١٤٢.

فإذا قال: أنا أريد أن أنال الشهادة، لا يمكن من التدريس في الكلية مثلًا، ولولا هذه الشهادة ما درست، أريد الشهادة لأكون داعية ؛ لأننا في عصر لا يمكن أن يقوم الإنسان داعية إلى الله إلا بشهادة، وبطاقة، وإلا لعرض نفسه للحرج...

أريد أن أكون مديرًا على مصلحة، على جماعة من الناس، وهذا لا ينال إلا بالشهادة، فإذا كانت هذه نية الإنسان، فهي نية حسنة، لا تضر إن شاء الله.. هذا في العلم الشرعي أو ما يسانده.

وأما العلم الدنيوي، فانو به ما شئت مما أحل الله، لو تعلم الإنسان هندسة، وقال: أنا أريد أن أكون مهندسًا، ليكون الراتب عشرة آلاف ريال مثلًا، فهل هذا حرام عليه؟ لا، لماذا؟ لأن هذا عمل دنيوي كالتاجر يتاجر لأجل أن يحصل على ربح، كذلك أيضًا لو تعلم الإنسان علم الميكانيكا، علم المكائن وإصلاحها، وقصد بذلك أن يحصل على مال، فهل هذا حرام؟

لا. هذا ليس حرام ؛ لأنه ليس مما يبتغي به وجه الله ، والنبي ﷺ عندما قال: «**من طلب علمًا وهو مما يبتغى به وجه الله، لم يجد عرف الجنة**»[1] هذا قول الخطيب البغدادي، فقد جاء الوعيد لمن ابتغى ذلك بعلمه، أي العلوم؟

الشرعية أو ما يسانده كعلم العربية.

❁ ❁ ❁

وليتق المفاخرة، والمباهاة به، وأن يكون قصده في طلب الحديث؛ نيل الرئاسة، واتخاذ الأتباع، وعقد المجالس، فإن الآفة الداخلة على العلماء أكثرها من هذا الوجه.

الشرح

صحيح... وقد جاء الوعيد فيمن طلب العلم ليجاري به العلماء، أو يماري به السفهاء، فأنت لا تقصد بعلمك المفاخرة والمباهاة، وأن يكون قصدك أن تصرف وجوه الناس إليك ، وما أشبه ذلك، هذه نيات سيئة، وهي ستحصل لك مع النية، الصالحة إذا

(١) رواه الترمذي (٣٦٦٤)، وابن ماجه (٢٥٢)، وأحمد (٨٢٥٢)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦١٥٩)، والمشكاة (٢٢٧).

نويت نية صالحة، صرت إمامًا، صرت رئيسًا اتجه الناس إليك، وأخذوا بقولك

❁ ❁ ❁

وليجعل حفظه للحديث، حفظ رعاية لا حفظ رواية، فإن رواة العلوم كثير، ورعاتها قليل، ورب حاضر كالغائب، وعالم كالجاهل، وحامل للحديث ليس معه منه شيء إذا كان في اطراحه لحكمه، بمنزلة الذاهب عن معرفته وعلمه.

الشرح

هذا أيضًا، يجب أن يعتني به حافظ الحديث «رعاية» يعني رعاية أن يفقه الحديث، ويعمل به، ويبينه للناس ؛ لأن مجرد الحفظ بدون فقه للمعنى ناقص، ناقص جدًّا، وقد قال النبي ﷺ : «**رب مبلغ أوعى من سامع**»[1] . والمقصود بالأحاديث أو بالقرآن الكريم، هو فقه المعنى، حتى يعمل به الإنسان، ويدعو إليه، ولكن الله ﷻ بحكمته جعل الناس أصنافًا: «منهم من هو راوية فقط، ولا يعرف من المعنى شيئًا، فيه، لكنه في الحفظ والثبات قوي جدًّا، ومن الناس من أعطاه الله فهمًا، وفقهًا لكنه ضعيف الحفظ، إلا أنه يفجر ينابيع العلم من النصوص، إلا أنه ضعيف الحفظ، ومن الناس من يعطيه الله الأمرين قوة الحفظ، وقوة الفقه، لكن هذا نادر، وقد ضرب النبي ﷺ مثلًا لما آتاه الله تعالى من العلم والحكمة بغيث «مطر» أصاب أرضًا فصارت الأرض ثلاثة أقسام: قسم: قيعان ابتلعت الماء، ولم تنبت الكلأ، فهذا مثل من آتاه الله العلم والحكمة، ولكنه لم يرفع به رأسًا، ولم ينتفع به، ولم ينفع غيره. والقسم الثاني: «أمسكت الماء»، لكنها لم تنبت الكلأ، هؤلاء من؟ الرواة، أمسكوا الماء، فسقى الناس، واستقوا وزرعوا لكن هم بأنفسهم، ليس عندهم إلا حفظ هذا الشيء.

الأرض الثالثة: أرض رياض قبلت الماء، فأنبتت العشب، والكلأ، فانتفع الناس، وأكلوا، وأكلت مواشيهم، وانتفع، هؤلاء من؟ هؤلاء الذين مَنَّ الله عليهم بالعلم، والفقه، فنفعوا الناس، وانتفعوا به.

س: بالنسبة للتلقي في وقتنا هذا صعب أن يقرأه مرة واحدة ويحفظه؟

ج: هو صعب عند أكثر الناس صعب، أقول: لأن المسائل كثيرة، والحوادث كثيرة،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٧٤١)، ومسلم (١٦٧٩).

وتنسي الإنسان، السلف يتلقونه مرة واحدة ويحفظونه، يأتي الشاعر في سوق عكاظ أو غيره، ويلقي القصيدة مائتين بيت، أو أقل أو أكثر، وينصرف الناس حافظينه.

س: بعض طلبة العلم يأتي ويطلب العلم مثلًا في جامعة، أو على شيخ، ثم يعود إلى بلده، أو إلى قريته، أو إلى مدينته، وقد قبل طلبه للعلم عمل دعوي موجود، وكبيرة، فحينما يعود إلى بلده يرفض الانخراط في هذا العمل والتعاون مع إخوانه، ويقول: لا... أنتم تأتوني الآن، فهل هذا من الرئاسة؟

أقول: إذا من الله ﷻ على الإنسان بالعلم، ثم رجع إلى وطنه الذي أقام فيه طائفة للدعوة إلى الله ﷻ فينبغي أن ينضم إليهم، وهو سوف يجعلونه سيدًا عليهم؛ لأن عنده علمًا، ولا ينبغي أن يبتعد، ويقول: إن ائتوا إلي أنتم، قد لا يأتون، قد يروون أنه لما حصل من العلم ما حصل استكبر.

س: هل هذا من الصنف الثالث الذين يحفظون النصوص، ثم يراجع الذي فيها، ثم يستنبطون، ثم يحفظ منها، ويحفظ، ولو اقتصر على هذا المحفوظ فقط، يعني يعرف وجهه العلماء؟

ج: نعم... ولكن لا يضيع عنه المعنى، لا بأس هذا طيب.

❁ ❁ ❁

وينبغي لطالب الحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام، باستعمال آثار رسول الله ﷺ ما أمكنه، وتوظيف السنن على نفسه، فإن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الشرح

* **نعم قوله: «ينبغي لطالب العلم»** كلمة ينبغي : أحيانًا يراد بها الوجوب، لكن الشائع في استعمالها أنها للندب.

* **«ينبغي لطالب الحديث»** يعني للعالم بالحديث أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام، باستعمال آثار الرسول عليه الصلاة والسلام ما أمكنه، وهذا في الأمور التعبدية ظاهر، أنه ينبغي للإنسان أن يتميز باستعمال آثار الرسول عليه الصلاة والسلام، في الأمور الاتفاقية التي وقعت اتفاقًا من غير قصد، هل يشرع أن يتتبعها الإنسان أو لا؟ كان ابن

عمر ﷺ وعن أبيه، يتتبع ذلك حتى أنه يتحرى المكان الذي نزل فيه الرسول ﷺ، وبال فيه، فينْزل ويبول فيه وإن لم يكن محتاجا للبول... كل هذا من شدة تحريه لاتباع الرسول عليه الصلاة والسلام، لكن هذا الأصل خالفه أكثر الصحابة.

ولهذا لو قال قائل: أيسن لنا الآن أن لا نقدم مكة في الحج إلا في اليوم الرابع، ينبغي على هذا، أن نقول: هذا وقع اتفاقًا أنه قدم في الرابع من ذي الحجة، فالصحيح أنه لا يشرع، طيب وما وقع عادة فهل يشرع لنا أن نتبعه فيه، مثلًا: العمامة، والرداء، والإزار، نقول: نعم يشرع أن نتبعه فيه.

ولكن ما معنى الاتباع، هل معناه اتباعه في عين ما لبس، أو اتباعه في جنس ما لبس؟ الثاني، لا شك، يعني أن الرسول ﷺ لبس ذلك في ذلك الوقت؛ لأن الناس يلبسونه، اعتادوا هذا. وعليه فنقول: السنة ليس ما يعتاده الناس، ما لم يكن محرمًا وجب اجتنابه، طيب ما وقع على سبيل التشهي، فهل نتبعه منه، يعني كان ﷺ يحب الحلواء، ويحب العسل[1]، يتتبع الدباء في الطعام[2]، الدباء.. أي القرع، فما زلت اتتبعها منذ رأيت النبي ﷺ يتتبعها. وعلى هذا فهل نقول: من المشروع أن نتتبع الدباء ؛ لأن النبي ﷺ كان يتتبعها أولًا، الظاهر أن هذا قد يكون الاتباع فيه أحرى من الإتباع في ما سبق، وهو ما وقع اتفاقًا ؛ لأن هذا لم يقع اتفاقًا، كما فعل الرسول ﷺ حين تتبعها قصدًا لا اتفاقًا، ولا شك أن الإنسان إذا تتبع الدباء من على ظهر القصعة، وهو يشعر أنه يفعل كما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، لا شك أن هذا يوجب له محبة للرسول ﷺ، واتباع آثاره. وحينئذٍ نقول: إذا تتبعت ذلك فإنك على خير، وقد يكون في الدباء منفعة طبية تسهل وتلين، وتكون أدمًا للطعام، ففيها مصالح، ولسنا نعرف الطب، ولكن لو أننا رجعنا إلى أهل الطب، لوجدنا أن في ذلك مصلحة طبية، المهم أن قوله: **«أن يتميز في عامة أموره عن طرائق العوام»** باستعمال آثار الرسول ﷺ، نقول: فيه ما سمعتم من التفصيل.

* كذلك **«باستعمال الآثار»**: العبارة هذه فيها شيئًا من الركاكة، ولو قال باتباع الآثار، كما عبر بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية، قال: من أصول أهل السنة

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٤٣١، ٥٥٩٩، ٥٦٨٢)، ومسلم (١٤٧٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٠٩٢، ٥٣٧٩، ٥٤٢٠، ٥٤٣٥ - ٥٤٣٧، ٥٤٣٩)، ومسلم (٢٠٤١).

والجماعة اتباع آثار النبي ﷺ ظاهرًا، وباطنًا، وهذا هو اللفظ المطابق للقرآن: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، أما استعمال الآثار، فقد يتوهم واهم أن المراد استعمال ثيابه، وعمامته، وما أشبه ذلك، لكن إذا قلنا: اتباع آثار، كان هذا أحسن وواضح.

* وقوله: «توظيف السنن على نفسه» مراده بذلك أن يطبق توظيفها بمعنى تطبيق السنن على نفسه ؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ﴾، فإن ﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] هذه ما يدل من قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾، بدل من الكاف الدالة على العموم، لكنها بدل بإعادة العامل، والبدل بإعادة العامل شائع، مثل: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ في قصة صالح ﴿لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف: ٧٥] هذا يدل بإعادة حرف الجر، أي: بإعادة العامل.

❁ ❁ ❁

٢٩ – تعاهد المحفوظات:

تعاهد علمك من وقت إلى آخر، فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب للعلم مهما كان.

الشرح

* «**فإن عدم التعاهد عنوان الذهاب**» يعني دليل الذهاب ،ولكن لو عبر بقوله: فإن عدم التعاهد سبب لذهاب للعلم، لكان أولى، لقول النبي ﷺ: «**تعاهدوا هذا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتًا من الإبل في عقلها**»[(١)] فدل ذلك على أن عدم التعاهد سببًا للنسيان، وليس عنوان النسيان، وليس عنوان لذهاب العلم؛ لأن عنوان الشيء ما يكون بعد الشيء، وسبب الشيء يكون قبل الشيء، وعدم التعاهد سابق على عدم البقاء، أي بقاء العلم، والخطب في هذا يسير، يعني إذا كان المعنى مفهومًا، فالأمر يسير بالنسبة للألفاظ.

❁ ❁ ❁

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب

(١) صحيح: رواه مسلم (٧٩١).

الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها، وإن أطلقها ذهبت». رواه الشيخان، ومالك في الموطأ[١].

الشرح

المعقلة وإن أطلقها ذهبت، على كل حال أنا لا أدري هل يجوز عقلها أم عقلها، فهي معقولة واضحة، وعقلها يرجع إلى لفظ الحديث، من لنا به؟

❁ ❁ ❁

قال الحافظ ابن عبد البر- رحمه الله-[٢]: وفي هذا الحديث دليل على أن من لم يتعاهد علمه ؛ ذهب عنه، أي من كان ؛ لأن علمهم كان ذلك الوقت القرآن لا غير، إذا كان القرآن الميسر للذكر يذهب إن لم يتعاهد، فما ظنك بغيره من العلوم المعهودة؟!، وخير العلوم ما ضبط أصله، واستذكر فرعه، وقاد إلى الله تعالى، ودل على ما يرضاه.

الشرح

صحيح هذا الحديث فيه دليل على أن من لم يتعاهد علمه ذهب عنه، وهذا واضح، أن من لم يتعاهد حفظه نسيه، كما أن هذا في المعقول، هو أيضًا في المحسوس، فمن لم يتعاهد الشجرة بالماء، تموت أو تذبل، وكذلك من لم يتعاهد أغصانها بالشكل تتكاثر الأغصان، ويحصد بعضها بعضًا، ولا تستقيم، فكذلك العلوم.

* **«خير العلوم ما ضبط أصله واستذكر فرعه»** يعني: كأنهم يحثوا على القواعد والأصول، وأنا أحثكم دائمًا عليها، لكن الذي عنده علم في الأصول هذا هو العالم، من فاتته الأصول فاته الوصول.

❁ ❁ ❁

وقال بعضهم[٣]: كل عز لم يؤكد بعلم، فإلى ذل مصيره.

الشرح

يعني: غالبًا، وإلا قد يكون الإنسان عزيزًا، بماله، وإنفاقه، ونفع الناس به، فيبقى

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩)، ومالك (٤٧٣).
(٢) التمهيد ١٤/ ١٣٣- ١٣٤.
(٣) شرح الإحياء ١/ ٩٣.

عزيزًا إلى أن يموت، لكن في الغالب أن العز الذي لم يؤكد بالعلم أنه يزول.

❁ ❁ ❁

٣٠- التفقه بتخريج الفروع على الأصول:

من وراء الفقه: التفقه، ومعتمله الذي يعلق الأحكام بمداركها الشرعية، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال[١]: «نضر الله امرًا سمع مقالتي فحفظها ووعاها فأداها كما سمعها فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»[٢].

الشرح

التفقه يعني: طلب الفقه، والفقه ليس العلم بل هو إدراك أسرار الشريعة، وكم من إنسان عنده علم كثير، لكنه ليس بفقيه؛ ولهذا حذر ابن مسعود رضي الله عنه من ذلك فقال: «كيف بكم إذا كثر قرَّاؤكم، وقلَّ فقهاؤكم».

الفقيه: هو العالم بأسرار الشريعة، وغاياتها، وحكمها، حتى يستطيع أن يرد الفروع الشاردة في الأصول المورودة، ويتمكن من تطبيق الأشياء على أصولها، فيحصل له بذلك خير كثير قوله: «نضر الله امرًا»، بمعنى حسنه، النضارة بمعنى الحسن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، أي حسنة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّـهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] نضرة يعني: حسنًا في وجوههم، وسرورًا في قلوبهم، فيجتمع لهم حسن الظاهر والباطن ووجهه قد أعطاه الله ﷻ نضارة، لكن سرعان ما تزول، ومن الناس من يكون قلبه مسرورًا، لكن لم يعطه الله نضارة في الوجه، ومن الناس من يحصل له الأمران، السرور في القلب والنضارة في الوجه وبذلك تتم النعمة.

س: كيف يعرف الإنسان من نفسه أنه عرف أسرار الشريعة أو أنه في الطريق القويم لمعرفتها؟

---

(١) فهرست ابن خير ص/ ٩.

(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٦- ٢٦٥٨)، وأبو داود (٣٦٦٠)، وابن ماجه (٢٣٠- ٢٣٢، ٣٣٦، ٣٠٥٦)، وأحمد (٤١٤٦، ١٢٩٣٧، ١٦٢٩٦، ١٦٣١٢، ٢١٠٨٠)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٦٧٦٣- ٦٧٦٦) من حديث جملة من الصحابة رضي الله عنهم متفرقين.

ج: يا شباب إذا كنت جائعًا، وأكلت كيف تعرف أنك شبعت، وهذا واضح، إذا وفق الله الإنسان استطاع أن يكون هو بنفسه قواعد وضوابط، يتتبع الجزئيات، وينظر لماذا حكم عليها بكذا وكذا، ثم يستطيع يكوِّن قواعد.

س: **يا شيخ العلم بحر...الخ.**

ج: إذًا يتعلم السباحة أنا لا أقول من أول ما ترى البحر ادخل فيه، وأنت لا تعرف، سوف تغرق، لكن تعلم وتمرن.

س: **كيف أعرف إذا أخرجت فوائد أنَّها صحيحة؟**

ج: تعرف إذا فتح الله عليك عرفت، وهذا مجرب، يعرفه كثير من الطلبة.

س: **يا شيخ بالنسبة لقول النبي ﷺ إنه كان يتتبع الدباء في الطعام؟**

ج: تعرف الدباء أم لا، طيب يتتبع الدباء يعني يأخذه من القصعة كلها، ليس مما يليه.

س: **كيف نجمع بين هذا وبين حديث النبي ﷺ : «يا غلام سَمِّ الله وكُلْ بيمينك وكُلْ مما يليك؟»**[1] .

ج: استثنى العلماء من هذا ما لم يكن أنواعًا، فإن كان أنواعًا فلا بأس، لحم مثلًا: على ظهر الطعام، وهو من جانب محجوب، فجاء قرينه في هذا الطعام، وأخذ من اللحم، هل يحتج عليه المحجوب بهذا أم لا؟ ما يحتج، لكن لو كان الطعام واحدًا، وذهب يأكل من جهته احتج عليه.

س: **العلم في ذلك الوقت هو القرآن لا غير، كيف بأحاديث الرسول ﷺ وأحواله؟**

ج: الرسول ﷺ أمرهم أن يتعاهدوا القرآن، ولو أن ابن عبد البر - رحمه الله - قال: وكانوا في ذلك الوقت يحرصون على القرآن لكان أوجه.

❁ ❁ ❁

قال ابن خير - رحمه الله تعالى - في فقه هذا الحديث:

وفيه بيان أن الفقه هو الاستنباط والاستدراك في معاني الكلام من طريق التفهم، في ضمنه بيان وجوب التفقه، والبحث على معاني الحديث، واستخراج المكنون من سره اهـ. وللشيخين، شيخ الإسلام بن تيمية، وتلميذه ابن قيم الجوزية- رحمهما الله تعالى-، في ذلك

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٣٧٦، ٥٣٧٨)، ومسلم (٢٠٢٢).

القدح المعلى، ومن نظر في كتب هذين الإمامين، سلك به النظر إلى التفقه طريقًا مستقيمًا.

الشرح

لا شك أن ما ذكره- وفقه الله- هو الصواب، أن الفقه: هو استنباط الأحكام الشرعية من الأدلة، لكن لا ينبغي أن يقتصر على الحديث، بل نقول: من الأدلة في القرآن والسنة، ودلالات القرآن أقوم من دلالات السنة وأثبت؛ لأنه لا يعتبر به عيب النقل بالمعنى، وأما السنة فإنّها تنقل بالمعنى كما مر علينا كثيرًا في البخاري، وفي مسلم، باختلاف الألفاظ من الناس الثقات مما يدل على أنّهم كانوا ينقلونَها بالمعنى، وعلى هذا فيقال بالبحث عن معاني القرآن والحديث.

ومن أحسن من رأيت في استخراج الأحكام من الآيات شيخنا- رحمه الله- عبد الرحمن بن سعدي، فإنه يستخرج أحيانًا من الآيات من الفقه ما لا تراه في كتاب آخر، وهذا الطريق، أعني طريق استنباط الأحكام من القرآن والسنة هو طريق الصحابة، فكانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل، ثم أشار الشيخ بكر إلى شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم- رحمهما الله- وبيان ما يتوصلان إليه من الأحكام الكثيرة من الأدلة القليلة، وقد أعطاهما الله ﷻ فهمًا عجيبًا في القرآن والسنة، ونضرب مثلًا لهذا... أعني: التفقه- أن العلماء اتخذوا الحكم بأن أقل مدة الحمل ستة أشهر من قول الله- تبارك وتعالى-: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] ومن قوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ [لقمان: ١٤] فإن ثلاثين شهرًا كم؟ عامان وستة أشهر، فإذا كان حمله وفصاله ثلاثون شهرًا، وفي الآيات الأخرى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، لزم أن يكون الحمل أقله ستة أشهر.

❁ ❁ ❁

ومن مليح كلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- قوله في مجلس للتفقه[1]: «أما بعد فقد كنا في مجلس التفقه في الدين، والنظر في مدارك الأحكام المشروعة تصويرًا، وتقريرًا، وتأصيلًا، وتفصيلًا، فوقع الكلام في... فأقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، هذا مبني على أصل وفصلين..».

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١/ ٥٣٤.

واعلم أرشدك الله أن بين يدي التفقه: (التفكر)[1]؛ فإن الله ﷻ دعا عبده في غير ما آية من كتابه إلى التحريك بإطالة النظر العميق في «التفكر» في ملكوت السموات والأرض، وإلى أن يتمعن المرء النظر في نفسه، وما حوله، فتحًا للقوى العقلية على مصراعيها، وحتى يصل إلى تقوية الإيمان، وتعميق الأحكام، والانتصار العلمي: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّـهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وعليه، فإن التفقه أبعد مدىً من «التفكر»، إذ هو حصيلته وإنتاجه، وإلا ﴿فَمَالِ هَـٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨] محجوز بالبرهان، محجوز عن التشهي والهوى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّـهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

الشرح

إذًا نقول: المراتب أولًا: العلم، ثم الفهم، ثم التفكر، ثم التفقه لابد من هذا، فمن لا علم عنده، كيف يتفكر، وكيف يعلم، وكيف يفقه، ومن عنده علم، ولكن ليس عنده فهم، فكيف يتفكر لا يستطيع، حتى ولو حاول أن يتفكر، وهو ممن لا يفهم، لا يمكن أن يتفكر، بعد ذلك بعد أن تفهم تتفكر، ما مدلول هذه الآية؟! ما مدلول هذا الحديث؟! وتتفكر أيضًا في أنواع الدلالة، وأنواع الدلالة ثلاث:

١) دلالة المطابقة. ٢) دلالة تضمن. ٣) دلالة التزام.

فدلالة اللفظ على جميع معناه دلالة مطابقة، ودلالته على بعض معناه دلالة تضمن، ودلالته على لازم خارج، هذه دلالة التزام، وهذا اللون الثالث من الدلالة هو الذي يختلف فيه الناس اختلافًا عظيمًا، إذ قد يلتزم بعض الناس من الدليل ما لا يلزم، وقد يفوته ما يلزمه، وبين ذلك تفاوت عظيم، فلابد أن يعمل هذه الدلالات، حينئذٍ يصل إلى درجة التفقه واستنباط الأحكام من أدلتها، ويذكر أن الشافعي- رحمه الله- نزل ضيفًا على الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد تلميذه -تلميذ الشافعي-، وكان يثني عليه عند أهله -كان أي الإمام أحمد يثني عليه أي على الشافعي عند أهله-، فنَزل ذات ليلة عليه ضيفًا، فقدم له العشاء، فأكله كله، ورد الصحفة خالية، فتعجب أهل أحمد، كيف يأكل الطعام كله،

---

(١) مفتاح دار السعادة ص/ ١٩٦- ٣٢٤، ومدارج السالكين ١/ ١٤٦، التفسير الإسلامي للتاريخ لعماد الدين خليل ص/ ٢١٠- ٢١٥.

والسنة أن الإنسان يأكل قليلًا: «**حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**»[١]، لكن الشافعي أكل كل الطعام وحده، ثم إن الإمام أحمد انصرف إلى أهله ونام الشافعي، فلما كان في آخر الليل، قام يتهجد، ولم يطلب ماءً يتوضأ به، أو لم يقم يتهجد، أظنه لم يقم يتهجد، ثم أذن الفجر، فخرج إلى الصلاة، ولم يطلب ماءً للوضوء، هذه اثنتان.

أولًا: أنه لم يتوضأ، وهم يحسبون أنه قد نام.

ثانيًا: لم يتهجد، وهو إمام من الأئمة، فلما أصبح قال أهل أحمد له: كيف تقول في الشافعي ما تقول، والرجل أكل الطعام، وملأ بطنه، ونام، وقام، ولم يتوضأ، قال: آتيكم بالخبر، فسأله: فقال: أما الطعام، فلا أجد أحل من طعام الإمام أحمد بن حنبل، فأردت أن أملأ بطني منه، والإنسان أحيانًا لا بأس أن يملأ بطنه، فأبو هريرة ﷺ يقول له الرسول ﷺ: «**اشرب من اللبن**»، وهو يقول: «لا أجد له مساغًا»[٢]، امتلأ بطنه، وأما كوني لم أتهجد، فلأن التفكر في العلم أفضل من التهجد، وأنا جعلت أتفكر في العلم، واستنبطت من قول رسول الله ﷺ: «**يا عمير ما فعل النغير**»[٣] كذا وكذا فائدة، ما أدري مائة أو ألف، وأما كوني لم أتوضأ حيث خرجت إلى صلاة الفجر، فلا أحب أن أطلب ماءً وأكلفكم، وأنا على وضوء من صلاة العشاء، فذكر ذلك لأهله، فقالوا: الآن، والمقصود من ذلك، التفكر والتدبر؛ لأن واحدًا منها إذا أتي بحديث يستنبط منه ما شاء الله من الفوائد، ويأتي إنسان آخر عنده في الاستنباط، فيستنبط منه مسائل كثيرة، وفضل الله يؤتيه من يشاء، فصار كم المراتب؟

❁ ❁ ❁

فيا أيها الطالب: تحل بالنظر، والتفكر، والفقه، والتفقه، لعلك أن تتجاوز من مرحلة الفقيه إلى فقيه النفس، كما يقول الفقهاء، وهو الذي يعلق الأحكام الشرعية بمداركها، أو فقيه البدن، كما في اصطلاح المحدثين[٤].

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٠)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٦٧٤).

(٢) **صحيح**: رواه البخاري (٦٤٥٢)، والترمذي (٢٤٧٧)، وأحمد (١٠٣٠١) في قصة.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٢٩، ٦٢٠٣)، ومسلم (٢١٥٠).

(٤) وانظر عن قولهم «فقيه البدن» معالم الإيمان ٢/ ٣١٦، ٣٣٦، ٣٤٠ والثقات لابن حبان ٩/ ٢٤٢.

الشرح

فيه فقه ثالث ظهر أخيرًا، وهو فقه الواقع، الذي علق عليه بعض الناس العلم، وقالوا: من لم يكن فقيها بالواقع، فليس بعالم، ونسوا أن النبي ﷺ قال: **«من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين»**[1]، ثم غفلوا عن كون الإنسان يشتغل بفقه الواقع أن ذلك يشغله عن فقه الدين، بل ربما يشغله عن الاتجاه للتعبد الصحيح، عبادة الله وحده، وانصراف القلب إلى الله، والتفكر في آياته الكونية، والشرعية، والحقيقة أن انشغال الشباب بفقه الواقع صد لهم عن الفقه في دين الله ؛ لأن القلب وعاء إذا امتلأ بشيء امتنع عن الآخر، لا يمكن أن يمتلئ بهذا وهذا. فاشتغال الإنسان بالفقه في الدين، وتحقيق العبادة والتوحيد والأداء خيرله من البحث عن الواقع، وماذا فعل فلان، وماذا فعل فلان، وربما يتلقون فقه الواقع من روايات ضعيفة، أو موضوعة، في وسائل الإعلام، أو يبنون ما يظنونه فقه واقع على تقديرات، وتخمينات يقدرها الإنسان، ثم يقول: هذا فعل لهذا، ويعلل بتعليلات قد تكون بعيدة من الواقع، أو ينظر إلى أشياء خطط لها الأعداء من قبل على واقع معين تغير الفقه، فقه النفس الذي هو صلاح في القلب بالعقيدة السليمة، ومحبة الخير للمسلمين، وما أشبه ذلك، هذا ينبني عليه أيضًا فقه البدن، معرفة هذا القول حرام، هذا حلال ،هذا الفعل حرام، هذا حلال، وما أشبه ذلك، أما فقه الواقع، فالإنسان إذا احتاج إليه فلا شك أنه لابد أن يعرفه، وأما أن تُصرف الهمم كلها إلى فقه الواقع، واقعًا في الحقيقة غير واقع أحيانًا يكون غير واقع... أحيانًا يكون كذبًا، ودجلًا، وتقديرات وتخمينات ليست مبنية على أصل.

* * *

فأجل النظر عند الواردات بتخريج الفروع على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط.

الشرح

* معنى قوله: «أجل النظر عند الواردات بتخريج الفروع على الأصول» إذًا لابد لطالب العلم من أصول يرجع إليها، والأصول الثلاثة، الأدلة من الكتاب والسنة اثنان،

---

(١) متفق عليه تقدم.

والضوابط والقواعد المأخوذة من الكتاب والسنة، هذا هو الثالث أيضًا، فابنيها على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط، وقد سبق ذكر ذلك، وإن من المهم أن يكون لدى الإنسان علم بالقواعد والضوابط، حتى ينزل عليه الجزئيات. والفرق بين القاعدة والضابط: أن الضابط يكون بمسائل محصورة معينة، والقاعدة أصل يتفرع عليه أشياء كثيرة، فالضابط.. أقل رتبة من القاعدة، كما يدل على ذلك اللفظ، الضابط يضبط الأشياء، ويجمعها في قالب واحد، والقاعدة أصل يؤسس عليه، أصل تفرع عنه الجزئيات.

س: فقه الواقع الذي نحتاج إليه عمن تأخذه؟

ج: عن تفكر في الإنسان بأحوال الناس، فقه الواقع الذي نحتاج إليه، أن يتفقه الإنسان في أحوال الناس، أو في الأخبار الصادقة.

س: ما رأيك في بعض طلبة العلم في غير هذه البلاد الذين ينكرون على بعض العلماء في بعض الفتاوى، يقولون: إنَّهم لا يعرفون فقه الواقع، إذا أرادوا أن يفتوا في مسألة ما؟

ج: هذا هو بلاؤنا، فقه الواقع في الحقيقة اتباع الهوى؛ لأن كل إنسان يتصور الواقع على شكل معين، أنا أرد عليهم أن بيننا وبينهم كتاب الله، إذا كان الرسول ﷺ قال: «من **يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين**»[1] هذا هو، «فأصل النظر في الواردات، بتخريج الفروع، على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط»، هذا من أهم ما يكون أن الإنسان يجعل نظره أي فكره يتجول بتخريج الفروع على الأصول، حتى يتمرن ؛ لأن بعض الناس قد يفهم القاعدة ويحفظها، كما يحفظ الفاتحة، لكن لا يعرف أن يخرج عليها، وهذا لا شك أنه نقص في التفكير، فلابد من أن يجتهد ويجيل نظر بتخريج الفروع على الأصول، وتمام العناية بالقواعد والضوابط، وقد عرفتم الفرق بينهما.

❁ ❁ ❁

واجمع النظر في فرع ما بين تتبعه، وإفراغه في قالب الشريعة العام من قواعدها وأصولها المطردة، كقواعد المصالح، ودفع الضرر، والمشقة، وجلب التيسير، وسد باب الحيل والذرائع.

الشرح

هذا أيضًا مهم، وهو أيضًا عند أهل الحديث كذلك، يعني يأتي مثلًا نص ظاهره

(١) متفق عليه: تقدم.

الحكم بكذا، لكن إذا تأملت هذا النص، وجدته مخالف للقواعد العامة في الشريعة، فما موقفك؟ نقول: لابد أن نرجع إلى القواعد، القواعد التي هي الأصول، بل كالجبال ترسى بها الأرض، ويحكم على هذا بما تقتضيه الحال، وكذلك قال العلماء فيما لو خالف الإنسان الثقة المقبول الثبت، من هو أرجح منه، فإن حديثه هذا، وإن كان من حيث النظر إلى مجرد الطريق، نحكم بصحته، نقول: هذا غير صحيح لماذا ؟ لأنه شاذ، والذي أوجب لكثير من المبتدئين في طلب العلم أن يسلكوا مسلكًا شاذًا، هو هذا، أعني عدم النظر إلى القواعد، والأصول الثابتة، وهذا أمر مهم ؛ وذلك لأن الشريعة كل الشريعة إنما جاءت لجلب المصالح، وتحصيل المصالح الدينية والدنيوية، ولدرء المفاسد، أو تقليلها، سواء كانت المفاسد دينية أو دنيوية ؛ ولهذا تجد أن الله ﷻ يقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، شرعًا وقدرًا، تنْزل الأمطار على الأرض، وهذا الرجل قد تم بنيانه قديمًا، هل يضره المطر أو لا؟.. يضره، لكن لا عدوى، العبرة بالعموم، وهذا الرجل قد وجع زرعه، بمعنى قد انتهى من السقي، والمعروف أن الزرع إذا أصابه الماء، مطرًا كان أو سقيًا، بعد أن يودع المعروف أنه يضره، لكن العبرة بالعموم، فهذه مسائل ينبغي لطالب العلم أن ينتبه لها؛ ولهذا قال الشيخ بكر – وفقه الله، ورحمه أيضًا– قال: **«أصولًا مضطردة، كقواعد المصالح»**، وهنا نقف لنبين أن بعض الأصوليين أتى بدليل خامس، وهو المصالح المرسلة، فقال الأدلة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس الصحيح، والمصالح المرسلة، وهذا غلط؛ لأن هذه المصالح التي يدعونها مصالح مرسلة، إن كان الشرع قد شهد لها بأنها مصالح، فهي من الشرع، داخلة في عموم كتاب، أو سنة، أو إجماع، أو قياس صحيح، وإن لم تكن فيها مصالح شرعية، فهي باطلة، فاسدة الاعتبار، وحينئذٍ لا نؤصل أصلًا، دليلًا ندين الله به؛ لأن كونك تؤصل أصلًا يعني معناه أنك تبني دينك على هذا الأصل، وعلى هذا فتنسخ، أو فيمسح ذكر المصالح المرسلة من الأدلة لماذا؟ لأننا نقول: إن شهد الشرع بهذه المصلحة المرسلة، فهي ثابتة بالكتاب ،والسنة، بعموماتها، وقواعدها، وإن شهد ببطلانها، فهي باطلة؛ لأن أهل البدع بعضهم ركب بدعته على هذا الدليل، قال: هذه من المصالح المرسلة، الإنسان يحيي قلبه، يحرك قلبه، بماذا ببدعة صوفية، أو ما أشبه ذلك، وقالوا: نحن نطمئن الآن إذا أتينا بهذه الأفكار، وعلى هذه الصفة الإنسان يقول: لا إله إلا الله، وضرب

الأرض حتى تتغير قدماه، يقول: كأن أحدًا يأخذني من الأرض، ولو ذكرت الله ذكرًا عاديًا.. كل شيء بارد، إذًا هذه مصلحة عظيمة تحرك القلوب. ماذا نقول: إذا قلنا باعتبار المصالح المرسلة، كل واحد يدعي أن هذه مصلحة النِّزاع الذي أمر الله فيه بالرد إلى الكتاب والسنة، أصله أن كل واحد يرى أنه ما هو عليه مصلحة، وربما يماري، ليكون قوله هو المقبول.

فالمهم أن قول الشيخ بكر: «**كقواعد المصالح**» مراده بذلك المصالح الشرعية، فإن كان هذا مرادك، فهو حق، وإن كان يشير إلى أن المصالح المرسلة، وهو بعيد لقوله بعد ذلك: «**ودفع الضرر والمشقة**»، إن كان يشير إلى المصالح المرسلة، فقد علمتم فساد جعلها دليلًا مستقلًا، وقوله: «**ودفع الضرر**» أين نجد في القرآن والسنة، دفع الضرر، كثير كثير، قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ**﴾ [النساء: ٢٩]، وهذه الآية تعم قتل النفس مباشرة، بأن ينتحر الإنسان، أو فعل ما يكون سببًا للهلاك ؛ ولهذا استدل عمرو بن العاص ﷺ بهذه الآية على التيمم، خوفًا من البرد، مع أن البرد، قد لا يميت الإنسان، لكن قد يكون سببًا لموته، استدل بها فأقره النبي ﷺ على ذلك وضحك، إذن هذا من القرآن، أيضًا قال الله تعالى: ﴿**إِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً**﴾ [المائدة: ٦]، الشاهد قوله تعالى: ﴿**إِن كُنتُم مَّرْضَى**﴾، إلى أن قال: ﴿**فَتَيَمَّمُوا**﴾، لماذا وهو مريض، يقدر يستعمل الماء، لكن لئلا يزداد مرضه، أو يتأخر برؤه، إذن هذا دفع مشقة أم دفع هلاك؟ دفع مشقة، قد لا يهلك المريض إذا استعمل الماء، لكن يشق عليه، كذلك أيضًا من دفع المشقة ، أن النبي ﷺ رأى زحامًا في السفر، ورجلًا ظلل عليه – تعرفون الناس إذا حصل مثل هذا الحادث ماذا يعملون؟! يتجمعون عليه – فالناس زحام، ينظرون هذا الرجل المظلل عليه، فقال: «**ما هذا؟**» فقالوا: صائم، قال: «**ليس من البر الصيام في السفر**»[1]، مع أن الرسول ﷺ يصوم وهو مسافر، وهل يفعل غير البر؟ لا، لكن إذا وصلت الحال إلى هذه المشقة، فإنه ليس من البر، وإذا انتفى أن يكون من البر، فهو إما من الإثم، أو من «لا لك ولا عليك»، أليس كذلك؟، فانظر هل هو من الإثم، أم مما لا لك ولا عليك.

---

(١) **متفق عليه**: رواه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

شكى إلى الرسول ﷺ أن الناس عطاش، وقد شق عليهم الصيام، ولكنهم ينظرون ما تفعل، فدعا بماء بعد صلاة العصر، انتبه! يعني الغروب قريب، بعد صلاة العصر، ووضعه ﷺ على فخذه الشريفة، وجعل الناس ينظرون إليه، فأخذه وشربه، والناس ينظرون، ثم قيل له: إن بعض الناس قد صام، فقال: «**أولئك العصاة، أولئك العصاة**»[(١)]، هل ورد نهي أن يبقوا على صيامهم، نهي خاص؟ لا... لكن العموم، لا تقتلوا أنفسكم، ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ**﴾ إذن الشرع يراعي قواعد المصالح، ودفع الضرر، دفع المشقة، جلب التيسير، الله أكبر، كل الإسلام يسر، لكن هل اليسر ما تيسر على كل شخص بعينه، أو باعتبار العموم؟ الثاني... باعتبار العموم، ومع ذلك لو حدث للإنسان ما يقتضي التيسير، وجد الباب مفتوحًا: «**صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»[(٢)] إذن هذا تيسير، بل قال الرسول ﷺ: «**إن الدين يسر كل الدين ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه**»[(٣)]، وكان إذا بعث البعوث يقول: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**»[(٤)]، «**فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**»[(٥)].

الحمد لله على هذا الدين الإسلامي، الدين يسر، وبناءً على ذلك هل يعتمد الإنسان فعل العبادة على وجه يشق عليه، أو يفعلها على ما هو أيسر؟ أيهما أقرب إلى مقاصد الشريعة؟ الثاني ؛ ولهذا لو أن رجلًا في البرد حانت صلاة الفجر، وعنده ما إن أحدهما بارد، والثاني ساخن، فقال: أنا أريد أن أتوضأ بالماء البارد، وحتى أنال إسباغ الوضوء على المكاره، وقال الثاني: أنا أريد أن أتوضأ بالماء الساخن، حتى أوافق مراد الله الشرعي حين قال: ﴿**يُرِيدُ اللَّـهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾[البقرة: ١٨٥]، أيهما أصوب؟ الثاني.

بالإجماع ما فيه خلاف؟ نعم... الثاني.. الثاني... بلا شك هو الموافق للشريعة؛ لأن إسباغ الوضوء على المكاره... لا يراد منه أن يتقصد الإنسان ما يكره، المراد إذا لم يمكن وضوء إلا بمكروه توضأ، هذا معناه، وإلا لكان يقول: احجج البيت على قدميك، سر من

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١١٤).

(٢) صحيح: رواه البخاري (١١١٧)، وأبو داود (٩٥٢)، وابن ماجه (١٢٢٣).

(٣) صحيح: رواه البخاري (٣٩)، والنسائي (٥٠٣٤).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (٦٩، ٦١٢٥)، ومسلم (١٧٣٤).

(٥) صحيح: رواه البخاري (٢٢٠، ٦١٢٨) في قصة الأعرابي الذي بال في المسجد.

أفغانستان إلى مكة على قدميك، فإن لم تستطع فعلى سيارة، مقربعة «عاطلة وقديمة»، تمشي قليلًا، وتقف كثيرًا، لماذا؟ لأنَّها أشق، فإن لم تستطع فعلى سيارة ماشية، فإن لم تستطع فعلى طائرة، هذا ليس بصحيح، أيها أفضل، الطائرة؛ لأنَّها أسهل وأيسر، وأول ما خرجت الطائرات كنا نحدث ونحن صغار أول ما خرجت، قالوا: إن الحج على الطائرة ثُمن الحج، وعلى السيارة نصف الحج، نعم... العوام ما نقتدي بأقوالهم، الشاهد - على كل حال - أن جلب التيسير هو الموافق لروح الدين، من هنا نعلم أنه إذا اختلف عالمان في رأي ، ولم يتبين لنا الأرجح من قولهما، لا من حيث الدليل، ولا من حيث الاستدلال، ولا من حيث المستدل، انتبه لم يتبين لنا أيهما أرجح ...، لا من حيث الدليل، ولا من حيث الاستدلال، ولا المستدل كلهم علماء ثقاة عندنا في علمهم، وأمانتهم، والأدلة ما هي واضحة، والاستدلال كذلك، لكن اختلف رأيهما، أحدهما أشد من الثاني، فمن نتبع؟ الأيسر أم الأشد؟ الأيسر، وقيل: الأشد ؛ لأنه أحوط، لكن في هذا القول نظر، لأننا نقول: ما هو الأحوط؟ هل هو الأشد على بني آدم، أو الأحوط ما كان أوفق للشرع؟ الثاني: ما كان أوفق للشرع، والأيسر هو الأوفق للشرع، كذلك سد باب الحيل، الآن نقف على سد باب الحيل، وسد الذرائع ؛ لأن هذه تحتاج إلى تفصيل، وإلى معرفة أن هذه الأمة اتبعت سنن من كان قبلها، في مسألة الحيل، وأشد الناس حيلًا، ومكرًا من الطوائف اليهود، هم أشد الناس، هذه الأمة، فيهم من تشبه باليهود، وتحيلوا على محارم الله بأدنى الحيل.

س: رددنا قولهم بأن المصالح المرسلة من الأدلة، فإنَّها إن وافقت الشرع، فهي منه، وإلا رددناها بالشرع، إن خالفته، أليس يقول القائل أيضًا: إن القياس، والإجماع، مبني على الكتاب والسنة، والاقتصار على الكتاب والسنة فقط بالدليل، ونقول: الإجماع مبني على دليل، وإن لم نعرفه، فالقياس أيضًا مأخوذ من الأدلة، فنقتصر على هذا، نقتصر على الكتاب والسنة فقط؟

ج: في أشياء ترد ما جاءت في الكتاب والسنة بعينها، فلابد من القياس.

س: تقيس، ولكن نقول: هذا دليل من الكتاب؟

ج: لا ليس على كل حال، قد يكون يخفى على بعض الناس.

س: إذا قال قائل مثلًا: في صلاة الضحى، تصح صلاته بسورة الناس، والمعوذتين، وهذا

أيسر من سورة « ق » وفيها مشقة... فنأخذ بالأيسر؟

ج: ما قلنا في الأيسر، تكلمنا عليه، ما وافق الشرع، إن الأيسر على كل واحد ما يمكن؛ لأن بعض الناس يثقل عليه أن يأتي بالسنة، انظر ولاحظ أن الذي يرى أن الأيسر في الأخف، وإن خالف السنة، اعلم أن في قلبه مرضًا ؛ لأن محبة السنة وقوة محبة الإنسان لها تيسر عليه، يعني محبتك للشيء، ولو كان ثقيلًا يجعله خفيفًا، ولو كان عسيرًا، يجعله يسيرًا أليس كذلك؟ هل صاحبت صديقًا في صغرك؟ أي عندما كنت صغيرًا، أليس لك أصدقاء؟!

أليس تقف مدة طويلة مع صديقك تحادثه، ولفح الشمال يضرب وجوهكما في أفغانستان ديار الثلوج، وكأنها دقيقة، وكأن النار عندك؟! والمهم أنك إذا استثقلت السنة، فاعلم أن في قلبك مرض، وإذا ثقلت عليك السنة، وإن كانت طويلة، فاعلم أن هذا من نعمة الله عليك، أليس النبي ﷺ يقول: «**جعلت قرة عيني في الصلاة**»[1]، وكان يقف حتى تتورم قدماه، ولا يرى ذلك طويلًا، أفهمت؟! يأتي واحد أيضًا، ويقول: أنا لا أرى أخف علي أن أركع، ولا أذكر ؛ لأن في ناس يقولون ما هنالك أذكار واجبة إلا في تكبيرة الإحرام، وقراءة شيء من القرآن، وتكبيرة الإحرام، أيضًا يأتي بها في أي لفظ، يقول: الله عز وجل: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٦٤] ثم اركع وارفع بدون ذكر.

س: أحسن الله إليكم، يا شيخ بعض الصوفيين ذكر الاستحسان من الأدلة؟

ج: نعم كما يقال في المصالح المرسلة بل أشد ؛ لأن الله قال: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤] ومسألة الاستحسان مشكلة.

فسد باب الحيل أيضًا الشريعة الإسلامية، شريعة الجد، والحزم وعدم التلاعب، وليس فيها شيء من الحيل أبدًا كلها صريحة، ولا يلجأ للحيل إلا الضعيف، ضعيف الهمة، ضعيف الإرادة، فتجده يتحيل على شرع الله ﷻ والحيلة: أصلها حوله من حال هذا في اللغة. أما في الشرع.

والاصطلاح، فيقولون: هي التوصل إلى إسقاط واجب، أو انتهاك محرم بما ظاهرة

(١) رواه النسائي (٣٩٣٩، ٣٩٤٠)، وأحمد (١١٨٨٤، ١١٨٨٥، ١٢٦٤٤، ١٣٦٢٣). وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٣٠٩٨، ٣١٢٤)، والصحيحة (١٨٠٩، ٣٢٩١).

الإباحة، هذه الحيلة أن يتوصل إلى إسقاط واجب أو انتهاك محرم بما ظاهره الإباحة، فقال: ذلك رجل سافر في نَهار رمضان قصده أن يفطر في رمضان ليس له قصد في السفر، لكن لأجل أن يفطر، ظاهر فعله أنه صحيح، أنه حلال، وليس فيه شيء لكن هو أراد بذلك أن يتوصل إلى إسقاط واجب، وهو الصوم، الشريعة الإسلامية لا تأتي بالحيل أبدًا.

رجل تزوج مطلقة صاحبًا له ثلاثًا، يعني له صاحب طلق زوجته ثلاثًا، ورآه محزونًا عليها، فذهب وتزوجها من أجل ، أن يحللها للزوج الأول الذي هو صاحبه، ليس له غرض في المرأة، وإنما يريد، أن يجامعها ليلة ثم يدعها، نقول: هذا تحليل على محرم ؛ لأن هذه المرأة لا تحل لزوجها الأول الذي طلقها ثلاثًا، لكن أراد أن يحللها له، نقول هذا ممنوع في الشرع... مسدود الباب؛ ولهذا جاء في الحديث وصفه، بما هو أهل له حين سمي التيس المستعار من رجل تيسه، لأجل أن يبيت عند أهل هذه الأغنام، وينْزل على كل واحدة، وفي الصبح يأخذه صاحبه، فالمحلل هو تيس مستعار طيب.. من باب الحيل أيضًا ما يفعله كثير من الناس اليوم في مسائل الربا، رجل باع سلعة بستة آلاف إلى سنة ثم اشتراها نقدًا، بثمانية آلاف، هذه ماذا ؟ جعله على أن يعطى ثمانية آلاف ويأخذ... كم؟! عشرة لأن هذا العقد صوري؛ ولهذا قال فيه عبد الله ابن مسعود ﷺ عن أنه دارهم بدارهم، دخلت بينهم جريرة يعني قطعة قماش.

سد الذرائع، الذرائع جمع ذريعة، وهي الوسيلة والفرق بينها، وبين الحيلة أن فاعل الحيلة، قد قصد التحيل، وفاعل الذريعة لم يقصد لكن فعله يكون ذريعة إلى الشر والفساد، فقال ذلك بعض النساء اليوم صارت تلبس النقاب، تغطى وجهها بالنقاب، لكن هل إن المرأة بقيت على هذا بمعنى أنَّها لم تخرق في سفر وجهها إلا مقدار العين؟ لا، إذن تمنع النقاب ؛ لأنه ذريعة يتوصل به إلى شيء محرم لكن التي فعلت النقاب لا تريد أن تصل إلى المحرم إنما أرادت أن تفعل شيئًا مباحًا، لأن النقاب مباح كان معروفًا، في عهد الرسول د، لكن إذا كان ذريعة إلى محرم، كان ممنوعًا، والمهم أن تعلم الفرق بين الحيل وبين الذرائع، الحيل يقصد بِها الوقوع في المحرم، وإسقاط واجب ، لكن تشمي في الإنسان حتى يقع في المحرم، أو في ترك الواجب، طيب إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة، وجب على الإنسان أن يترك البيع والشراء، ويذهب إلى المسجد، فإذا أتى الإنسان بسلعة قبيل

الأذان، ووضعها في السوق، وقال: من يشتري، من يشتري، نقول: يمنع، ما دام هذا يكون ذريعة إلى تشابك الناس به حتى ولو أذن، كما هو معروف الآن، إذا جاءت السلعة كبيرة، وواسعة، اشتغل الناس بها، حتى ولو أذن في آذانهم تركوه.

❁ ❁ ❁

وهكذا هديت لرشدك أبدًا، فإن هذا يسعفك في مواطن المضايق، وعليك بالتفقه كما أسلفت في نصوص الشرع، والتبصر فيما يحف أحوال التشريع، والتأمل في مقاصد الشريعة، فإن خلا فهمك من هذا، أو نبا سمعك، فإن وقتك ضائع، وإن اسم الجهل عليك لواقع، وهذه الخلة بالذات هي التي تعطيك التمييز الدقيق، والمعيار الصحيح، لمدى التحصيل والقدرة على التخريج.

فالفقيه: هو من تعرض له النازلة لا نص فيها، فيقتبس لها حكمًا.

والبلاغي: ليس من يذكر لك أقسامها، وتفريعاتها، لكنه من تسري بصيرته البلاغية في كتاب الله مثلًا، فيخرج من مكنون علومه وجوهها، وإن كتب أو خطب، نظم لك عقدها، وهكذا في العلوم كافة.

الشرح

صحيح، الفقيه حقيقة هو الذي يستنبط الأحكام من النصوص، من يقرأ النصوص، فهو كنسخة من كتاب، لكن من يشقق النصوص، وينْزل الوقائع عليها هو الفقيه، كالبلاغي مثلًا: هل البلاغي من يبين لك البلاغة، وأقسامها، والفصاحة وأقسامها، أو من يكون كلامه بليغًا، الثاني، من يكون كلامه بليغًا فهو البلاغي، حتى وإن كان لا يعرف من قواعد البلاغة شيئًا، النحو الآن قواعد، وإعراب، من الناس من يكون عالمًا بقواعد النحو علمًا واسعًا، لكن إذا قرأ قال: قام زيدًا، والرجلان، والمسلمين، وهو عارف بالنحو، هل يقال هذا نحوي أو عربي؟ لا.. ؛ ولهذا ينبغي للإنسان أن يطبق المعلومات على الواقع، يعني بمعنى أنه إذا نزلت نازلة يعرف كيف يتصرف في النصوص حتى يعرف الحكم، وإذا علم شيئًا يمرن نفسه، على أن يطبق هذا في حياته القولية، والفعلية.

❁ ❁ ❁

٣١- اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل:

لا تفزع إذا لم يفتح الله عليك في علم من العلوم، فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، ومنهم من صرح بذلك، كما يعلم من تراجمهم، ومنهم: الأصمعي في علم العروض، والرهاوي المحدث في الخط، وابن الصلاح في المنطق، وأبو مسلم النحوي في علم التصريف، والسيوطي في الحساب، وأبو عبيدة، ومحمد بن عبد الرزاق الأنصاري، وأبو الحسن القطيعي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبو حامد الغزالي، خمستهم لم يفتح لهم في النحو.

الشرح

لكن هذا لا يضر، ما داموا يطلبون الفقه، لا يضرنا أن لا نتكلم بكلام فصيح أو لا نعرف النحو، لكن لا شك أن الإنسان إذا تكلم بكلام مطابق للغة العربية، فإن كلامه يكون مقبولًا، ومحبوبًا للنفس، والإنسان الذي يعرف العربية، أكره ما يسمع أن يتكلم الإنسان ويلحن، يكره هذا الكلام من الرجل كراهة عظيمة، وهذا واقع؛ ولهذا نرى بعض الناس إذا قرأ عليك، إن سمعته يهذر ويمذر، ويقول: الذي مشى وهو إذا قال: قام زيدًا، قلت: زيد ما هو، قال: زيد فاعل، بالمعنى أم بالإعراب؟

بالمعنى يعرف أنه قام زيد، يعني معناه أن زيد حصل فيه القيام، لكن مسألة التشكيل لا يهمه، لكن لا تقل: قام زيد، ربما يضره كلامه؛ ولهذا بعض الأحيان نسمع لحن لا يحتمل من بعض القارئين، ولكننا نسكت ؛ لأن دفع المفسدة العليا بالدنيا أمر مطلوب، لكن على الإنسان أن يصبر ويتحمل، ثم من يلجأ إلى الله ﷻ بعد أن يبذل الجهد في ما يستطيع لإدراك العلوم، يستعن بالله ﷻ، ويلجأ إلى الله، والله تعالى يجيب له، ومر علينا في... الأدباء أن أحد أئمة النحو- إن لم يكن الكسائي فهو مثله ، طلب النحو، وعجز عن إدراكه في يوم من الأيام، رأى نملة تحاول أن تصعد بطعم لها من الجدار، فكلما صعدت سقطت، ثم تأخذ هذا الطعم وتمشي تصعد، ثم تسقط، ثم تصعد، ثم تسقط، وربما كل مرة تقول: أرفع قليلًا حتى اقتحمت العقبة، وتجاوزت؛ فقال: إذا كانت هذه تحاول وتفشل عدة مرات، ولكنها استمرت حتى انتهى أمرها، فلأفعلن فرجع إلى علم النحو، وتعلمه حتى صار من أئمة النحو، فأنت حاول، لا تقول: والله عجزت هذه المرة، أعجز

في المرة الثانية، لكن في المرة الثانية يقرب لك الأمر.

***

فيا أيها الطالب: ضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء، واللجوء إليه، والانكسار بين يديه، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كثيرًا ما يقول في دعائه إذا استعصى عليه تفسير آية من كتاب الله تعالى: اللهم يا معلم آدم، وإبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهمني، فيجد الفتح في ذلك[1].

الشرح

إيه نعم، وهذا من باب التوسل بأفعال الله، والتوسل بأفعال الله جائز، لأن التوسل جائز وممنوع، وإن شئت فقل: مشروع، وغير مشروع، التوسل إلى الله بأسمائه، وصفاته، وأفعاله من المشروع، وكذلك التوسل إلى الله تعالى بشكوى الحال عليه، أي يذكر الحال الإنسان، وأنه مفتقر إلى الله ﷻ، والتوسل إلى الله بالإيمان به، والتوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، والتوسل إلى الله تعالى بدعاء من ترجى إجابة دعائه، كل هذا مشروع، هذا سبعة أنواع، والتوسل كلها مشروعة ، التوسل إلى الله تعالى بأسمائه هذا هو الأصل ؛ لأنك تدعو إلى الله، تقول: اللهم صل على محمد وعلى آله محمد، كما صليت، بالكاف، هنا ليست للتشبيه، بل هي للتعليل، يعني: كما أنك فعلت ذلك فيمن سبق، فافعله بمحمد وآله، ونحن إذا جعلنا الكاف للتعليل سلمنا من إيراد يورده بعض العلماء، يقول: كيف نقول: صلي على محمد، كما صليت على إبراهيم، والقاعدة المعروف في التشبيه أن المشبه به، أعلى، فذهبوا إلى عدة أجوبة، والصواب أن نقول: الكاف ليست للتشبيه، ولكنها للتعليل، كقوله تعالى: ﴿**اذْكُرُوا اللَّـهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٣٩] يعني؛ لأنه علمكم ما لم تكونوا تعلمون التوسل إلى الله تعالى بصفاته كثير، مثل: «**اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك**»[2]، والتوسل إلى الله تعالى بالإيمان به أيضًا كثير: ﴿**رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [آل عمران: ١٦] والتوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح أيضًا كثير في القرآن والسنة، ومنه: قصة أصحاب الغار الثلاثة، الذين انطبق عليهم،

---

(١) فتاوى ابن تيمية ٤/ ٣٨.

(٢) صحيح: رواه البخاري (١١٦٦، ٦٣٨٢، ٧٣٩٠).

فتوسل كل واحد منهم بصالح عمله، والتوسل إلى الله تعالى بحال العبد، قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤] والتوسل إلى الله تعالى بدعاء من ترجى إجابته كثير، فالصحابة يأتون الرسول ﷺ يسألونه أن يدعو لهم، فيدعو الله لهم.

س: ذكرت يا شيخ التوسل المشروع فما التوسل الممنوع؟

ج: التوسل الممنوع أن يتوسل الإنسان إلى الله تعالى بما ليس بوسيلة مثل: أن يتوسل إلى الله بالنبي ﷺ، اللهم إني أسألك بنبيك، أو يتوسل إلى الله تعالى بجاه النبي، أو بمنْزلة النبي، أو بقرب النبي، هذا لا يجوز، وكذلك أيضًا توسل المشركين بأصنامهم، فإنه لا يجوز، وربما يصل هذا إلى الشرك، وهو أصله شرك قد يكون أصغر، وقد يكون أكبر، وإنما قلنا إنه شرك ؛ لأنه إثبات سبب لم يكن سببًا شرعيًا، ولا حسيًا.

س: التوسل بالشفاعة؟

ج: نعم كيف تقول.

س: اللهم بشفاعة محمد عليه الصلاة والسلام أدخلني الجنة؟

ج: لا... أحسن من هذا أن تقول: اللهم أدخلني في شفاعة محمد ﷺ، ويجوز أن تقول: اللهم بشفاعة محمد ؛ لأن شفاعة محمد سبب.

س: بارك الله فيكم ذكر بعضهم أن من آداب طالب العلم أن يكون دقيقًا في لفظه إذا نقل من كتاب رياض الصالحين مثلًا، وذكر صاحب الكتاب أن البخاري أخرجه، فنقول: رواه البخاري، ذكر صاحب رياض الصالحين، وما أشبه ذلك أن هذه من صفات طالب العلم التي ينبغي أن يتحلى بها؟

ج: لا ليس بشرط، ما دام الناقل ثقة، المطلوب محقق، ما هناك حاجة، لكن نعم من دقة العلم أن يقول: رواه البخاري، في المكان الفلاني مثلًا: كما يوجد الآن في بعض التعليقات على الكتب المعلق عليها، البخاري رقم كذا في صفحة كذا.

س: لكن يستدل الإنسان بمشقة؟

ج: ليس بشرط، أنحن قلنا شرط، وينبغي أهي بلازم؟

إذا قال: رواه البخاري في الباب الفلاني، لا شك أنه طيب ؛ لأنه ربما أرجع للكتاب، وأجد في الألفاظ بعض الاختلاف... فارجع إلى الأصل.

٣٢- الأمانة العلمية:

يجب على طالب العلم فائق التحلي بالأمانة العلمية، في الطلب والتحمل، والعمل، والبلاغ، والأداء.

«فإن[1] فلاح الأمة في صلاح أعمالها، وصلاح أعمالها في صحة علومها، وصحة علومها في أن يكون رجالها أمناء، فيما يروون أو يصفون، فمن تحدث في العلم بغير أمانة، فقد مس العلم بقرحة، ووضع في سبيل فلاح الأمة حجر عثرة.

الشرح

هذا أيضًا من أهم ما يكون في طالب العلم، أن يكون أمينًا، أمينًا في علمه، فيكون أمينًا في نقله، أمينًا في وصفه، إذا وصف الحال، فليكن أمينًا، لا يزيد، ولا ينقص، وكثير من الناس ينقصه هذه الأمانة، فتجده يصف من الأحوال ما يناسب رأيه، ويحذف الباقي، وينقل أيضًا من أقوال أهل العلم، بل ومن النصوص ما يوافق رأيه، ويحذف الباقي، فيكون كالذي قال:

ما قال ربك ويل للأولى سكروا بل قال ربك ويل للمصلين

نعوذ بالله، وحذف ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، وهذا لا شك أنه حجر عثرة، وأنه تدليس للعلم ؛ لأن الواجب النقل بأمانة، والوصف، بأمانة، وما يضرك إذا كان الدليل على خلاف ما تقول، فإنه يجب عليك أن تتبع الدليل، وأن تنقله للأمة، حتى يكون على بصيرة، من الأمر، ومثل هذه الحال أعني عدم الأمانة، يوجب أن لا يكون الإنسان فاسقًا لا يوثق له الخبر، ولا يقبل له نقل؛ لأنه مدلس.

* * *

لا تخلو الطوائف المنتمية إلى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنَى فضيلة، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، وأمثال هؤلاء لا تجد الأمانة في نفوسهم مستقرًّا، فلا يتحرجون أن يرووا ما لم يسمعوا، أو يصفوا ما لم يعلموا.

---

(١) رسائل الإصلاح ١/ ١٣.

الشرح

* نعم يقول: «**لا تخلو الطوائف المنتمية إلى العلوم من أشخاص لا يطلبون العلم ليتحلوا بأسنى فضيلة**»؛ لأن طلب العلم يؤدي إلى التحلي بأسنى فضيلة، أي بأعلاها، وأبينها، وأظهرها، أو لينفعوا الناس بما عرفوا من حكمة، وإنما يطلبون العلم من أجل نصر آرائهم، فتجده يبحث في بطون الكتب، ليجد شيئًا يقوي به رأيه، سواء كان خطًا أم صوابًا، وهذا والعياذ بالله هو المراء، والجدال المنهي عنه، أما من يقلب بطون الكتب من أجل أن يعرف الحق فيصل إليه، فلا شك أن هذا هو الأمين المنصف.

❁ ❁ ❁

وهذا ما كان يدعو جهابذة أهل العلم إلى نقد الرجال.

الشرح

يعني هذا هو الذي يدعو جهابذة أهل العلم إلى نقد الرجال، ليبينوا أحوالهم، وأنه رجل يتبع الهوى، ولا يريد الهدى.

❁ ❁ ❁

وتمييز من يسرف في القول ممن يصوغه على قدر ما يعلم، حتى أصبح طلاب العلم على بصيرة من قيمة ما يقرءونه، فلا تخفى عليهم منْزلته من القطع بصدقه أو كذبه، أو رجحان أحدهما على الآخر، أو احتمالهما على سواء».

٣٣- الصدق[١]:

صدق اللهجة: عنوان الوقار، وشرف النفس، ونقاء السريرة، وسمو الهمة، ورجحان العقل، ورسول المودة مع الخلق، وسعادة الجماعة، وصيانة الديانة؛ ولهذا كان فرض عين، فيا خيبة من فرط فيه، ومن فعل فقد مس نفسه، وعلمه بأذى.

الشرح

الصدق هنا قريب من مسألة الأمانة العلمية؛ لأن الأمانة العلمية تكون بالصدق، والصدق كما قال: «**عنوان الوقار، وشرف النفس، وطريق النجاة**»، وإذا كان الكذب ينجي،

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ٢٠/ ٧٤- ٨٥.

فإن الصدق أنجى وأنجى، وإن كان الكذب أيضًا لا يدوم؛ لأنه سرعان ما يتبين الكذب، ويفتضح الكاذب. لكن الصدق عاقبته حميدة، فإذا أردت أن تعرف ذلك، فانظر في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع ﷺ تخلفوا عنها بغير عذر، ولما رجع النبي د من الغزوة، جاء إليه المعذرون من المنافقين، وغيرهم يعتذرون، وكان نبينا ﷺ طيب السريرة، يقبل ظواهرهم، ويكل سرائرهم إلى الله، فيستغفر لهم، ويعذرهم، لكن من في السماء لا يعذرهم – الله ﷻ يقول: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦] أما كعب وصاحباه، فصدقوا، فكان من شأنهما أن النبي ﷺ هجرهما، وأمر الصحابة أن يهجروهم، فصار الصحابة لا يكلمونهم، حتى لو سلموا لا يردون السلام عليهم، ولو كانوا لا يردون كلامهم، حتى إن كعب بن مالك تسلق السور على أبي قتادة، وهو ابن عمه، ومن أحب الناس إليه، وسلم عليه، فلم يرد عليه السلام، فقال: أنشدك الله هل تعلم أني أحب الله ورسوله، فلم يجبه إلا بقوله: الله أعلم، ومع ذلك صبروا على هذه المحنة العظيمة ،وبعد تمام الأربعين ليلة، أرسل النبي ﷺ إليهم أن يعتزلوا نسائهم، فقال كعب للرسول: أنطلقها يا رسول الله أم لا؟ قال: لا أدري، الرسول ﷺ قال: «اعتزلها» فقال لها كعب: الحقي بأهلك، وبقي بلا زوجة مع أنه شاب، وكان ﷺ أشب القوم الثلاثة، يأتي في الأسواق، ويطوف في الأسواق، ويأتي النبي ﷺ ويسلم عليه يقول: فلا أدري أحرك شفتيه برد السلام أم لا، مع أنه ﷺ أحسن الناس خلقًا، لكن النبي ﷺ إذا قام كعب يصلي أتبعه بصره، فإذا تفطن له أعرض، وهذا يدل على أن الرسول ﷺ يحبه[1]، لكن يريد أن يحصل ما أراد الله أن يكون من هذه المحنة العظيمة، والعاقبة الحميدة، وبعد خمسين ليلة أنزل الله- جل وعلا- التوبة عليهم وانفراج الكرب، وحصل بذلك الرفعة في الدنيا والآخرة، حتى صارت قصتهم تتلى في الصلوات الفريضة والنافلة، وعلى المنابر، وفي المحاريب، وفي كل مكان، يقصد الناس لله تعالى بها، فالمهم عليك بالصدق... عليك به، ولو كنت تتخيل أنه يضرك، فاصبر، فإن الصدق

(١) متفق عليه رواه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) في قصة طويلة.

يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإني لأذكر رجلًا من عامة الناس شُهِر بالصدق، فكان الناس ينقلون أخباره في المجالس على التلذذ بها أكثر مما ينقلون أخبار العلماء اللذين في وقتهم؛ لأن الصدق يرفع الله به من اتصف به، لاسيما في مسائل العلم، فلا تقل إن الله حرم هذا وهو لم يحرمه، ولا أوجب هذا وهو لم يوجبه، ولا قال فلا كذا وهو لم يقله، بل تجنب هذا كله، وكان الإمام أحمد -رحمه الله- وغيره من الأئمة لا يصرحون بالتحريم والوجوب إلا ما جاءت النصوص بالتصريح به، وإلا فتجد الإمام أحمد -رحمه الله- يقول: أكره كذا، لا يعجبني، لا تفعل وما أشبه ذلك فيما ورد به النص فهو يستطيع، أن يصرح بالتحريم، فيقول: إلا فيما ورد به النص، فهو يستطيع أن يصرح بالتحريم، فيقول: الميتة حرام مثلًا، ويقول: الصلاة فريضة، ونحو ذلك. ويقول الشيخ بكر - وفقه الله -: ولهذا كان فرض عين، لا فرض كفاية، فلا يقول: أنا أكذب، والثاني يصدق، لا يجوز أن تكذب. استثنى بعض العلماء ما جاء عن طريق التورية، ولكن لا حاجة للاستثناء، لأن التورية صدق باعتبار ما في نفس القائل، فمثلًا قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام للملك الجبار: هذه أختي هو صدق بالنسبة لما في قلب إبراهيم هي أخته في الدين، ولكن ذاك، فهم أنَّها أخته في النسب، وهذا ليس بكذب، إن كان إبراهيم تعذر، أو اعتذر عن الشفاعة؛ لأنه كذب ثلاث كذبات، لكنها كذب من وجه، وهو التلبيس على الظالم المعتدي، ولكنها صدق بحسب اعتبار ما في نفس القائل. استثنى بعض العلماء أيضًا ما جاء به الحديث أنه لا يجوز الكذب إلا في ثلاث: في الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث المرأة زوجها، وحديث الرجل زوجته، وحديثها إياه.

ولكن بعض العلماء يقول: إن هذا محمول على التورية، وليس على الحقيقة، فالحرب خدعة، بأن تري عدوك بأنك تريد جهة وأنت تريد الجهة الأخرى، أو تري عدوك أن عندك جنودًا كثيرة، بحيث تلاصق، أو تجعل الجيش يتلاصق كما فعل القعقاع بن عمر في إحدى غزواته، قال: قسم الجيش، وقال: يأتي بعضكم من الجهة هذه، وبعضكم من الجهة هذه، وبعضكم من الجهة هذه، وهم عدد قليل، لكن العدد يظنه عددًا كثيرًا، كذلك الإصلاح بين الناس، لا تكذب لكن تأول، لكن إذا قال لك: فلان يقول في كذا كذا ،

وأنت تريد الإصلاح بينهما، تقول: لا لم يقول فيك شيئًا، شيئًا يعني غير ما قلت: تنوي لم يقل فيك شيئًا غير ما قلت، وبذلك تسلم من الكذب، كذلك حديث المرأة زوجها، وحديث الرجل زوجته، يعني: على سبيل التورية، لا الصريح، وهذا القول ليس ببعيد؛ لأن الكذب كما قال الرسول ﷺ «يهدي إلى الفجور، لا يهدي إلى الخير»[1]، ثم إن الإنسان، إذا اعتاد هذا ولا سيما مع الزوجة، وصار كلما حدث بحديث، وبحثت عنه وجدته كذبًا، لن تثق فيه بعد ذلك، وربما يكون سببًا لبغضها إياه وللفراق بالتالي. وعند العامة يستثنى كذبًا أكثر من ذلك يقولون: إن الكذب الحرام ما كان فيه أكل للمال بالباطل، وأما ما سواه فهو كذب أبيض، ويقسمون الكذب، إلى قسمين قسم أبيض، وقسم أسود، والأبيض حلال والأسود، حرام، والأسود ما فيه أكل للمال بالباطل والأبيض ما ليس كذلك، لكن هذا دين العامة، وليس شريعة محمد ﷺ، وهذا الذي قالوه من التقسيم كذب، الكذب حرام، وليس فيه أبيض وأسود، كله أسود.

❁ ❁ ❁

قال الأوزاعي- رحمه الله تعالى-: تعلم الصدق قبل أن تتعلم العلم، وقال وكيع - رحمه الله تعالى -: هذه الصفة لا يرتفع فيها إلا صادق. رواهما الخطيب في الجامع[2].

فتعلم -رحمك الله - الصدق قبل أن تتعلم العلم، والصدق: إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، فالصدق من طريق واحد، أما نقيضه الكذب فضروب وألوان، ومسالك وأودية يجمعها ثلاثة[3]:

١-كذب المتملق: وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد، كمن يتملق لمن يعرفه فاسقًا أو مبتدعًا فيصفه، بالاستقامة.

٢- وكذب المنافق: وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧).

(٢) الجامع ١/ ٣٠٤، ٢/ ٧.

(٣) رسائل الإصلاح ١/ ٩٥- ١٠٥ مهم.

الشرح

الصدق لا شك أنه سبيل واحد، والكذب سبل وهكذا الهداية والضلالة، الهداية سبيلها واحد، والضلالة سبل متفرقة، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وأما قوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ [المائدة: ١٦]، فقد جمعها باعتبار تنوع الشرائع، صلاة، زكاة، صيام، حج، بر، صلة باعتبار، وما أشبه ذلك فجمعها باعتبارها وتوحيدها باعتبار آخر، أما الكذب فطرق وألوان متعددة، وبتعدد أغراضه فهو يجمعها ثلاثة يقول:

١- كذب متملق، وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد كمن يتملق لمن يعرفه فاسقًا، أو مبتدعًا فيصفه بالاستقامة، هذا كذب، تعرف أن هذا الرجل فاسقًا، ثم تأتي إليه تقول: ما شاء الله أنت رجل مستقيم المنهج، وأنت تعرف أنه من أفسق عباد الله، هذا يقال له: تملق، وهذا أكثر ما يكون عند الملوك والأمراء، تجد الرجل يتملق إلى الأمير، أو الملك، ويقول: أنت فيك كذا، لا أنت فيك كذا، وأنت فيك كذا، وهذا لا شك من النفاق، والعياذ بالله؛ لأن الواجب أن يوصف الإنسان بما يستحق، هذا يخالف الواقع، ويخالف الاعتقاد ؛ لأن المتملق يعتقد خلاف ما يقول لهذا الرجل الذي تملق عنده، ويخالف الواقع ؛ لأن الواقع ليس كما قال الثاني: كذب المنافق، وهو ما يخالف الاعتقاد، ويطابق الواقع، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، كونه رسول الله ﷺ مطابق للواقع، نعم ما هو الدليل؟ قوله:﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ لكن شهادتهم هذه مخالفة لاعتقادهم ؛ لأن الله قال: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾، أي في قولهم: نشهد إنك لرسوله، لا في قولهم: إنه رسول الله، هذا يخالف الاعتقاد، ويطابق الواقع، وهذا باعتبار قول المنافقين في غيره، إما باعتبار قوله في نفسه، فهذا إذا قال عن نفسه إنه صالح، فهذا يخالف الاعتقاد، ويخالف الواقع ظاهرًا.

❁ ❁ ❁

٣- وكذب الغبي: بما يخالف الواقع، ويطابق الاعتقاد، كمن يعتقد صلاح صوفي، مبتدع فيصفه بالولاية.

الشرح

وأما الثالث فكذب الغبي بما يخالف الواقع، ويطابق الاعتقاد، هذا أيضًا هو أن يقول للشيء ما ليس فيه لغبائه، فيقول مثلًا عن أهل الكلام: إنَّهم هم العقلاء، وأنَّهم أهل العلم والحكمة. أما أهل السنة، فهم أغبياء ؛ لأنَّهم يفوضون النصوص، ولا يعرفون لهم معنى. نقول: هذا غبي ؛ ولهذا عبر شيخ الإسلام -رحمه الله- في كتابه الفتوى الحموية، عبر بهذا الوصف فقال: قال بعض الأغبياء: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم؛ لأن هذا غبي، كذلك من يشاهد الصوفية، وتصنعهم وعبادتهم، فيقول: أنهم أهل الصلاح، وأهل الولاية، نقول: أنت غبي، لا تعرف حقيقتهم، فلا تحكم عليهم بالصلاح، حتى تعرف الحقيقة، وإلا كنت غبيًا؛ فهذا كاذب، فهل يعذر بكذبه؟ نقول: إن فرط في البحث، فإنه لا يعذر، وإن كان هذا منتهى علمه، فإنه يعذر ؛ لأنه جاهل.

أما الأول: وهو المتملق، والثاني وهو المنافق، فلا عذر لهم في ذلك.

س: يا شيخ – جزاك الله خير – هل يجوز الكذب للمصلحة، فإذا أراد طلاب أن يدرسوا عند شيخ من الصوفية مثلًا، فإذا أقول لهم: هذا صوفي عقيدته غير سليمة، يجهلون، فإذا أقول لهم: هناك في هذا الرجل مرض معدي كي أخلص منه هؤلاء الشباب؟

ج: يعني تقول: هذا فيه مرض معدي، أخاف تمرض أنت، لا ما يصلح... يعني هذا ربما يقول: نحن نشاهد شيخنا، رجل نشيط، وصحيح ولا فيه إلا العافية.

س: يعني هم أرادوا التعلم من الصوفية، وإنِّي أردت أن لا تقرءوا عليه، فقلت: هذا عنده مرض معدي... طيب فاذهب إلى شيخ آخر مثلًا من مشايخ أهل السنة؟

ج: طيب سنقول لك: شيخنا أصح من شيخك، شيخنا نشيط، لا رأينا عليه أعراض مرض، لكن ابحث عن شيء آخر غير مسألة أن فيه مرض معدي.

س: طيب أقول لهم: هناك شرطة؟

ج: لا...لا حتى هذا أيضًا إذا خرجوا ولم تمسكهم الشرطة تبين أن كلامك غير صحيح.

أليس ممكن أن تقول: هناك واحد يعلم أحسن من هذا، أخشى بعضهم يذهبون لهذا، ويجدون أن صاحبهم الأول أحسن تعليمًا، لكن أرى في مثل هذه الحال أن تصرح

بالواقع، فتقول: إن صاحبكم هذا يقول: كذا، ويقول: كذا، ويقول: كذا.

س: **مرادي ومقصودي منهم هو مرض العقيدة؟**

ج: ما يخالف.. لكن هم سيفهمون أنه مرض الجسم، وإذا رأوا صاحبهم يأكل ويشرب وينام، فيهجع، ويسابق، فيسبق، ورأوا ما شاء الله صحته طيبة.

❁ ❁ ❁

فالزم الجادة «الصدق»، فلا تضغط على عَكَدِ اللسان، ولا تُضمَّ شفتيك، ولا تفتح فاك ناطقًا إلا على حروف تُعَبِّر عن إحساسك الصادق في الباطن، كالحب والبغض، أو إحساسك في الظاهر، كالذي تدركه الحواس الخمس: السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس.

فالصادق لا يقول: أحببتك وهو مبغض، ولا يقول: سمعت، وهو لم يسمع، وهكذا..

واحذر أن تحوم حولك الظنون، فتخونك العزيمة في صدق اللهجة فتسجل في قائمة الكذابين، وطريقة الضمانة لهذا... إذا نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه: أن تقهرها بذكر منزلة الصدق، وشرفه، ورذيلة الكذب ودركه، وأن الكاذب عن قريب ينكشف، واستعن بالله ولا تعجزن.

ولا تفتح لنفسك سابلة المعاريض في غير ما حصره الشرع.

فيا طالب العلم، احذر أن تمرق من الصدق إلى المعاريض فالكذب، وأسوأ مرامي هذا المروق «الكذب في العلم»، لداء منافسة الأقران، وطيران السمعة في الآفاق.

الشرح

هذه المسألة مهمة جدًّا، وهو أن بعض الناس يتسرع في الرقي إلى العلو، بما يلفقه ويوهم الناس أن عنده علمًا واسعًا، وأنه عبقري، وأنه في كل فن له يد، وما أشبه ذلك، إنه غلط عظيم، فهو مع جمعه الكذب فيه الخيانة للناس، وإيهامهم خلاف الواقع، وفيه أيضًا التغرير بالنفس، أن الإنسان يزهو بنفسه، حتى يحجمها، ويكبرها، وهي دون ذلك... وكم من إنسان هلك بمثل هذا سواء في طريق العلم، أو في طريق العبادة، ولكن سرعان ما ينكشف، سرعان ما يرد عليه شيء يعجز عنه، وحينئذٍ إما أن يقول ما هو معلوم كذبه، فينكشف، وإما أن يتذبذب، ويفتضح أمره، ولهذا كان مما قاله عبد الله بن مسعود ﵁

«إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: لا أعلم»[١].

وذكر بعضهم أن قول القائل: لا أعلم هي نصف العلم، ولكن هي في الواقع العلم كله.. والإنسان إذا عرف بالتحري، وأنه لما لا يعلم لا أعلم، وثق الناس بقوله، أما إذا كان كاذب يجيب عن كل ما يسأل، حتى لو كان لا يعرف شيئًا مما سئل عنه أجاب به، فإنه سوف ينكشف أمره، وسوف لا يثق الناس بقوله: وإن كان حقًّا لكن ما الذي يحمل الإنسان على أن يقول مثل هذا، يحمله طلب العلو أن يكون فائقًا لأقرانه أو طلب الطيش والشهرة، بحيث يقال: فلان العلامة الفهامة، البحر الزاخر، وما أشبه ذلك، وهذه لا شك أنَّها من مكائد الشيطان، فالواجب عليك أن تعرف قدر نفسك، وأن لا تنْزلها فوق منْزلتها، ثم إن القول في مسائل الدين أخطر ما يكون ؛ لأنه قول على الله بلا علم، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

بعض الناس إذا عثر على خطئه، قال: سبحان الله سبحان الذي لا ينسى، لكن أنت لم تنسَ بل أنت جاهل من الأصل، لم يطرأ عليك النسيان، فالواجب أن الإنسان يعرف نفسه.

* * *

ومن تطلع إلى سَمعة فوق منْزلته، فليعلم أن في المرصاد رجالًا يحملون بصائر نافذة، وأقلامًا ناقدة، فيزنون السمعة بالأثر، فتتم تعريتك عن ثلاث معان:

١- فقد الثقة من القلوب.

٢- ذهاب علمك وانحسار القبول.

٣- أن لا تُصَدَّق، ولو صَدَقْت.

وبالجملة فمن يحترف زخرف القول، فهو أخو الساحر، ولا يفلح الساحر حيث أتى[٢]، والله أعلم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٤٨٢٢).
(٢) المرجع قبله.

الشرح

ما قاله صحيح، الإنسان إذا تطلع إلى السمعة فقط، ونزل فوق منْزلته، فسرعان ما ينكشف، ثم إن النية في طلب العلم، يجب فيها الإخلاص لله ﷻ، ولهذا ورد عن النبي ﷺ: **«من طلب علمًا، وهو ممن يبتغى به وجه الله ﷻ لا يريد إلا أن ينال عرضًا من الدنيا، لم يرح رائحة الجنة، وإن من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يجاري به العلماء، فليتبوأ مقعده من النار»**[1]، فالمسألة خطرة، ولاسيما العلوم الشرعية، وذكر ثلاث مضار.

أولًا: فقد الثقة من القلوب... متى تفقد؟!

إذا تبين أنه قال عن جهل، ما يثقون به، وينصرفون إلى غيره، الثاني: ذهاب علمك، وانحسار القبول؛ لأنه يقبله مثلًا غيره، فإنهم إذا فقدوا الثقة انحسروا إلى خمسة أو أقل، والثالث: أن لا تصدق، ولو صدقت، حتى لو حدثتهم بحديث يعرفونه.. قالوا: هذا رمية من غير رام، وهو لا يعرف. فالحاصل: أن الإنسان يجب أن يعرف قدر نفسه، وأن يحترم العلم، وأن لا يجعله وسيلة للرقي الخادع.

س: **ما معنى قوله: «فيزنون السمعة بالأثر»؟**

ج: يزنون السمعة بالأثر، يشوفون الأثر، هل يدل على علمه، وسعة علمه أو لا.

س: **كيف يذهب علمه؟**

ج: يذهب علمه؛ لأن الناس إذا لم يقبلوه ذهب علمه.

س: **بعض الناس يكذب على غيره يا شيخ يكذب على بعض المشايخ، فيقول: أنا سمعته يقول: كذا، يكون تصديقًا لقوله أوفعله؟**

ج: هذا أشد، والكذب على العلماء في الشريعة خطرٌ عظيم؛ ولهذا كان من كذب على الرسول ﷺ متعمدًا فجزاؤه أن يتبوء مقعده من النار.

الكذب على العلماء في الشريعة خطير جدًا؛ لأنه كذب على الشريعة، وبعض الناس استحسن شيئًا في نفسه، وعرف أن الناس لن يقبلوه منه، تخيل العالم الذي يثق به الناس،

---

[1] رواه الترمذي (٢٦٥٤)، وابن ماجه (٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦٠)، وذكره الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٥٩٣٠، ٦١٥٨، ٦٣٨٢، ٦٣٨٣، ٧٣٧٠) من حديث جملة من الصحابة ﷺ متفرقين.

ثم لطخه بها... حق أم باطل... طبعًا لا.. وبعض الناس يفهمون خطأ، قبل سنوات كنا نتحدث ونقول في خطبة الجمعة نقول: إن ليلة النصف من شعبان، ليس فيها الليلة التي يقدر فيها ما يكون في السماء، وأن الناس الذين يسمونها ليلة المحو، والكتب، هذا كلام غير صحيح، خرج بعض العوام قال: فلان قال: ليلة النصف من شعبان هي ليلة المحو والكتب، فصار فهم الأمر على عكس ما قلت، فمشكلة.

س: بعض الناس يكثرون الكلام بالمعاريض، فهل يكون هذا وسيلة للوقوع في الكذب؟

إيه نعم المعاريض لا تقال إلا عند الحاجة، أو المصلحة، وإلا فاحذرها؛ لأن الناس إذا رأوا كلامك مخالف الواقع، لم يصدقوك، والإنسان مثلًا لو سألك سائل، ما رأيت فلان؟ فقلت: والله ما رأيته، وتقصد أنك ما رأيته الآن، لأنك رأيته قبل قليل، وانصرف إلى أهله، تقول: ما رأيته، ثم تبين للسائل أنك وإياه تمشيان جميعًا قبل أن يسألك: فماذا يعدك هذا السائل؟ يعدك كذاب؛ فلهذا لا ينبغي والصحيح ما ذهب إليه شيخ الإسلام - رحمه الله- أن التورية حرام، إلا لضرورة، أو مصلحة، وإلا فهي حرام؛ لأنَّها تجعل الإنسان كاذبًا.

❁ ❁ ❁

٣٤- جنة طالب العلم:

جُنة طالب العلم «لا أدري»، ويهتك حجابه الاستنكاف منه، وقوله: يقال..

وعليه، فإن كان نصف العلم «لا أدري»، فنصف الجهل «يقال» و«أظن»[(١)].

الشرح

إيه نعم صحيح، هذا تتميم لما قبله، أن الإنسان يجب عليه إذا لم يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يضره هذا، بل يزيده ثقة بقوله.

* وأما قوله: «نصف الجهل أظن أو يقال» هذا صحيح، بعض العامة تسأله، تقول: هذا حرام أم حلال، فيقول: أظنه أنه حرام، هذا أيضًا نصف الجهل في الواقع، ولكن هل

(١) التعالم ص/ ٣٦.

أثق بقول عامي: أظن كذا، لا... لا يجوز؛ ولهذا كم من أناس أفتاهم العوام بفتاوى خاطئة، ولاسيما في أيام الحج- سبحان الله العظيم- يكثر العلماء، تجد كل عمود خيمة تحته عالمان... كل واحد يفتي... حتى أنه قيل لي: .. إن واحدًا من الناس ..قال: إن الذي يطوف في السطح، أو في الدور الثاني يكفيه، عن سبعة أشواط، ثلاثة أشواط ونصف، لماذا؟

لاتساع الدائرة، وكأنه قاس الأشواط بالخطوات.

وعلى قياس قوله إن الذي يطوف في أطراف الصحن، يكفيه خمسة ؛ لأنه ليس كالذي عند الكعبة، الذي عند الكعبة أقل.. إلى أن يقال: مشقة هذا الذي عند الكعبة تقابل كثيرة خطوة، هذا فيمتنع القياس، على كل حال.. أنا أقول: إنه لا يجوز الاعتماد على فتوى العامة أبدًا... لا تستفتي إلا إنسانًا تثق به في علمه وأمانته.

۞ ۞ ۞

٣٥- المحافظة على رأس مالك «ساعات عمرك»:

الوقت الوقت للتحصيل، فكن حلف عمل لا حلف بطالة وبطر، وحلس معمل لا حلس تله وسمر، فالحفظ على الوقت، بالجد، والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومثافنة الأشياخ، والاشتغال بالعلم قراءة، وإقراء، ومطالعة، وتدبرًا، وحفظًا، وبحثًا، لاسيما في أوقات شرخ الشباب، ومقتبل العمر، ومعدن العافية، فاغتنم هذه الفرصة الغالية ؛ لتنال رتب العلم العالية، فإنها وقت جمع القلب، واجتماع الفكر؛ لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة، والترؤس، ولخفة الظهر والعيال.

الشرح

ولهذا قال عمر رضي الله عنه : «**تفقهوا قبل أن تُسَوَّدوا**»[1]، وفي لفظ: قبل أن تَسُودُوا؛ لأن الإنسان إذا ساد في قومه، كثرت مشاغله، وكثرت أفكاره، وتفرقت وتمزقت عزائمه، بينما يعزم على شيء إذا بحاجة نزلت به أشد إلحاحًا مما عزم عليه، فيتفرق؛ ولهذا اجتهد ما دمت في زمن الإمهال، واتبع واعمل، وابحث، واجعل بطون الكتب هي مرئياتك، حتى تعتاد

(١) رواه الدارمي (٢٥٠) وعلَّقه البخاري رحمه الله- جازمًا- في كتاب العلم- باب الاغتباط في العلم والحكمة.

على هذا، واعلم أنك إذا اعتدت على هذا، أي على الجد والاجتهاد، صار طبيعة لك، بحيث لو أنك كسلت يومًا من الأيام، فإنك تستنكر هذا، وتجده فراغ، انظر الآن أنتم على أبواب الامتحان، إذا انتهت الامتحانات تجد الإنسان يجد فراغًا، وما سيعمل، فإذا عودت نفسك الاجتهاد، والجد، أخذت عليه، وليكن بحثك مركزًا، الأهم فالأهم، حتى يكون لك ملكة، تستطيع أن تخرج المسائل على القواعد، والفروع على الأصول.

❁ ❁ ❁

ما للمعيل وللعوالي إنما — يسعى إليهن الفريد الفارد

الشرح

المعيل: كثير العيال، والعوالي جمع عالية، يعني: المنازل العالية، إنما يسعى إليهن الفريد الفارد المتفرغ لكن إذا كثر العيال، وكثرت المشاغل، ألهتك ؛ لأن الإنسان بشر، والطاقة محدودة، فما دمت متفرغًا فلتكن متفرد، ولا تظن أننا نريد بهذا أو أن المؤلف يريد بهذا ألا نطلب العيال، والنكاح... أبدًا... بل إن النكاح قد يكون من أسباب الراحة، إذا وفق الإنسان فيه، ويسرت له امرأة صالحة.

❁ ❁ ❁

وإياك وتأمير التسويف على نفسك، فلا تسوف لنفسك، بعد الفراغ من كذا، وبعد «التقاعد» من العمل هذا..، وهكذا، بل البدار قبل أن يصدق عليك قول أبي الطحان القيني:

حنتني حانيات الدهر حتى — كأني خاتل أدنو لصيد

قصير الخطو يحسب من رآني — ولست مقيدًا أني بقيد

الشرح

سبحان الله... تشبيه عجيب:

حنتني حانيات الدهر حتى — كأنّي خاتل أدنو لصيد

تعرفون الخاتل يدنو للصيد؟! يحنو ظهره كأنه راكب، والمشي شوي شوي على الأرض، يخشى أن الطير يحس به فيطير، مثل الخيل:

قصير الخطو يحسب من رآني — ولست مقيدًا أنّي بقيد

وهذا صحيح ؛ لأن الله ﷻ قال في كتابه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤] -جل وعلا- والإنسان في حال شبابه يظن أنه لن يتعب، ولن يسأم، ولن يمل، لكن إذا كبر، فكما قال زكريا: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤] لا بد أن يتعب.. لابد أن يمل، فكون الإنسان ينتهز الفرصة ،هذا أمر لابد منه.

❁ ❁ ❁

وقال أسامة بن منقذ:

مع الثمانين عاث الضعف في جسدي — وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
إذا كتبت فخطي خط مضطرب — كخط مرتعش الكفين مرتعد
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلمًا — من بعد حمل القنا في لبة الأسد
فقل لمن يتمنى طول مدته — هذي عواقب طول العمر والمُدد

فإن أعملت البدار، فهذا شاهد منك على أنك تحمل «كبر الهمة في العلم».

الشرح

الله أكبر... الله أكبر...

هذه كلها أبيات... أبيات حكمة... إن الإنسان مآله إلى هذا، يقول: مع الثمانين، أي بلغ الثمانين سنة، عاث الضعف في جسدي، أي: انتشر وشاع، اليد، والرجل، الظهر، الصدر، القلب، الرأس.

قد ساءني ضعف رجلي، واضطراب يدي.. الرجل ما تحمل الإنسان؛ ولهذا يحتاج إلى عصا، تكون رجلاه بدل الثنتين ثلاثة، وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي،

إذا كتبت فخطي خط مضطرب — كخط مرتعش الكفين مرتعد

تجد الإنسان مثلًا كهذا ؛ لأنه ضعف مرة، وهذا مشاهد في كبار السن، تجده يصل إلى هذا الحد، إذا كتب ما يستطيع أن يكتب حتى لو أمسك يده اليمنى باليسرى فاليدان كلتاهما ترتعش لا يستفيد، كخط مرتعش الكفين مرتعد، فاعجب لضعف يدي عن حملها قلمًا، والقلم ثقيل أم خفيف؟ خفيف. «من بعد حمل القنى في لبة الأسد» القنى : الرمح

الذي يرمى به، «في لبة الأسد» وهو أثقل من القلم بكثير

فقل لمن يتمنى طول مدته ... هذي عواقب طول العمر والمدد

نعم هذه العاقبة ولهذا قال الشاعر:

لا طيب للعيش ما دامت منغصة ... لذاته بذكر الموت والهرم

لكن المؤمن الحمد لله ما دام عقله باقيًا وقلبه ثابتًا فإنه وإن بلغ هذا المبلغ من العجز البدني فالقلب حاضر يستطيع أن يستغل وقته بذكر الله ﷻ ورجاءه والتفكر في آياته، وغير ذلك ؛ لأن هذا لا عجز عن فعله إلا الغفلة، والغفلة شيء مشكل ، على كل حال المؤلف -وفقه الله- يدعونا إلى انتهاز الفرصة وأن لا نضيع الأوقات، واعلم أنك إذا اعتدت إضاعة الوقت فسوف تعجز فيها بعد عن الحرص عليه، وعن الانتفاع به؛ لأنك تكون اعتدت الكسل. فإن قال قائل: أليس لنفسك عليك حقا. فالجواب: بلى لنفسك عليك حق ونحن لا نقول: إذا تعبت أو مللت استمر... نقول: استرح حتى الإنسان الذي يصلي إذا أتاه النعاس مأمورًا بأن يدع الصلاة وينام، لكن نقول: ما دمت نشيطًا فاحرص؛ لأن هناك فرق بين العجز وبين الكسل:

الكسل: ضعف في الإرادة، والعجز: ضعف في البدن، وضعف البدن لا حيلة فيه، لكن الإرادة هي التي يستطيع الإنسان أن يعود نفسه على الهمة العالية.

❁ ❁ ❁

٣٦- إجمام النفس:

خذ من وقتك سويعات تجم بها نفسك في رياض العلم من كتب المحاضرات «الثقافة العامة»، فإن القلوب يروح عنها ساعة وساعة.

وفي المأثور عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه قال: أجموا هذه القلوب، وابتغوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان[(١)].

وقال شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله تعالى- في حكمة النهي عن التطوع في مطلق

(١) جامع بيان العلم وفضله.

الأوقات(١):

بل في النهي عن بعض الأوقات مصالح أخر من إجمام النفوس بعض الأوقات، ومن ثقل العبادة ،كما يجم بالنوم وغيره؛ ولهذا قال معاذ: إنِّي لأحتسب نومتي، كما أحتسب قومتي...

وقال(٢): بل قد قيل: إن من جملة حكمة النهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات، إجمام النفوس في وقت النهي ؛ لتنشط للصلاة، فإنَّها تنبسط إلى ما كانت ممنوعة، وتنشط للصلاة بعد الراحة، والله أعلم.

الشرح

وهنا يجب أن نعلم أن إجمام النفس، وإعطائها شيئًا من الراحة حتى تنشط في المستقبل، وحتى تستريح بعض الراحة، مما سبق أن هذا من الأمور الشرعية، التي دل عليها قول النبي ﷺ : «**إن لنفسك عليك حقًّا، ولربك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، ولزوجك عليك حقًّا**»(٣) . يعني:- الزائد- «**فأعطِ كل ذي حق حقه**»، وهذا الحديث هو الميزان الحقيقي، الذي تطمئن إليه النفس، لا ما روي عن علي، ولا غيره، فلو أن المؤلف استدل بِهذا الحديث ؛ لكان أبين، وأظهر، والنفس إذا جعلتها دائمًا في جد لا بد أن تمل وتسأم، وأما ما قيل: إن من جملة حكمة النهي عن التطوع المطلق في بعض الأوقات، فهذا من جملة الحكمة، وليس هو الحكمة، بل الحكمة الحقيقية ما ذكره النبي ﷺ : «**إن الشمس إذا طلعت، فإنه تطلع بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجد لها الكفار، وكذلك إذا غربت يسجدون لها**»(٤)، فهم يسجدون لها استقبالًا، ويسجدون لها وداعًا، أما وقت الزوال، فإن الحكمة فيه أنه الوقت الذي تسجر فيه جهنم، فيلحق النفس من التعب في الحر، لا سيما في أيام الصيف، ما ينهى أن يصلي الإنسان فيه، وليس هذا القيل معارضًا، للحديث، لكنه من جملة الحكمة، والله أعلم.

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٣/ ١٨٧.

(٢) مجموع الفتاوى ٢٣/ ٢١٧.

(٣) صحيح: رواه البخاري (١٩٦٨، ٦١٣٩)، والترمذي (٢٤١٣).

(٤) صحيح: رواه البخاري (٣٢٧٣)، ومسلم (٦١٢، ٨٣٢) عن ثلاثة من الصحابة ﷺ متفرقين.

س: ما معنى النهي عن التطوع في مطلق الأوقات؟

ج: يعني في كل الأوقات... مطلق يعني كل الأوقات، يعني بدون قيد، والنفل المطلق منهي عنه في بعض الأوقات، وليس مأمورًا به في كل الأوقات، لا صلاة بعد العصر، لا صلاة بعد الصبح، يعني مطلق كلها، هذا مثلًا الأوقات المخصوصة، أوقات مقيدة بعد الفجر.

* * *

ولهذا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرة منذ أمد بعيد، وكان الأغلب فيها، يوم الجمعة، وعصر الخميس، وعند بعضهم يوم الثلاثاء، ويوم الإثنين، وفي عيدي الفطر والأضحى من يوم إلى ثلاثة أيام، وهكذا...

الشرح

صحيح، العطل الأسبوعية من زمان، لكن بعضهم يقتصر على الجمعة فقط، وبعضهم يضيف إلى الجمعة يوم الخميس، وبعضهم يجعل الجمعة ونصف الأسبوع، وكان شيخنا عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- يفعل هذا، يكون العطلة يوم الجمعة، ويوم الثلاثاء، الذي هو وسط الأسبوع لأجل أن لا يتوالى يومان كلاهما عطلة، ولئلا يمل الإنسان، وهذا يرجع على كل حال إلى أحوال الناس، والأحوال تختلف، فيجعل من العطل ما يناسب.

* * *

ونجد ذلك في كتب آداب التعليم، وفي السير، ومنه على سبيل المثال «آداب المعلمين» لسحنون، و«الرسالة المفصلة» للقابسي ص(١٣٥- ١٣٧)، و«الشقائق النعمانية» ص (٢٠)، وعنه في «أبجد العلوم» (١/ ١٩٥- ١٩٦)، وكتاب «أليس هذا الصبح بقريب» للطاهر بن عاشور، و«فتاوى رشيد رضا» (١٢١٢)، و«معجم البلدان» (٣/ ١٠٢)، و«فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٥/ ٣١٨- ٣٢٠، ٣٢٩).

٣٧- قراءة التصحيح والضبط:

احرص على قراءة التصحيح والضبط على شيخ متقن، لتأمن من التحريف، والتصحيف، والغلط، والوهم.

وإذا استقرأت تراجم العلماء، وبخاصة الحفاظ منهم، تجد عددًا غير قليل ممن جرد المطولات في مجالس أو أيام قراءة ضبط على شيخ متقن.

الشرح

وهذه الفقرة من أهم الفقرات، وهو إتقان العلم وضبطه، ومحاولة الرسوخ في القلب؛ لأن ذلك هو العلم، ولابد أن يكون على شيخ متقن، أما الشيخ المتشيخ...، فإياك إياك، فقد يضرك ضررًا كثيرًا، والإتقان يكون في من يحسنه، قد نجد رجلًا متقنًا في الفرائض، مثلًا غير متقن في أحكام الصلاة، ونجد رجلًا متقنًا في علوم العربية، غير عارف بالعلوم الشرعية، وآخر بالعكس نجد من كل عالم ما يكون متقنًا فيه، ما لم يتضمن ذلك ضررًا، مثل أن نجد رجلًا متقنًا في علوم العربية، لكنه منحرف في عقيدته وسلوكه.

❁ ❁ ❁

فهذا الحافظ ابن حجر- رحمه الله تعالى- قرأ «صحيح البخاري» في عشرة مجالس، كل مجلس عشر ساعات.

الشرح

كم يكون من ساعة؟ مائة ساعة، نحن نظن مائة يوم، أو أكثر، الله المستعان، لكن على كل حال هو قراءة فقط، يعني تسميعًا دون الشرح والتأمل.

س: **لكن يا شيخ هل هذا يقع، هل ممكن في ١٠٠ ساعة، أكثر من سبعة آلاف حديث مكررة؟**

ج: إيه يمكن، مائة ساعة ليست بِهينة، لا بل يمكن، جرب وأخبرني؛ لأنه قراءة فقط بهذه هذًّا.

س: **يعني هل يا شيخ هذا النقل يثبت عن ابن حجر؟**

ج: إيه نعم هذا كلامه، نعم.

❁ ❁ ❁

وصحيح مسلم في أربعة مجالس في نحو يومين، وشيء من بكرة النهار إلى الظهر.

الشرح

طيب الآن أيهما أكثر؟! هذا عشرة مجالس، وهذا أربعة مجالس، ما هذه المشكلة الآن، هذا هو محل إشكال، يعني الآن سيكون مُخَمَّسين صحيح مسلم بالنسبة للبخاري كم؟

خمسان، وهذا أقول فيه نظر.

س: ربما كان مختلفة القراءة؟

ج: مهما كان «مسلم» والممكن في أربعة مجالس، إلا إذا كان المجلس عشرين ساعة يمكن لكن هذا لا يتم فيه.

❁ ❁ ❁

وانتهى ذلك في يوم عرفة، وكان يوم الجمعة سنة ٨١٣هـ وقرأ «سنن ابن ماجه» في أربعة مجالس، و«معجم الطبراني الصغير» في مجلس واحد، بين صلاتي الظهر والعصر.

وشيخه الفيروزآبادي قرأ في دمشق «صحيح مسلم» على شيخه ابن جهبل قراءة ضبط في ثلاثة أيام.

وللخطيب البغدادي والمؤتمن الساجي، وابن الأبار، وغيرهم في ذلك، عجائب وغرائب يطول ذكرها، وانظرها في «السير للذهبي» (١٨/ ٢٧٧ و ٢٧٩، ١٩/ ٣١٠، ٢١/ ٢٥٣)، و«طبقات الشافعية» للسبكي(٤/ ٣٠)، و«الجواهر والدرر» للسخاوي (١/ ١٠٣- ١٠٥)، و«فتح المغيث» (٢/ ٤٦)، و«شذرات الذهب» (٨/ ٢٠٦، ١٢١)، و«خلاصة الأثر» (١/ ٧٢- ٧٣)، و«فهرس الفهارس» للكتاني، و«تاج العروس» (١/ ٤٥- ٤٦). فلا تنس حظك من هذا.

الشرح

س: ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد في الصدق الآن بعض الشباب يا شيخ معروفين بطلب العلم، ولكن يكذبون، وجربوا عليهم الكذب، فإذا نصحتهم، تتهم بالغيبة، والسؤال، التنبيه على هذا يا شيخ، إن هذا ليس من الغيبة، إذا بينت أنه رجل كذاب، يكذب في أمور وجرب عليه الكذب؟

ج: أنت تعلم أن الرسول ﷺ جعل الكذب من آيات النفاق، والمنافقون قال الله

فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، عندهم فصاحة وبيان، وعلم، ومعرفة، لكن قلوبهم خاوية، من هذا -والعياذ بالله- فتجده يتساهل في الكذب، والعجيب أن بعض الناس الآن يقولون من طلبة العلم، وليس من العوام، العامي يقول: الكذب ينقسم إلى قسمين: **الأول**: أبيض، **والثاني**: أسود، وما عدا ذلك، فهو أبيض، ونظيف ، وبعض طلبة العلم يقول: إن الكذب للمصلحة جائز، فيقيده بعض الشيء، لكن ما ميزان المصلحة؟ هل هو على مزاجك؟ هذا غير صحيح، ويعني حتى بعض الناس، إن أراد أن يخفي عيوبه، وقيل له فقلت: كذا وكذا، يقول: أبدًا، وهو ثابت عليه، بشهود ثم يقول: ما فعلت، وهو من طلبة العلم، هذا غلط، هو يدعي أن هذا مصلحة لدرء السوء عنه، ولكن هذا ليس بصحيح، بل الواجب على الإنسان أن يكون صدوقًا، كما أمر النبي ﷺ بذلك، وحث عليه في قوله: **«عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب، ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا»**[1] .

❁ ❁ ❁

٣٨- جرد المطولات:

الجرد للمطولات من أهم المهمات، لتعدد المعارف، وتوسيع المدارك، واستخراج مكنونها من الفوائد، والخبر في مظان الأبحاث والمسائل، ومعرفة طرائق المصنفين في تآليفهم، واصطلاحهم فيها.

وقد كان السالفون يكتبون عند وقوفهم: «بلغ» حتى لا يفوته شيء عند المعاودة، لاسيما مع طول الزمن.

الشرح

هذه فيها نظر- يعني: جرد المطولات- قد يكون فيه مصلحة للطالب، وقد يكون فيه مضرة، فإذا كان الطالب مبتدئ، فإن جرد المطولات له هلكة لرجل لا يحسن السباحة،

(١) صحيح: تقدم تخريجه.

يرمي نفسه في البحر، وإن كان عند الإنسان علم، ولكنه أراد أن يسرد هذه المطولات، من أجل أن يستفيد يكسب فوق علمه الذي عنده، فهذا قد يكون حسن، فهذه الجملة، أو هذه الفقرة تحتاج إلى تفصيل، لو أن رجلًا بدأ بالعلم، قلنا له: هيا اذهب راجع، ويراجع كذا، وعددت له من الكتب الموسعة.

فأنت معناه أنك أهلكته، رميته في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج، أما الإنسان الذي أعطاه الله علمًا، وأراد أن يتبحر، أو يتوسع، فهنا نقول: عليك بالمطولات، وقد ذكر لي بعض الإخوة أنه لم يتجاوز «الروض المربع» في مراجعاته في الفقه، ومع ذلك كان يطلق عليه مفتي الديار النجدية، وله حواشي على الروض المربع، وهو لم يتجاوزه، لكنه يكرره، ويتأمله، منطوقًا ومفهومًا، وإيماء وإشارة، أما كتابة «بلغ» فهذا طيبٌ ، إنك إذا راجعت كتابًا يكتب عند المنتهى «بلغ»، لتستفيد فائدتين: الأولى: ألا تنسى ما قرأت؛ لأن الإنسان ربما ينسى، فلا يدري هل بلغ هذه الصفحة أو لا، وربما يفوته بعض الصفحات إذا ظن أنه قد تقدم في المطالعة، والفائدة الثانية: أن يعلم الآتي بعدك الذي يقرأ هذا الكتاب أنك قد أحصيته وأكملته، فيثق به أكثر.

س: **مر بنا عدم الأخذ من شيخ مبتدع، التعلم على مبتدع، فهل من ذلك يا شيخ إذا كان من بيده ولاية على جانب من جوانب الدعوة مثلًا كتاب، أو دعاة، أو غيرهم، فهل يقبل التبرع المادي، كمال مثلًا من رجل مبتدع؟**

ج : إذا كان هذا الرجل المبتدع معروفًا في بدعته، ولكنه كريم ومتبرع إلى جهة خير، فإنه يؤخذ تبرعه ؛ لأن هذا لا يخدع الناس بالعلم، صحيح أنهم ربما يحبونه لكرمه؛ لأن الكريم محبوب، ولكن هذا لا يؤدي إلى فتنة الناس به، من حيث الشرع، أو علم الشرع، هذا إذا كان معروفًا يعرفه الناس، ويحذرون منه، أما إذا كان لا يعرف الناس عنه إلا أنه رجل متكلم، وعنده علم، فهذا ربما لا يغتر به، ولكن لا حظ أنك إذا رددت تبرعه، سيحصل في ذلك مضرة كبيرة، سينشر ما يستطيع من مساوئك، حتى لا تظن أن هذا ويقول: انظروا إلى هؤلاء الذين يدعون أنهم من أهل الخير، وأنَّهم يحبون الخير للناس، يردون ما تبرعت به إلى هؤلاء الأيتام، أو إلى هذه الجهة الخيرة، فالإنسان لا يقدم على الشيء إلا إذا عرفت أنه ليس له تأثير سيئ.

س: **يا شيخ ولو اقتضى مجاملة؛ لأنه معلوم يا شيخ أنك من تأخذ منه إلا وتقول له جزاك الله خير، أحسن الله إليك، شكرًا مثلًا هذه المجاملات؟**

ج: مثلًا تقول إذا أخذت منه، تقول: تقبل الله منا ومنك، ووفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى، هذا طيب، ومعنى هذا أنك تدعو له بالهداية من بدعته.

س: **إذا اختلفت أقوال الناس في الحكم على رجل بأنه مبتدع هل نبدعه؟**

ج: لا، لابد من أن تتثبت ما دام اختلفت أقوال الناس فيه لابد أن تتثبت، وما أظن أن أحدًا لا يتبين أمره أبدًا.

ط: **هذا واقع يا شيخ؟**

ج: لا ليس واقع ؛ لأنه لابد، هو ممكن أن لا يتبين بسرعة... صحيح، لكن ما دام ما تبين انتظر، الأصل فيه أنه ليس مبتدع، فإذا جاءك الناس يقولون لك: هذا مبتدع، فأقول: ما هي البدعة التي رأيتم، ويتبين قد يظن الناس أن هذا بدعة، وليس ببدعة.

❁ ❁ ❁

٣٩- حسن السؤال:

التزام أدب المباحثة، من حسن السؤال، فالاستماع، فصحة الفهم للجواب، وإياك إذا حصل الجواب أن تقول: لكن الشيخ فلان قال لي كذا، أو قال كذا، فإن هذا وهن في الأدب، وضرب لأهل العلم بعضهم ببعض، فاحذر هذا.

وإن كنت لابد فاعلًا، فكن واضحًا في السؤال، وقل: ما رأيك في الفتوى بكذا ولا تسم أحدًا.

الشرح

صحيح هذا من أهم ما يكون من آداب طالب العلم:

أولًا: أن يكون عنده حسن سؤال، حسن إلقاء، مثل أن يقول: أحسن الله إليك، ما يقول: في كذا؟ وإن لم يقل هذه العبارة، فليكن قوله رقيقًا بأدب.

الثاني: حسن الاستماع، أما أن تقول: يا شيخ أحسن الله إليك ما تقول: في كذا وكذا، ثم تلتفت إلى زميلك، فتقول له: ما تقول اليوم... يصلح هذا أم لا يصلح؟! لا يصلح

لماذا؟ ما استمعت، لابد أن تستمع.

الثالث : صحة الفهم للجواب، وهذا أيضًا يكون عند بعض الطلبة، تجده إذا سأله، وأجيب يستحي أن يقول: ما فهمت، ويقول: دعه يمشي إلى أن نلتقي بالشيخ مرة، ثانية، أو ما هو لازم، لست ممن لم يفقه من العلم إلا هذه المسألة، والذي ينبغي لطالب العلم أن يقول: ما فهمت لكن بأدب.

هذه ثلاثة أشياء: أولًا : حسن السؤال، أي: حسن إلقائه، صفته، وكيفيته.

والثاني : حسن الاستماع حيث يفهم المجيب أنك تستمع إليه.

الثالث : صحة الفهم، بعد هذا يجيء بعض الناس، ويقول: بعد ما تم الجواب، وهو يستمع، يقول: لكن قال الشيخ الفلاني: كذا وكذا، في وسط الحلقة، هذا من الأدب أم من سوء الأدب؟ هذا من سوء الأدب؛ لأن معنى هذا أنك لم تقتنع بجوابه، ومعنى هذا إثارة البلبلة بين العلماء.

لكن إن كان ولابد أن يقول: فإن قال قائل، ثم يورد ما أجاب به الشيخ الفلاني؛ لأن أحدًا لا يفهم أنه إذا قال إن قال قائل أنه أراد بذلك جواب شيخ آخر، ولهذا يقول: «**لكن إن كنت لابد فاعلًا، فقل: ما رأيك في الفتوى بكذا**»، وهذا أيضًا ما هو حسن، أحسن منه أن تقول: فإن قال قائل، لكن إذا قلت: ما رأيك في الفتوى بكذا، وهي خلاف ما أفتاك به، فيعني أنك تريد أن تعارض فتواه بفتوى أخرى، لكنها هي أحسن من قولك، قال الشيخ الفلاني كذا، فعندنا آخر المراتب:

المرتبة الأولى: أسوؤها أن يقول: بعد أن يجيبه.. يقول: قال الشيخ الفلاني: كذا وكذا، ولاسيما إن كان الشيخ الفلاني أقبل عند الناس قولًا من هذا الذي أجاب ؛ لأن هذا تحطيم للمجيب تمامًا.

الثاني: أن يقول: ما رأيك في الفتوى بكذا وكذا ؛ لأن هذا يشعر بأن هذا السائل قد استفتى وأفتي بخلاف ما أفتاه به هذا العالم.

الثالث: وهو أحسنها أن يقول: فإن قال قائل: كذا وكذا ؛ لأن هذا لا يفهم منه أحد أنه جواب مسئول، بل هو إيراد بإشكال على الطالب، وهذا خير ما يكون، وأيضًا ينبغي

أن لا يكون عندنا علم بأن هذه الفتوى مشهورة ؛ لأن إذا كان عندنا علم بأن هذه الفتوى مشهورة التي أوردها الإنسان بصورة الإشكال، صار كالتصريح بأن فلان خالف مثلًا إذا سأله عن وجوب الوضوء من لحم الإبل، فإن قال قائل: حديث جابر: «ترك الوضوء مما مسته النار»، وكان مشهورًا عند الناس أن هناك قولًا ما هو؟ الاعتراض على جواب هذا الذي أجاب، وهذا أيضًا ينبغي ملاحظته، إذا كنت تعرف أن هذا القول مشهور، لا تورده، ولا بصيغة الإشكال.

*** بعد سؤال سائل:**

أنت الآن بين يدي معلم، لست بين يدي أي إنسان، فلذلك لا تجابه بهذا ربما يكون عنده من العمل أكثر مما عند الذي أجاب أولًا؛ ولهذا قلنا: نقول: كمال الأدب أن تقول: فإن قال قائل، وقيدت ذلك فيما ذكرت، أن لا يكون هذا القول مشهورًا، فيكون المراد بإيراده المعارضة، والحمد لله إذا كان عنده إشكال، فليبحث مع شيخه في مكان آخر، ويزول عنه الإشكال.



قال ابن القيم - رحمه الله تعالى-[1]: وقيل: إذا جلست إلى عالم، فسل تفقهًا لا تعنتًا.

الشرح

نحن الآن فيها... في مضمون السؤال أنه ينبغي حسن السؤال، والثاني الاستماع، الثالث الفهم. التفقه واضح؟ يعني طلب الفقه، التعنت يعني طلب الإعنات، يعني المشقة على المسؤل؛ لأن بعض الناس قد يكون عنده علم، أو ليس عنده علم، لكن لا يريد التفقه، إنما يسأل العالم من أجل الإعنات عليه والمشقة، وإظهار عجزه، وما أشبه ذلك من المقاصد السيئة.

* * *

(١) مفتاح دار السعادة ص/ ١٨٤.

وقال أيضًا: وللعلم ست مراتب:

أولها: حسن السؤال، الثانية: حسن الإنصات والاستماع، الثالثة: حسن الفهم، الرابعة: الحفظ، الخامسة: التعليم، السادسة: وهي ثمرته العمل به، ومراعاة حدوده اهـ. ثم أخذ في بيانها ببحث مهم.

الشرح

ترتيبها على هذا الوجه لا شك أنه مناسب، حسن السؤال، إذا دعت الحاجة إلى السؤال، أما إذا لم تدع الحاجة إلى السؤال، فلا تكثر السؤال ؛ لأنه لا ينبغي للإنسان أن يسأل إلا إذا احتاج هو إلى السؤال، أو ظن أن غيره يحتاج إلى السؤال، قد يكون مثلًا درس، فهو فاهم للدرس، ولكن فيه مسائل صعبة تحتاج إلى بيانها، لبقية الطلبة، فيتساءل من أجل حاجة غيره، والسائل من أجل حاجة غيره، كالمعلم؛ لأن النبي ﷺ لما جاءه جبريل، وسأله عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأشراطها، قال: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[1] فإذا كان الباعث على السؤال حاجة السائل، فسؤاله واضح، إنه وجيه، أو حاجة غيره وسأل ليعلم غيره، فهذا أيضًا طيب، أما إذا سأل ليقول الناس: ما شاء الله فلان عنده حرص على العلم، كثير السؤال، وابن عباس رضي الله عنه يقول: لما سئل: بما أدركت العلم؟ قال: بلسان سئول، وقلب عقول، وبدن غير ملول، فهذا غلط، وعلى العكس من ذلك يقول: لا أسأل حياءً، فالثاني مفرط، والأول مفرط، وخير الأمور أوسطها ،ولننظر إلى هذا الترتيب، حسن السؤال، وقلت لكم: إن حسن السؤال يشمل الصيغة، والأداء ،يعني كيف يصوغ السؤال، وكيف يؤديه؟ هل باحترام، وتعظيم، أو بغطرسة وشعور بأنه كالمسئول، الثاني: حسن الإنصات، والاستماع، وقد مر شرحها، الثالث: حسن الفهم أيضًا... الرابع: الحفظ: وهذا الحفظ ينقسم إلى قسمين، قسم غريزي يهبه الله تعالى لمن يشاء، فتجد الإنسان تمر عليه المسألة، والبحث فيحفظه ولا ينساه، وقسم آخر نسبي بمعنىْ أن يمرن الإنسان نفسه على الحفظ، ويتذكر ما حفظ، فإذا عود نفسه على تذكر ما حفظ، سهل عليه حفظه، الخامسة: التعليم والدي أرى أن تكون هي السادسة، وأن العمل بالعلم مثل التعليم، فيعمل بالعلم لإصلاح نفسه، قبل أن يحاول إصلاح

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٨).

غيره، ثم بعد ذلك يعلم الناس، قال النبي ﷺ: «**ابدأ بنفسك ثم بمن تعول**»[١]، والعمل به قبل تعلمه، بل قد يقول:إن تعلمه من العلم به ؛ لأنه جملة العمل بالعلم، أن تفعل ما أوجب الله تعالى فيه من بثه ونشره.

يقول: إن البحث هذا مهم، يعني :كأنه يشير إلى أننا ينبغي أن نطالعه، لكن ما أدري ما أشار إلى القصد، أن مساق الكلام واحد؟

س: **يا شيخ قلنا: إن المحافظة، مكتسبة وغريزية، فالغريزية بمجرد ما يقرأ يحفظ، هل ممكن أن نقول: إن الذي ليس عنده حفظ، بكثرة الممارسة والتمرن يعني يصل لدرجة الغريزي، وأكثر منه، يعني الذي حفظه ضعيف هذا بكثرة الممارسة وإتعاب النفس؟**

ج: يعني نقول: الحفظ الكسبي ممكن أن يغلب على الغريزي، قد يغلب، وقد لا يغلب، حتى إذا أهمله الإنسان ولم يتعاهده، ربما يزول؟

❁ ❁ ❁

٤٠ - المناظرة بلا مماراة[٢]:

إياك والمماراة، فإنَّها نقمة، أما المناظرة في الحق، فإنَّها نعمة، إذ المناظرة الحقة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهي مبنية على المناصحة، والحلم، ونشر العلم، أما المماراة في المحاورات، والمناظرات، فإنَّها تحجج ورياء، ولغط وكبرياء، ومغالبة ومراء، واختيال وشحناء، ومجاراة للسفهاء ؛ فاحذرها، واحذر فاعلها تسلم من المأثم وهتك المحارم، وأعرض تسلم وتكبت المأثم والمغرم.

الشرح

لا شك أن المناظرة شحذ للأفهام، فالمناظرة والمناقشة تسعد الفهم، وتعطي الإنسان قدرة على المحاولة، والمجادلة، والمجادلة بالحق مأمور بها، كما قال الله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [النحل: ١٢٥] ، فإذا تمرن

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٢١، ٢٢٣١، ٢٤٠٤، ٢٤١٥، ٢٥٣٤، ٦٧١٦، ٦٩٤٧، ٧١٨٦)، ومسلم (٩٩٧).

(٢) وانظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٤/ ١٧٢ - ١٧٤.

الإنسان على المناظرة، والمجادلة حصل على خير كثير، وكم من إنسان جادل بالباطل، فغلب صاحب الحق، ما نقول: غلب الحق، غلب صاحب الحق ؛ لعدم قدرته على المجادلة، لكن المجادلة نوعان: مجادلة ومماراة، تماري بذلك السفهاء، وتجاري العلماء، ويريد أن ينتصر قوله، فهذه مذمومة، والثاني مجادلة؛ لإثبات الحق، وإن كان عليه، فهذه محمودة، مأمور بها، وعلامة المجادلة الحقة أن الإنسان إذا بان له الحق افتتح وأعلن الرجوع، أما المجادل، الذي يريد الانتصار لنفسه، فتجده لو بان له الحق، وكان ظاهر الحق مع خصمه، يورد إيرادات... يقول: طيب لو قال قائل... ثم إذا أجيب قال: ولو قال قائل، ثم إذا أجيب قال: ولو قال قائل، ثم تكن سلسلة لا منتهى لها، ومثل هذا عليه خطر، خطر أن لا يقبل قلبه الحق، لا بالنسبة لمجادلته مع الآخر، ولكن حتى في خلوته، ربما يورد الشيطان عليه هذه الإيرادات... قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩] فعليك يا أخي أن تقول الحق، سواء مع مجادلة غيرك، أو محاورة ، متى تبين قل: سمعنا وأطعنا؛ ولهذا تجد الصحابة يقبلون ما حكم به الرسول ﷺ، أو ما أخبر به، دون أن يورد عليه الاعتراضات، أو رأيت... أرأيت ؛ ولهذا جادل رجل عبد الله بن عمر، وقال له: أرأيت.. قال: اجعل أرأيت في اليمن [١]؛ لأنه من أهل اليمن، فجادل، ولما سأله أهل العراق عن دم البعوضة، وهل يجوز أن تقتل البعوضة، أو كلمة نحوها، أو شيء نحوها، قال: سبحان الله، أهل العراق يقتلون ابن بنت رسول الله ﷺ ويأتون يسألون عن دم البعوضة [٢]، ما المقصود بهذا ثبات الحق، وإبطال الباطل، فهي خير، وتعودها، وتعلمها، لا سيما في زمننا هذا، فإن زمننا هذا كثر فيه الجدال، كثر فيه المراء، حتى أن الشيء يكون ظاهرًا في الكتاب والسنة، ثم يورد عليك إشكالات إن لم يسعف الله الإنسان بقوة، وبعقل ثاقب هزم.

س:يفهم كثير من الطلاب يا شيخ هذه المهارة التي هي لإثبات حق، والتي ذكرتم أنها هي الواجبة، يتحرج عنه، ويقول: النبي ﷺ يقول: «أنا زعيم ببيت في الجنة لمن ترك المراء

---

(١) صحيح:رواه البخاري (١٦١١)، والترمذي (٨٦١)، والنسائي (٢٩٤٦)، وابن ماجه (١١٧٥)، وفي بعضها: «اجعل أرأيت عند ذلك النجم».

(٢) صحيح رواه البخاري (٥٩٩٤)، والترمذي (٣٧٧٠)، وأحمد (٥٦٤٢، ٥٩٠٤).

وإن كان محقًّا»[1]، فيترك الجدال؟

ج: لكن من ترك المراء في دين الله فليس بمحق إطلاقًا؛ لأن هذا هزيمة للحق، لكن إذا كان محققًا، إنك تخاصمه، أنت وصاحبك بشيء ما له علاقة بالدين، مثلًا قال: أنا رأيت فلانًا... رأيته السوق قال: هذا أبدًا ما رأيته، فلان بالرياض قال: رأيته ما رأيته... ما رأيته... هذه المحاولة، المجادلة، لكن لو أنك بحق إن شاء الله رأيته في البلد، ومتأكد ١٠٠؟ أنت معك حق أم لا؟ أسألك بإجمال معك حق؟ فلما رأيت صاحبك ألزم أنه موجود في الرياض تركته، هذا مراد الحديث، أما من ترك المجادلة في نصرة الحق، فليس بمحق إطلاقًا، فلا يدخل في الحديث.

س: الطلبة المبتدئين، يا شيخ يكثرون من القراءة في كتاب ابن حزم «المحلى» بحجة التمرن على المناظرة، وحينما تنصحهم أن هذا سابق لأوانه يقولون: هذا سبيل التمرن على المناظرة، فهل هذا صحيح يا شيخ، وبماذا تنصحهم؟

ج: والله مناظرات ابن حزم - رحمه الله- مناظرات صعبة، يشدد على خصمه، ومرة أحيانًا بسبب، وأحيانًا وهو يكتب، يقول: تف وينصحك، وليس عليك، فهو-رحمه الله- كان شديدًا جدًّا، وأخشى أن يكون طالب العلم الصغير إذا تعود على مثل ما كان عليه ابن حزم - رحمه الله-. أخشى عليه من المماراة، فلو أنه سلك مسلكًا سهلًا، كان أحسن، إذا كبر إن شاء الله، وعرف كيف يخصم ابن حزم، فليطالع في كتابه.

س: وبماذا تنصحونه يا شيخ؟

ج: أنا أنصحه أن لا يطالع فيه.

س: طيب والتمرن على المناظرة؟

ج: لا أنا قلت قبل قليل تمرن على المجادلة، لإثبات الحق، هذا أمر لا بد منه، كثير من الناس عنده علم واسع، لكن عند المجادلة لا يستطيع أن يتحرك.

س: يا شيخ كيف نبني ملكة المجادلة في الحق من أخذ الأدلة وإعطائها، فمثلًا يتجادل مع زميله في مسألة واضحة؟

ج: كان شيخنا عبد الرحمن بن سعدي -رحمه الله- له يد طولى في هذه المسألة،

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود، وصحيح الترغيب (٢٦٤٨).

القاعدة كراسات من كتابه، مناظرة بين المستعين بالله والمتوكل على الله، كل واحد يدلي به، المهم كذلك أيضًا كان يمرن الطلبة يجعلهم قسمين أنت يا فلان وأصحابك، وأنت يا فلان وأصحابك، أنتم انصروا المذهب، وأنتم انصروا قول شيخ الإسلام بن تيمية، ثم كل واحد منهم يأتي يكتب، فهذا مما يمرن عليه الإنسان، وذكر لي عن بعض الناس إذا كان عنده دعوه دنيوية، قال صاحبه تعالى يا فلان... أنت خصمي.... هيا كأننا بين يدي القاضي أدلِ بحجتك، فيدلي بحجته، ثم هذا يدلي بحجته من أجل أن يمرنه إذا حضر عند القاضي، وإذا هو قد تعلم.. فهي، تحتاج إلى تمرن.

❁ ❁ ❁

٤١ – مذاكرة العلم:

تمتع مع البصراء بالمذاكرة، والمطارحة، فإنَّها في مواطن تفوق المطالعة، وتشحذ الذهن، وتقوي الذاكرة، ملتزمًا الإنصاف والملاحظة، مبتعدًا عن الحيف والشغب والمجازفة:

وكن على حذر، فإنها تكشف عوار من لا يصدق، فإن كانت مع قاصر في العلم، بارد الذهن، فهي داء ومنافرة، وأما مذاكرتك مع نفسك في تقليبك لمسائل العلم، فهذا ما لا يسوغ أن تنفك عنه، وقد قيل: إحياء العلم مذاكرته.

الشرح

هذا أيضًا من الذي ينبغي لطالب العلم أن يقوم به، وهو المذاكرة، والمذاكرة نوعان: مذاكرة مع النفس، ومذاكرة مع الغير، المذاكرة مع النفس، تجلس جلسة وحدك ثم تطلب مسألة من المسائل أو تكون مسألة مرت عليك، ثم تأخذ في محاولة ترجيح ما قيل في هذه المسألة بعضها على بعض، وهذه سهلة على الإنسان، هي أيضًا تساعد على مسألة المناظرة، المناظرة السابقة، أما المذاكرة مع الغير، فهي أيضًا واضحة يختار إنسان من إخوانه الطلبة من يكون عونًا على طلب العلم، مفيدًا له... فيجلس معه، ويتذاكر معه ويقرأ عليه، مثلًا ما حفظاه كل واحد يقرأ على الآخر قليلًا، أو يتذاكران في مسألة من المسائل بالمراجعة أو بالمفاهمة إن قدرا على ذلك، فإن هذا مما ينمي العلم، ويزيد، لكن إياك والشغب، والصلف ؛ لأن هذا لا يفيد، أنت الآن بحاجة في مقام الإقناع ، أو في مقام التأديب؟! واعلم أنه لن

يقتنع كلما اشتد غضبك عليه، بل ربما إذا اشتد غضبك عليه، اشتد غضبه عليك، ثم ضاع الحق بينكما، لكن بالهدوء... نعم لو لمست منه الإعنات.. مثل أن تكون أنت أعلم منه، وتفهم من العلم ما لا يفهمه، ولكن عرفت أن هذا الرجل يريد العنت، فحينئذٍ لك أن تشتد عليه، وأن تقول: لن أُفَهِّمَك ؛ لقول الله تعالى للنبي ﷺ: ﴿فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ٤٢]؛ ولهذا قال المؤلف: فإن كانت مع قاصر في العلم، بارد الذهن، فهي داء ومنافرة.

س: **بعض الناس يكون أكثر علم لكن خصمه يكون أكثر فهم.**

ج: إيه نعم، ما في شك، بعض الناس أكثر علمًا من الآخر، لكن الثاني أفهم منه في معرفة النصوص، والثالث أعقل منه أيضًا في معرفة مصادر الشريعة، ومواردها، قد يفهم الإنسان النص، فهمًا كاملًا، لكن ليس عنده ذلك العقل الذي يجمع بين أدلة الشريعة، وبين مقاصدها، وأسرارها، فتجده يأخذ بظاهر اللفظ، ولو كان بعيدًا عن مقاصد الشرع، وهذا خلل عظيم، أرأيت قول ابن حزم في الشاة الثنية لا تجزئ، وفي الشاة الجذعة تجزئ، هذا بعيد عن مقاصد الشريعة، بعيدًا جدًّا، إذا كانت الجذعة تجزئ فالثنية من باب أولى، ولا شك، أو يقول: بعض الظاهرية، إذا استئذن الرجل ابنته البكر في أن يزوجها رجلًا، فقالت: يا أبتي لا أريد، إلا هذا الرجل وأمثاله، وأنا موافقة، يقول: هذا ليس بإذن، لا يزوجها، والمرأة الثانية... البنت الثانية... لما شاوروها سكتت، ما قالت شيء، هذه تزوج، وتلك ما تزوج، مع أنها قالت مصرحة بالرضا، والثانية: سكوتُها دليل الرضا، وليس هو الرضا، فالمهم لابد من عقل فقد يكون بعض الناس أكثر علمًا لكنه لا يفهم ، وقد حدثتكم مرة عن حمار الفروع، تذكرونه؟ حمار الفروع رجل حفظ كتاب «الفروع» لابن مفلح، ثلاث مجلدات، حفظه، لكنه لا يفهم منه، ولا معنى واحد، فكان أصحابه يحرجون به، ويجعلونه كمكتبة عندهم، إذا أشكل عليهم شيء قالوا: ماذا قال صاحب الفروع في الفصل الفلاني، أو الباب الفلاني، أو الكتاب الفلاني، ثم يهذ عليهم، وهو ما يعرف معناه أبدًا، هذا ما عنده فَهْم، فلابد من فهم.



٤٢ - طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة وعلومهما:

فهما له كالجناحين للطائر، فاحذر أن تكون مهيض الجناح.

الشرح

صحيح، هذه أيضًا من آداب طالب العلم، وبقي شيء آخر، طالب العلم يعيش بين الكتاب والسنة، فهما كالجناحين للطائر، والطائر لا يطير إلى بجناحين، إذا انكسر أحدهما لم يطر.. إذن لا تراع السنة وتغفل عن القرآن، أو القرآن، وتغفل عن السنة، كثير من طلبة لعلم، يعتني بالسنة، وشروحها، ورجالها، ومصطلحاتها اعتناء كاملًا. لكن لو سألته عن آية من كتاب الله، ما قدم رجل، ولا عرف شيئًا، هذا غلط ، بل لابد أن يكون الكتاب والسنة كلاهما، جناحان لك، والجناح الأصل هو القرآن، كذلك أيضًا تألف لكنه داخل في قول المؤلف «وعلومهما» كلام العلماء، أيضًا لا تُهمله ولا تغفل عنه ؛ لأن العلماء أشد منك رسوخًا في العلم، وعندهم من قواعد الشريعة وضوابط الشريعة، وأسرارها ما ليس عندك، فلا تُهمله ؛ ولهذا كان العلماء الأجلاء المحققون إذا ترجح عندهم قول... يقولون: إن كان أحدًا قال به، وإلا فلا نقول به.

شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- على علمه وسعة اطلاعه، إذا قال قولًا لا يعلم به قائلًا، قال: أنا أقول به إن كان قد قيل به، ولا يأخذ برأيه، ويقول: أنا خلاص فهمت من القرآن كذا، ولا علي من الناس، هذا غلط، أنت إذا رأيت أكثر العلماء على قول فلا تعدل عن قول أكثر العلماء، إلا بعد التمحيص، والتحقق؛ لأنه من المستبعد أن يكون الأقل هم أهل العلم... يعني بمعنى إذا رأيت مسألة من المسائل اختلف فيها العلماء وأكثرهم يقول: بكذا، والآخرون يقولون: بكذا، وترجح عندك قول الأقل، لا تأخذ به مباشرة، ولكن فكر في أدلة الآخرين ؛ لأن الأكثر، الغالب يكون معهم الحق، ففكر أولًا ثم إذا تبين لك أن الحق مع الأقل، فاتبع الحق.. يعني: كونك تأخذ على طول بما ترجح عندك، والجمهور على خلافه، هذا لا ينبغي أبدًا، كذلك أيضًا تأتي مثلًا أدلة شواذ تخالف الأدلة التي هي كالجبال، في الشريعة والدلالة، فيأخذ الإنسان بهذا الدليل الشاذ، ولعله لا يثبت عن النبي ﷺ أو ثبت وهو منسوخ، أو ثبت وهو مخصوص، فنقول ارفق ما جاء هذا يخالف الأدلة التي هي كالجبال بالشريعة، فلا تتعجل في الأخذ به.. انتظر... تمهل،

فهذان أمران أنبه عليهما لأهميتهما، مخالفة الجمهور، ومخالفة القواعد في الشريعة الإسلامية، القواعد التي تعتبر كالجبال للأرض رواسي.

س: يا شيخ هل يقدم الكتاب على السنة في الاستدلال؟

ج: أصلًا ما يمكن تعارض بين الكتاب والسنة يا أخي حتى نقول تقدم.

س: بعضهم استدل بحديث معاذ...؟ [١]

أولًا: هذا الحديث، في صحته نظر، والشيء الثاني مستحيل أن تجد سنة صحيحة صريحة مخالفة لآية صريحة أبدًا، هذا مستحيل.

وقل إن أبصرت عيناك ذا لقب إلا ومعناه إن فكرت في لقبه

قول الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، هل المراد الأمر الشرعي، أو الأمر الكوني، أو كلاهما؟

حتى الأمر الشرعي إنما يقول النبي ﷺ بوحي من الله، أو إقرار من الله، وإلا ليس له من الأمر شيء؛ ولهذا.. لما حدث النبي ﷺ عن البصل والثوم، قال الصحابة حرمت.. حرمت، قال ﷺ: **«ليس لي تحريم، ما أحل الله لي»، أو «ليس لي تحريم ما أحل الله لي»**[٢]، فدل هذا على أنه ﷺ ليس له من الأمر الكوني، ولا من الأمر الشرعي شيء، وإنما يفعل ما يفعله بأمر الله ﷻ.

س: هل يدل عل منع اللعن على الكفار؟

ج: اللعن نعم ما تلعن كفار معينين... أما عمومًا فإذا أردت أن تلعن الكفار فلا بأس.

۞ ۞ ۞

٤٣ - استكمال أدوات كل فن:

لن تكون طالب علم متقنًا متفننًا- حتى يلج الجمل في سم الخياط- ما لم تستكمل أدوات ذلك الفن، ففي الفقه وأصوله، وفي الحديث بين علمي الرواية والدراية...، وهكذا

---

(١) يشير لحديث معاذ أن النبي أرسله إلى اليمن فقال له: «بم تحكم»... الحديث. وهوحديث منكر ضعيف.

(٢) صحيح: رواه مسلم (٥٦٥).

وإلا فلا تتعن.

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، فيستفاد منها أن الطالب لا يترك علمًا حتى يتقنه(١).

الشرح

استكمال أدوات كل فن يريد بذلك أنك إذا أردت أن تكون طالب علم في فن معين، وهو ما يعرف عندنا بالتخصص، فلابد أن تكون مستعملًا أدوات ذلك الفن، يعني عندك إلمام به، فمثلًا في الفقه، إذا كنت تريد أن تكون عالمًا في الفقه، فلابد أن تقرأ في الفقه، وأصول الفقه، لتكون متبحرًا متخصصًا، فيه ، وإلا فيمكن أن تعرف الفقه بدون علم الأصول، ولكن لا يمكن أن تعرف أصول الفقه، وتكون فقهيًا، بدون علم الفقه، أي أنه يمكن أن يستغني الفقيه عن أصول الفقه، ولا يمكن أن يستغني الأصولي عن الفقه إذا كان يريد الفقه ؛ ولهذا اختلف العلماء.. علماء الأصول هل الأولى لطالب العلم أن يبدأ بأصول الفقه، لابتناء الفقه عليها، أو بالفقه لدعاء الحاجة إليه، حيث أن الإنسان يحتاج إليه في عمله، في عبادته، ومعاملاته، قبل أن يتقن أصول الفقه، والثاني: هو الأولى، وهو المتبع غالبًا، وهنا استدل بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١] والمراد بالتلاوة هنا التلاوة اللفظية، والتلاوة المعنوية، والتلاوة العملية، مأخوذة من تلاه.. إذا تبعه ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ الذين آتاهم الكتاب لا يمكن أن يوصفوا بأنهم أهل كتاب حتى يتلوه حق تلاوته.

طيب يقول في علم الحديث: «بين علمي الرواية والدراية»، يعني بذلك الرواية في أسانيد الحديث، ورجال الحديث، والدراية في فهم معناه.

س: **يا شيخ ما وجه الاستدلال بالآية؟ والآية ليس هذا معناه يا شيخ ولم يقم به المقصود؟**

ج: لا وجه الاستدلال أنه لا يمكن أن تتلو القرآن حق تلاوته، حتى تعرف الأدوات التي يمكنك أن تعرف القرآن بها.

س: **إكمال الآية ﴿أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ ؟**

(١) شرح الإحياء ١/ ٣٣٤.

ج: نعم هذا على التفسير الذي ذكرناه، أن تلاوته لفظًا ومعنًى، وعملًا، على كل حال ما هي مطابقة، لكن جزء فيها يفهم منه أنه لابد أن يكون عندك أدوات تستعملها في الفن الذي تريده.

س: الذين أوتوا الكتاب من قبلنا، وهذه الأمة ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ﴾ هل الذين أوتوا الكتاب من قبلنا كلهم يتلونه حق تلاوته؟

ج: لا هذا عام لنا ولغيرنا، لكن نحن- والحمد لله-، أورثنا الله الكتاب ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].

س: بارك الله فيك ما الفرق بين التلاوة العملية، والتلاوة المعنوية؟

ج: المعنوية: أن تتبع معناه وتعرف معناه، والعملية: أن تقوم به مثلًا ﴿أَقِيمُوا الصَّلاَةَ﴾، لفظًا: تتقن اللفظ، التلاوة اللفظية، المعنى: تعرف ما معنى أقيموا الصلاة، والعملية: أن تقيم الصلاة فعلًا.

* * *

التَّحلِّي بالعمل

٤٤- من علامات العلم النافع:

تساءل مع نفسك عن حظك من علامات العلم النافع، وهن:

١- العمل به.

٢- كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق.

٣- تكاثر تواضعك كلما ازددت علمًا.

٤- الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا.

٥- هجر دعوى العلم.

٦- إساءة الظن بالنفس، وإحسانه بالناس، تنَزهًا عن الوقوع بهم.

الشرح

هذه من علامات العلم النافع:

أولًا: العمل به، وهذا بعد الإيمان، أن تؤمن بما علمت ثم تعمل، إذ لا يمكن عمل إلا بالإيمان، فإن لم يوفق الإنسان لذلك بأن كان يعلم الأشياء ولكن لا يعمل بها، فعمله غير النافع، لكن هل هو ضار.. أم لا نافع ولا ضار؟ بل هو ضار؛ لأن النبي ﷺ قال: «**القرآن حجة لك أو عليك**»[(١)]، ولم يقل: لا لك ولا عليك، فالعلم إما نافع، وإما ضار.

والثاني: يقول: «كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق» فهو مخطئ، وما أشبه ذلك... كذلك حب المدح، فتجده يسأل: ماذا قالوا عني، وزاد انتفاخه، حتى يعجز جلده عن تحمل بدنه، كذلك التكبر على الخلق ... بعض الناس -والعياذ بالله- إذا آتاه الله علمًا تكبر، الغني بالمال ربما يتكبر؛ ولهذا جعل النبي ﷺ: «**العائل المستكبر من الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم**»[(٢)]؛ لأنه ليس عنده

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣).

(٢) صحيح: رواه مسلم (١٠٧).

مال يوجب الكبرياء، لكن العالم لا ينبغي أن يكون كالغني، كلما ازداد علمًا ازداد تكبرًا، بل ينبغي العكس، كلما ازداد علمًا ازداد تواضعًا؛ لأن من العلوم التي يقرؤها، أخلاق النبي ﷺ كلها تواضع للحق، وتواضع للخلق، لكن على كل حال إذا تعارض التواضع للخلق أو للحق، أيهما يقدم، يعني: بمعنى أنك تتواضع لإنسان يسب الحق، ويصرح بمعاداة من يعمل به، فهنا لا تتواضع له، تواضع للحق، وجادل هذا الرجل، وإن أهانك أو تكلم فيك، فلا تَهتم به.. لابد من نصرة الحق.

ثالثًا: تكاثر تواضعك كلما ازددت علمًا، وهذا في الحقيقة فرع من الثاني، يعني تكره التكبر على الخلق، وينبغي كلما ازددت علمًا أن تزداد تواضعًا.

رابعًا: الهرب من حب الترؤس والشهرة والدنيا، هذه أيضًا قد تكون متفرعة على كراهية التزكية، والمدح يعني لا تحاول أن تجعل علمك مطية إلى نيل الدنيا، فإن هذا يعني: أنك جعلت الوسيلة غاية، والغاية وسيلة، ولكن هل يعني ذلك... لو أنك كنت تجادل شخصًا لإثبات الحق، هل ينبغي أن تعتبر نفسك فوقه أو دونه؟ هل أنتم فاهمين، إنسان يجادلني... أنا أريد إثبات الحق، وهو يريد إثبات الباطل، هل الأفضل أن تشعر بأنك دونه أو بأنك فوقه؟ فوقه... ؛ لأنك إذا شعرت بأنك دونه، ما استطعت أن تجادله، لكن إذا شعرت أنك فوقه، من أجل أن الحق معك، فإنك حينئذٍ تستطيع أن تسيطر عليه، طيب، ويقول:

خامسًا: هجر دعوى العلم: يعني معناه أن لا يدعي العلم أن لا يقول: أنا عالم.

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

كلما كان في مجلس تصدر المجلس، وإذا أراد أحد أن يتكلم قال: اسكت... أنا أعلم منك، هذا لا ينبغي، واعلم أن من ادعى العلم، فهو جاهل، وربما يفشل، ويخزى في مكان يحب أن يكون فيه عزيزًا.

سادسًا: إساءة الظن بالنفس وإحسانه بالناس.. أن أسيء الظن بنفسي؛ لأنَّها ربما تغره، وتأمره بالسوء، فلا يحسن الظن بالنفس، وكل ما أملت عليه أخذ به.

* أما قوله: «إحسانه الظن بالناس» وإنك متى وجدت محملًا لكلام غيرك محملًا

حسنًا، فاحمله عليه، ولا تسئ الظن، لكن إذا علم عن شخص من الناس أنه محل لإساءة الظن، فهنا لا حرج أن تسيء الظن من أجل أن تحترز منه..؛ لأنك لو أحسنت الظن به لأفضت إليه كل ما في صدرك، ولكن ليس الأمر كذلك، ولعل قوله: «**تنْزيهًا عن الوقوع بِهم**» أنه أراد بقوله: إحسانه بالناس ألا يأخذ الناس بالتهمة والظن فيتكلم فيهم بما لا يثبت عنده، على كل حال ربما يقال أيضًا: وينبغي للعالم أن يكون كريمًا، سخيًّا في علمه، يبذله كلما احتاج الناس إليه، ولا يقل: أخشى أن أكون ثقيلًا على الناس، ما دام الناس محتاجين إلى بيان العلم نبين، وإذا كان الله علم من نيتك أنك تريد نشر العلم، وبيان ما قد يكون مشكلًا على الناس، فإن الله يخفف كلامك على الناس ولا يستثقلونه.

س: أحسن الله إليك يا شيخ، الإخوة الفضلاء، من تولى ولاية فيما يتعلق باختيار الأئمة، والمؤذنين، فيما يتعلق بالمساجد، اشترط يا شيخ في الإمام والمؤذن حفظة لكتاب الله، ولكن جاءني شرط للفراش يا شيخ، فراش المسجد، أن يكون حافظًا لكتاب الله... فقيل له: هل يكون هذا من باب إهانة لكتاب الله.. فهو يقول: لا هذا من باب التواضع، يتواضع، ولو يكون فراش مثلًا؟

ج: والله ما أرى له وجه، الفراش لا يحتاج عمله إلى حفظ القرآن، يحتاج عمله إلى أن يعرف هل هو جيد في التنظيف، وحريص، وما أشبه ذلك.

س: حيث وجهه يا شيخ أن يكون إهانة؟

ج: لا.. ولا ينبغي للإنسان أن يهين نفسه إلى هذا الحد، إلا في ذات الله ﷻ.

س: فإذًا تولية الحافظ للقرآن فراش؟

ج: إذا كان لحاجة فلا بأس، قد يكون حافظًا للقرآن لكنه محتاج، خصوصًا من الأجانب، الذين يأتون من الخارج، فيهم أناس حفظة للقرآن، ومع ذلك لا يجدون لقمة العيش إلا بهذا.

س: يا شيخ.. لو جئت لك بخريج عنده بكالوريوس مثلًا: فقلت له: اشتغل فراش هل أكرمته أم أهنته، قال: أهنته، بكالوريوس، يقول: إهانة لو وظفته فراش، فحافظي كتاب الله أعظم ممن عنده بكالوريوس؟

ج: على كل حال نحن قلنا: إذا كان هناك حاجة ما يضر.. فهو إذا كان لديه حاجة،

فلابد يريد أن يتعيش.

س: بالنسبة لهجر الرياسة يا شيخ وحب الشهرة، النبي ﷺ يقول: «إننا لا نولي أمرنا هذا أحدًا سأله»، ونبي الله يوسف ﷺ يقول: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥] **فما هو المسلك الصحيح الذي يسلكه الإنسان؟**

ج: الصحيح أنه إذا كان المركز ليس فيه من يقوم به الكفاية، فلا حرج أن الإنسان يسأل هذا؛ ولهذا قال عثمان بن أبي العاص: يا رسول الله اجعلني إمام قومي، قال: **«أنت إمامهم»**[1]، أما إذا كان في المكان من يكفي، فهنا لا يولي أحدًا من أمور الدين إذا سأل الولاية.

س: يا شيخ، إذا أراد أحد من الطلبة أن يسجل فيرفض المعلم؟

ج: يعني إذا أراد أن يأتي بِمسجل -يعني المعلم- يقول: لا تسجلوا كلامي، ماذا تقولون في هذه المسألة؟ لو قال المعلم: لا تسجلوا كلامي.

ط: على حسب الظروف يا شيخ.

ش: الظاهر أن له حق إذا قال: لا تسجلوا كلامي ؛ لأنه ربما يزل في كلامه، وتثبت في هذا الشريط فيضل الناس بِها.

س: طيب إذا كان معروف عند الناس رجل عنده علم، ولكن خوفًا من الشهرة، أو تواضع يقول: لا تسجلوا؟

ج: طيب لكن يقول: لا تسجلوا كلامي، هو على كل حال السؤال ذو شقين، هل ينبغي للعالم أو المعلم أن يقول: لا تسجلوا، هذه واحدة، وهل إذا قال: لا تسجلوا، يجب أن يطاع، أما الأول: فنقول: إنه لا ينبغي للمعلم أن يمنع من تسجيل علمه؛ لأن هذا معناه انحصار العلم، والذي ينبغي للإنسان أن يجعل علمه واسعًا، ينتفع الناس به، أما الثاني، فليس لنا الحق إذا قال: لا تسجلوا عني، ليس لنا الحق أن نسجل عنه.

س: هل هذا من التواضع أن يقول: لا تسجلوا عني؟

ج: ربما قصده التواضع، وربما قصده يخشى أن يغلط؛ لأنه ما عنده ذاك الثقة بنفسه.

---

(١) صحيح: رواه

وقد كان عبد الله بن المبارك إذا ذكر أخلاق من سلف ينشد:

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

٤٥ - زكاة العلم:

أد زكاة العلم، صادعًا بالحق، أمّارًا بالمعروف نهّاءً عن المنكر، موازنًا بين المصالح والمضار، ناشرًا للعلم، وحب النفع، وبذل الجاه، والشفاعة الحسنة للمسلمين في نوائب الحق والمعروف، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» رواه مسلم وغيره[1].

الشرح

هذه زكاة العلم، تكون بأمور.

* الأمر الأول: نشر العلم، هذه من زكاته، كما يتصدق الإنسان بشيء من ماله، فهذا العالم يتصدق بشيء من علمه، وصدقة العلم أبقى وأبقى، دوامًا، وأقل كلفة ومؤمنة، أبقى دوامًا؛ لأنه رب كلمة من عالم تسمع ينتفع بها أجيال من الناس، وما زلنا الآن ننتفع بأحاديث أبي هريرة، ولم ننتفع بدرهم واحد من الخلفاء الذين كانوا في عهده، وكذلك العلماء ننتفع بكتبهم، وعلومهم، فهذه زكاة، وأي زكاة، وهذه الزكاة لا تنقص العلم بل تزيده.

يزيد بكثرة الإنفاق منه وينقص إن به كفًا شددت

تزيده وتنميه، هذه من زكاة العلم، ومن زكاة العلم أيضًا العمل به ؛ لأن العمل به دعوة إليه، بلا شك، وكثير من الناس يتأسون بالعالم بأخلاقه ، وأعماله، أكثر مما يتأسون بأقواله، وهذا لا شك زكاة... زكاة، وأي زكاة؛ لأن الناس يشربون منها ويردون إليها، فينتفعون.

* ومنها أيضًا ما قاله المؤلف: أن يكون صداعًا بالحق، وهذا من جملة النشر العلم، لكن النشر قد يكون في حال الخطر، فيكون صداعًا بالحق، ومنها أي من زكاة العلم، وهو الرابع: أظن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا شك أنه من زكاة العلم ؛ لأن الآمر

(١) صحيح: رواه مسلم (١٦٣١).

بالمعروف والناهي عن المنكر عارف بالمعروف وعارف بالمنكر، ثم قائم بما يجب عليه نحو هذه المعرفة، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

* **يقول – رحمه الله وعفا عنه –: «أما زكاة العلم: أد زكاة العلم، صادعًا بالحق، أمارًا بالمعروف نَهَّاءً عن المنكر، موازنًا بين المصالح والمضار»** ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أول من يطالب به هم أهل العلم؛ لأن الله تعالى حملهم العلم، والعلم لابد له من زكاة، والمعروف: كل ما أمر الله به ورسوله، والمنكر كل ما نهى الله عنه ورسوله، موازنًا بين المصالح والمضار، أي: مصالح الأمر، ومضاره؛ لأنه قد يكون من الحكمة أن لا تأمر، فقد يكون من الحكمة أن لا تنهي حسب ما تقتضيه المصلحة، فالإنسان ينظر المصالح، والمضار.

* وقوله: ناشرًا للعلم وحب النفع، يعني تنشر العلم بكل وسيلة للنشر، من قول باللسان، وكتابة بالبنان، وكل طريق وفي عصرنا هذا سهل الله ﷻ الطرق لنشر العلم، فعليك أن تنتهز هذه الفرصة، من أجل أن تنشر العلم الذي أعطاك الله إياه، أن يبينوه للناس، ولا يكتمونه، ثم ساق المؤلف حديث أبي هريرة ﵁ أن الإنسان **«إذا مات انقطع عمله إلا من ثلاث... صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**[1] والشاهد من هذا الحديث قوله: **«أو علم ينتفع به»**.

❁ ❁ ❁

قال بعض أهل العلم[2]: هذه الثلاث لا تجتمع إلا للعالم الباذل لعلمه، فبذله صدقة، ينتفع بها، والمتلقي لها ابن للعالم في تعلمه عليه.

الشرح

هذا قول مقصور، والصواب خلاف ذلك، المراد بالصدقة الجارية، صدقة المال، وأما صدقة العلم، فذكرها بعد قوله: «أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» المراد بذلك العالم يعلم فيكون صدقة، ويبقى علمه بعد موته، فينتفع به، ويكون طلابه أبناء له، فهذا لا شك أنه تقصير في تفسير الحديث. والصواب: أن الحديث دل على ثلاثة أجناس مما ينتفع

---

(١) صحيح: تقدم.
(٢) تذكرة السامع والمتكلم.

به الإنسان بعد موته، وهي الصدقة الجارية المستمرة؛ لأن الصدقة إما جارية، وإما مؤقتة، فإذا أعطيت فقيرًا، يشتري طعامًا، فهذه صدقة لكنها مؤقتة، وإذا حفرت بئرًا ينتفع بها المسلمون بالشرب، فهذه صدقة جارية.

❁ ❁ ❁

فاحرص على هذه الحلية، فهي رأس ثمرة علمك، ولشرف العلم، فإنه يزيد بكثرة الإنفاق، وينقص مع الإشفاق، وآفته الكتمان.

الشرح

الأولى: أن يقال: ولبركة العلم، فإن هذا أنسب كونه يزيد بكثرة الإنفاق، فما وجه زيادته؟ وجه زيادته أن الإنسان إذا علم الناس مكث علمه في قلبه، واستقر، وإذا غفل ونسي.

ثانيًا: أنه إذا علم الناس فلا يخلو هذا التعليم من فوائد كثيرة، في مناقشة أو سؤال فينمى، عليه ويزداد، وكم من إنسان تعلم من تلاميذه، قد يذكر التلميذ مسألة ما جرت على بال الأستاذ، وينتفع بها الأستاذ؛ فلهذا كان بذل العلم سببًا لزيادته وكثرته.

❁ ❁ ❁

ولا تحملك دعوى فساد الزمان، وغلبة الفساق، وضعف إفادة النصيحة عن واجب الأداء والبلاغ، فإن فعلت فهي فعلة يسوق عليها الفساق الذهب الأحمر، ليتم لهم الخروج على الفضيلة، ورفع لواء الرذيلة.

الشرح

نعم لا تيأس، ولا تقل: إن الناس غلب عليهم الفسق، والمجون، والغفلة، لا... ابذل النصيحة ما استطعت، ولا تيأس ؛ لأنك إذا تقاعست واستحسرت فمن يفرح بذلك؟ الفساق، والفجار، كما قيل:

خلا لك الجو فبيضي واصفري ونقري ما شئت أن تنقري

فلا تيأس، وكم من إنسان يئست من صلاحه، ففتح الله عليه وصلح.

س: يا شيخ الإخوة ينشرون العلم عن طريق الأشرطة، وعن طريق الكتب للتوزيع، وكذا فهل هذا يكون من نشر العلم؟

ج: إيه ما في شك، الآن لنشر العلم أدوات كثيرة، ونشر العلم بالشريط واضح، الشريط يصل إلى أبعد الأماكن.

س: يا شيخ المقصود ليس عندهم علم هؤلاء الناس فقط ينشرون هكذا؟

ج: نعم.. هم يأتيهم أجر، الرسول أخبر بأن الخازن له أجر صاحب المال، إذا تصدق به، وكذلك المرأة تتصدق من بيت زوجها لها أجره، والعلم من باب أولى.

س: أحسن الله إليك يا شيخ، ضابط الأمر بالمعروف يا شيخ في بعض البلاد التي حولنا حدث فيها فتن؛ بسبب تولي بعض الشباب من طلبة العلم الأمر بالمعروف، فواجهتهم القوانين والأنظمة في بلادهم.

ج: الواقع أن هؤلاء الشباب لم يوازنوا بين المصالح والمضار، ولو وازنوا بينهما، لعرفوا كيف يأمرون وكيف ينهون، والإنسان العاقل لا يمكن أبدًا أن يحاول أن يحول الناس من فساد إلى إصلاح بين عشية وضحاها، هذا غير ممكن، وهو ليس من سنة الله ﷻ، بل الناس يصلحون شيئًا فشيئًا.. فمثل أمة مضى عليها حوالي قرن من الزمن وهي ترزح تحت نير الاستعمار، وتحكم بغير كتاب الله وسنة رسوله، يقال لها: أصلحي هذا بين عشية وضحاها، هذا غير ممكن، لكن يؤخذ الإصلاح شيئًا فشيئًا؛ ولهذا نحن نعجب على أولئك القوم الذين يريدون من الناس أن يصلحوا بين عشية وضحاها، هذا غير ممكن، والشواهد على هذا من سنن الله كثيرة، ومن الواقع أيضًا، من الواقع لو أراد الإنسان مثلًا أن يصدر قانونًا إلى ما هو أصلح، وأقرب إلى الشرع... ثاروا عليه... فالأمور تحتاج إلى تأني، وإلى حل المشاكل شيئًا فشيئًا.

س: لكن إبراء الذمة يا شيخ فشبهتهم أنه لا تبرأ الذمة يعني ما هو الضابط في إبراء الذمة؟

ج: لكن إبراء الذمة لماذا ؟! لا يحصل إبراء الذمة إلا بسلوك أقرب الطرق إلى الإصلاح، وأن يكونوا على الحق في أول وهلة، هذا ليس من باب الإصلاح.

س: بعض الطلبة إذا أراد أن يجلس مع بعض الإخوان يتناقشون في بعض مسائل العلم، قال: هذا من حب الرئاسة، فأنصحك بالتخلي عن مثل هذه إلى أن تتمكن علميًّا بعد ذلك.

ج: والله على كل حال إذا كان الإنسان غير متمكن في العلم، فنعم يقال له: انتظر

لا تسود نفسك قبل أن تكون سيدًا، وأما إذا كان أهلًا لهذا، فإنه لا يهتم بمثل هذا التعظيم بل يقول الحق، ثم اعلم أن الإنسان قد يدرك في مسألة واحدة يجتهد فيها، ويحررها، ويكون عالمًا بها.

❁ ❁ ❁

٤٦ – عزة العلماء:

التحلي بـ «عزة العلماء»: صيانة العلم، وتعظيمه، وحماية جناب عزه وشرفه، وبقدر ما تبذله في هذا يكون الكسب منه ومن العمل به، وبقدر ما تُهدره يكون الفوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وعليه، فاحذر أن يتمندل بك الكبرياء، أو يمتطيك السفهاء، فتلاين في فتوى، أو قضاء، أو بحث، أو خطاب.

ولا تسع به إلى أهل الدنيا، ولا تقف على أعتابِهم، ولا تبذله إلى غير أهله، وإن عظم قدره.

الشرح

هذا فيه شيء صواب، وشيء فيه نظر، صيانة العلم وتعظيمه، وحماية جنابه، لا شك أنه عز وشرف، فإن الإنسان إذا صان علمه عن الدناءة، وعن التطلع عما في أيدي الناس، فهو أشرف له، وأعز ، ولكن كون الإنسان لا يسعى به إلى أهل الدنيا، ولا يقف على أعتابِهم، ولا يبذله إلى غير أهل، وإن عظم قدره، فيه تفصيل، فيقال: إذا سعيت به إلى أهل الدنيا، وكانوا ينتفعون بذلك، فهذا خير، وهو داخل في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أما إذا كانوا يقفون من هذا العالم الذي دخل عليهم، وجعل يحدثهم، موقف الساحر المتململ، فهنا لا ينبغي أن يهدي العالم إلى هؤلاء ؛ لأن هذا إهانة له، وإهانة لعلمه، ولنفرض أن رجلًا دخل على أناس من هؤلاء المترفين، وجلس وجعل يتحدث إليهم بأمور شرعية، ولكنه يشاهدهم تتمعر وجوههم، ويتململون ، ويتغامزون فهؤلاء، لا ينبغي أن يحوم حولهم ؛ لأن ذلك ذل له، ولعلمه، أما إذا كان إذا دخل على هؤلاء، وجلس وتحدث وجد نفوسًا تهش، وأفئدة تطمئن، ووجد منهم إقبالًا، فهنا ينبغي أن يفعل فلكل مقام مقال.

لو دخل طالب علم صغير على مثل هؤلاء المترفين، فلربَّما يقفون معه موقف

الاستهزاء، والسخرية، لكن لو دخل عليهم، من له وزن عندهم، وعند غيرهم، لكان الأمر بالعكس، فلكل مقام مقال، إذا رأيت من أهل الدنيا أنَّهم يقبلون على قولك، وأنَّهم يطمئنون إليه، وأنَّهم ينتفعون به، فلا حرج أن تذهب إليهم وتدعوهم، والعكس بالعكس.

❁ ❁ ❁

ومتع بصرك وبصيرتك بقراءة التراجم والسير لأئمة مضوا، تَرَ فيها بذل النفس في سبيل هذه الحماية، لاسيما من جمع مُثُلًا في هذا، مثل كتاب «من أخلاق العلماء» لمحمد سليمان - رحمه الله تعالى -[1]، وكتاب «الإسلام بين العلماء والحكام» لعبد العزيز البدري - رحمه الله تعالى - وكتاب «مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لفاروق السامرائي[2].

وأرجو أن ترى أضعاف ما ذكروه في كتاب «عزة العلماء» يسر الله إتمامه وطبعه.

وقد كان العلماء يلقنون طلابَهم حفظ قصيدة الجرجاني علي بن عبد العزيز (م سنة ٣٩٢هـ) - رحمه الله تعالى - كما نجدها عند عدد من مترجميه، ومطلعها:

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلًا عن موضع الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
ولو أن أهل العلم صانوه صانَهم ولو عظموه في النفوس لعظما

لعظما، بفتح الظاء المعجمة المشالة.

الشرح

هذا الضبط فيه نظر والظاهر: ولو عظموه في النفوس لعُظما، يعني: لكان عند الناس عظيمًا، لكنهم لم يعظموه في النفوس بل أهانوه وبذلوه بكل غالٍ ورخيص، وهذه مرت علي في البداية والنهاية لابن كثير في ترجمة الناظم الذي نظمها، وإن كانت توجد في غيرها.

س: **شيخ ممكن نوجه لفظ لعَظَّما، بمعنى أن العلم يعظم أهله أي يعظمهم؟**

ج: **«ولو عظموه في النفوس لعَظَّمهم»**... يمكن، لكن «لعظما» أبلغ، يعني: يعظمه الناس فيعظمهم.

---

(١) مطبوع مرارًا.

(٢) طبع بجدة عام ١٤٠٧ هـ نشر دار الوفاء بجدة.

س: بعض الناس إذا حدثتهم في مجلس يتحدثون فيه فحدثتهم بالعلم... يعني أعرضوا عنه، هل هذا يقال: أن الإنسان لا يحدثهم بالعلم في مثل هذا الحال؟

ج: هذا ينظر للحال التي هو عليها، قد يعرضوا في أول الأمر ثم إذا دخل معهم في كلامهم جذبَهم، والإنسان العاقل يعرف كيف يدخل للناس، قد يكون من المستثقل أن يبدأ الإنسان بقراءة كتاب أو يتكلم في الموعظة، لكن من السهل أن يلقى عليهم مسائل، ولاسيما المسائل التي تشد نفوسهم إليها... مثل أن يقول: هل يمكن أن تثبت الأمومة في الرضاع دون الأبوة أو بالعكس مثلًا، هل يمكن أن تكون في الصلاة الواحدة ست تشهدات؟ هل يمكن أن تبطل صلاة الإنسان بمرور سيارة، وأمثال هذا، والناس كما تعرفون يحبون الغرائب إذا أتيتهم بمثل هذا اتجهوا إليك تمامًا.

س: كيف يمكن أن تكون ست تشهدات في صلاة واحدة؟

المسألة الثانية: ست تشهدات في صلاة واحدة: المغرب إذا أدرك المسبوق منها ركعة واحدة، ودخل مع الإمام بعد ركوعه في الركعة الثانية، ففي التشهد الأول للإمام، والتشهد الثاني للإمام، والإمام سها سهوًا في محل سجوده بعد السلام، على القول بأنه يتبع الإمام في هذا، فتبع الإمام وتشهد، سجود السهو مع إمامه، ثم سلم مع إمامه وهو ناسٍ، ثم قام ليقض فجلس في أول ركعة للتشهد الأول - هذه أربعة — وجلس للتشهد الأخير — الخامس— ثم سجد للسهو بعد السلام لأنه سلم قبل التمام، فهذا هو السادس، ولا يتصور هذا إلا في المغرب، والثالثة: مرور سيارة. هذا إنسان متيمم وقد بعث من يأتيهم بالماء، فدخل في الصلاة على أنه متيمم، وإذا بسيارة تمر وفيها قرب الماء، فيبطل تيممه ثم تبطل صلاته.

❁ ❁ ❁

٤٧- صيانة العلم:

إن بلغت منصبًا فتذكر أن حبل الوصل إليه طلبك للعلم، فبفضل الله ثم بسبب علمك بلغت ما بلغت من ولاية في التعليم، أو الفتيا، أو القضاء... وهكذا فأعط العلم قدره وحظه من العمل به وإنزاله منْزلته.

واحذر مسلك من لا يرجون لله وقارًا، الذين يجعلون الأساس (حفظ المنصب)،

فيطوون ألسنتهم عن قول الحق ويحملهم حب الولاية على المجاراة فالزم - رحمك الله - المحافظة على قيمتك بحفظ دينك، وعلمك وشرف نفسك، بحكمة ودراية وحسن سياسة: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله في الرخاء يحفظك في الشدة..».

الشرح

إن أراد بهذا الحديث فليس هذا لفظه، الحديث: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك**»[1]، والجملة الثانية، «**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»... فهذا لفظ الحديث، يريد بهذا الأدب، يريد أن الإنسان يصون علمه، فلا يجعله مبتذلًا بل يجعله محترمًا معظمًا، فلا يلين في جانب من لا يريد الحق بل يبقي طودًا، شامخًا، ثابتًا، وأما أن يجعله الإنسان سبيلًا إلى المداهنة، وإلى المشي فوق بساط الملوك، وما أشبه ذلك، فهذا أمر لا ينبغي، ولم يكن الإنسان، صائنًا لعلمه إذا سلك هذا المسلك، والواجب قول الحق... لكن قول الحق قد يكون في مكان دون مكان، والإنسان ينتهز الفرصة فلا يفوتها، ويحذر الزلة فلا يقع فيها... قد يكون من المستحسن أن لا أتكلم في هذا المكان بشيء وأتكلم في موضع آخر، لأني أعرف أن كلامي في الموضع الآخر، أقرب إلى القبول، والاستجابة، فلكل مقام مقال، ولهذا يقول: «**بحكمة، ودراية وحسن سياسة**» بحيث يتكلم إذا كان للكلام محل، ويسكت إذا كان ليس للكلام محل، وقوله ﷺ في الحديث: «**احفظ الله يحفظك**» يعني: احفظ حدود الله كما قال الله تعالى في سورة التوبة: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢] فلا ينتهكونها بفعل محرم، ولا يضيعونها بترك واجب.

* وقوله: «**يحفظك**» يعني في دينك، وفي دنياك، وفي أهلك، وفي مالك، فإن قال قائل: إننا نرى بعض الحافظين لحدود الله يصيبهم ما يصيبهم، فنقول: هذه زيادة في تكفير سيئاتهم، ورفعة في درجاتهم، ولا ينافي قوله ﷺ: «**احفظ الله يحفظك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**»، قوله: «**يعرفك**» لا تظن أن الله تعالى لا يعرف الإنسان إذا لم يتعرف إليه لكن هذه معرفة خاصة، فهي في النظر الخاص المنفي عمن نفي عنه في قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:

---

(١) رواه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٦٦٤، ٢٧٥٨، ٢٨٠٠). وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (٧٩٥٧).

٢٧٧، مع أن الله لا يغيب عن بصره شيء، لكن النظر نظران: نظر خاص، ونظر عام، كذلك المعرفة، معرفة خاصة، ومعرفة عامة، والمراد هنا المعرفة الخاصة. بقي أن يقال: إن من المشهور عند أهل العلم أن الله تعالى لا يوصف بأنه عارف، يقال: عالم ولا يقال: عارف وفرقوا بين العلم والمعرفة بأن المعرفة تكون للعلم اليقيني وللظن، وأنَّها -أي: المعرفة-: انكشاف بعد خفاء، وأما العلم فليس كذلك. فنقول: ليس المراد بالمعرفة هنا ما أراده الفقهاء أو أراده الأصوليون، وإنما المراد بالمعرفة هنا أن الله تعالى يزداد عناية بك ورحمة بك، مع علمه بأحوالك ﷻ... لكن هل تعرفون الرخاء، والشدة؟ الرخاء: الغناء. والثاني: الصحة، والثالث: الأهل، «**يعرفك في الشدة**» يعني إذا افتقرت، يعرفك في الشدة يعني إذا فقدت أهلك ، يعرفك في الشدة إذا مرضت.

❁ ❁ ❁

وإن أصبحت عاطلًا من قلادة الولاية، فهذا سبيلك، ولو بعد حين، فلا بأس، فإنه عزل محمدة، لا عزل مذمة ومنقصة.

الشرح

على كل حال هذه القاعدة مهمة، وهو أن الإنسان إذا أصبح عاطلًا عن قلادة الولاية، وهذا سبيلك، ولو بعد حين... يعني سوف تترك الولاية، ولو بقيت في الولاية إلى الموت، فإنك سوف تتركها... لابد.. فلا بأس، «فإنه عزل محمدة لا عزل مذمَّة ومنقصة» هذا أيضًا ليس على عمومه؛ لأن من الناس من يعزل عزل ملكة وعزة لكونه يقوم بالواجب، عليه من الملاحظة، والنَّزاهة، لكن يضيق على من تحته فيحفرون له حتى يقع، وهذا كثير مع الأسف، ومن الناس من يعزل ؛ لأنه تبين أنه ليس أهلًا للولاية، فهل هذا العزل عزل محمدة، أو مذمة؟ مذمة لا شك... أما الأول، فلا... الأول عزل محمدة، أما الثاني فإنه عزل مذمة، فالشيخ أراد بهذا العزل الأول؛ لأنه قام بوظيفة، ولم يفرط في المسئولية.

❁ ❁ ❁

ومن العجيب أن بعض من حرم قصدًا كبيرًا من التوفيق، لا يكون عنده الالتزام والإنابة، والرجوع إلى الله إلا بعد «التقاعد»، فهذا وإن كانت توبته شرعية، لكن دينه، ودين

العجائز سواء، إذ لا يتعدى نفعه، أما وقت ولايته، حال الحاجة إلى تعدي نفعه، فتجده من أعظم الناس، فجورًا وضررًا، أو بارد القلب أخرس اللسان عن الحق، فنعوذ بالله من الخذلان.

الشرح

هذه القطعة، قطعة شديدة، عبارات شديدة، نعم من العجيب أن بعض الناس، إذا عزل عن الولاية، وترك المسئولية ازداد إنابة إلى الله ﷻ؛ لأنه إن عزل في حال يحمد عليها لجأ إلى الله، وعرف أنه لا يغنيه أحد عن الله ﷻ، وعرف افتقاره إلى ربه ﷻ، فصلحت حاله، وإن كان انفصاله، لغير ذلك فإنه ربما يمن الله عليه بالتوبة لتفرغه، ولعدم تحمله، المسئولية، فيعود إلى الله ﷻ، قوله: وأما وقت ولايته... حال الحاجة إلى تعدي نفسه فتجده من أعظم الناس فجورًا وضررًا، هذا موجود، لا شك لكنه ليس كثيرًا في الناس، والحمد لله... لكن من الناس من يكون متهاونًا في أداء وظيفته، فإذا تركها رجع إلى الله ﷻ.

س: **بالنسبة للتوبة الشرعية أحيانًا يتولى الإنسان، ولاية بين قوانين من قبل الحاكم، فيها مضرة على الناس فإذا خرج وتاب لم ترفع؟**

ج: إذا حاول أن ترفع ولكنه عجز ، فتوبته مقبولة.

س: **وما أصاب الناس؟**

ج: ما أصاب الناس هذا حصل منه مثل بقية المعاصي.

س: **لكن هو متعمد؟**

نعم... أليس يكون كافرًا إذا شرع قانون مخالف لشريعة الله والكافر تقبل توبته.

س: **ما هو رابط هذا الكلام بحلية طالب العلم... هذا الكلام الذي قرأناه أخيرًا... والكتاب حلية لطالب العلم؟**

ج: عند التقاعد قصدك؛ لأنه هو يريد التقاعد... تقاعد طلبة العلم، الذي يحال من طلبه للعلم إلى التقاعد هذا المراد؛ ولهذا أنا قلت لكم: إن هذه القطعة فيها شدة، وفيها غلظة، قد لا تقع من طالب العلم، مسألة الفجور والضرر.

❁ ❁ ❁

٤٨ – المداراة لا المداهنة:

المداهنة خلق منحط، أما المداراة فلا، لكن لا تخلط بينهما، فتحملك المداهنة إلى حضار النفاق مجاهرة، والمداهنة هي التي تمس دينك[١].

الشرح

لكن لابد أن نعرف ما الفرق بين المداراة والمداهنة. المداهنة: أن يرضى الإنسان بِما عليه قبيله، كأنه يقول لكم دينكم ولي دين ويتركه.

وأما المداراة فهو أن يعزم بقلبه على الإنكار عليه لكنه يداريه فيتألفه تارة ويؤجل الكلام معه تارة أخرى، وهكذا حتى تتحقق المصلحة.

فالفرق بين المداراة والمداهنة أن المداراة يراد بِها الإصلاح، لكن على وجه الحكمة والتدرج في الأمور، وأما المداهنة فإنَّها الموافقة، ولهذا جاءت بلفظ الدهن لأن الدهن يسهل الأمور، والعامة يقولون في أمثالهم: أدهن السيف يسيل.

يعني: أعط الرشوة إذا أردت أن تمشي أمورك، على كل حال المداهنة أن الإنسان يترك خصمه وما هو عليه ولا يحاول إصلاحه يقول: فلان ساكت عني أنا سأسكت عنه ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ والمداراة أنه يريد الإصلاح ويريد إصلاح خصمه، لكن على وجه الحكمة فيشد أحيانًا ويلين أحيانًا وينطق أحيانًا ويسكت أحيانًا، والمطلوب من طالب العلم المداراة.

❁ ❁ ❁

٤٩ – الغرام بالكتب[٢]:

شرف العلم معلوم، لعموم نفعه وشدة الحاجة إليه، البدن إلى الأنفاس، وظهور النقص بقدر نقصه، وحصول اللذة والسرور بقدر تحصيله ولهذا اشتد غرام الطلاب بالطلب، والغرام بجمع الكتب مع الانتقاء، ولهم أخبار في هذه تطول، وفيه مقيدات في خبر الكتاب يسر إتمامه وطبعه، وعليه فأحرز الأصول من الكتب، واعلم أنه لا يغني منها كتاب عن كتاب، ولا تحشر

---

(١) انظر: الغرباء للآجري ص/ ٧٩– ٨٠ مهم.

(٢) انظر: روضة المحبين ص/ ٦٨– ٦٩ مهم ومفتاح دار السعادة ص/ ٨١ ففيهما أخبار ظريفة وحكايات طريفة.

مكتبتك وتشوش على فكرك بالكتب الغثائية، لاسيما كتب المبتدعة، فإنَّها سم ناقع.

الشرح

يقول: الكتب احتواؤها وجمعها أيضًا مما ينبغي لطالب العلم أن يهتم به، ولكن يبدأ بالأهم فالأهم، فإذا كان الإنسان قليل راتبه، فليس من الخير ولا من الحكمة أن يشتري كتبًا كثيرة يلزم نفسه بغرامة قيمتها، فإن هذا من سوء التصرف، ولذلك لم يأمر النبي ﷺ الرجل الذي أراد أن يزوجه ولم يجد شيئًا -لم يأمره- أن يقترض ويستدين، وعندنا هنا في بلادنا – والحمد لله– إذا لم يمكنك أن تشتري من مالك فيمكنك أن تستعير من أي مكتبة.

ثانيًا : احرص على كتب الأصول، دون المؤلفات الحديثة لأن بعض المؤلفين حديثًا ليس عنده العلم الراسخ، ولهذا إذا قرأت ما كتب تجد أنه سطحي، قد ينقل الشيء بلفظه وقد يحرفه إلى عبارة طويلة، لكنها غثاء، فعليك بالأمهات، عليك بالأصل ككتب السلف فإنَّها خير وأبرك بكثير من كتب الخلف.

احذر أن تضم مكتبتك الكتب التي ليس فيها خير، لا أقول التي فيها ضرر، بل أقول التي ليس فيها خير، لأن الكتب تنقسم إلى ثلاثة أقسام: خير، وشر، ولا خير ولا شر فاحرص على أن تكون مكتبتك خالية من الكتب التي ليس فيها خير أو التي فيها شر، هناك كتب يقال إنَّها كتب أدب لكنها تقطع الوقت وتقتله في غير فائدة، هناك كتب ضارة ذات أفكار معينة ومنحّى معين، أيضًا هذه لا تدخل مكتبتك سواء كان ذلك في المنهج أو كان ذلك في العقيدة، وتخصيص الشيخ هذه المسألة في كتب المبتدعة أراد به ضرب المثل، وإلا فكل كتب تضر في العقيدة، ككتب المبتدعة أو في المنهج كالكتب الثورية، هذه أيضًا لا تدخل مكتبتك، لأنَّها ضارة، ومن المعلوم أن الكتب غذاء للروح كالطعام والشراب للبدن، فإذا تغذيت بمثل هذه الكتب صار عليك ضرر عظيم واتجهت اتجاهًا آخر خلاف ما ينبغي لطالب العلم.

س: ما هو الضابط في التصرف في مؤلفات المتقدمين؟ هل يجوز للمتأخر مثلًا التصرف في كتاب المتقدم كمؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية؟

أما من اختصرها لنفسه وكتب – كما يقولون– رءوس أقلام عنده في مذكرة، هذا لا بأس به لأجل أن يسهل عليه الرجوع إلى الأصل، وأما من تصرف وحذف منها ما لا يراه

مفيدًا، فربما يكون عند غيره مفيدًا، وهذا هو الواقع في بعض الاختصارات التي بدأ بعض الناس في الآونة الأخيرة يختصرونَها، لكن إذا صرح أنه إنما ينقل المهم فقط هذا أهون .

س: **بعد كلام... قال: بعض أهل العلم يترحم على بعض العلماء مثل ابن عمر رضي الله عنه، وعمر بن عبد العزيز، وابن تيمية يترحمون عليهم، أكثر من غيرهم.**

ج: هذا من نعمة الله عليهم، الذين إذا ذكروا الناس، لهم هذه من نعمة الله، وهذه أيضًا، تدل على شدة محبة الإنسان لهذا الشخص.

س: **من المعلوم يا شيخ أنه لا ينبغي للإنسان أن يثقل كاهله به إلا في الضرورة والحاجة الشديدة، لكن يا شيخ أحيانًا، يوجد كتب مهمة، ويخاف إن تركها أن ينساها، أو تخلص الطبعات... فيقول: آخذها وسوف يتيسر إلى مدة قصيرة؟**

ج: أما الإنسان الذي يؤمل الوفاء عن قرب، يعني هو غني، لكن ينتظر الراتب في آخر الشهر... الآن ما عنده شيء، لكن الراتب في آخر الشهر، يحصل به المقصود، فهذا ربما يقال إنه لا بأس. أما إنسان ما عنده شيء متوقع فيشتري في ذمته، أو يستقرض من أحد فلا ينبغي، وكما قلت قبل قليل: المكتبات والحمد الله موجودة بكثرة، وتكفي.

❁ ❁ ❁

٥٠- قوام مكتبتك:

عليك بالكتب المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقه في علل الأحكام، والغوص على أسرار المسائل، ومن أجلها كتب الشيخين: شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- وتلميذه ابن قيم الجوزية - رحمه الله تعالى -، وعلى الجادة في ذلك، من قبل ومن بعد:

١- كتب الحافظ ابن عبد البر (م سنة ٤٦٣هـ)- رحمه الله تعالى- وأجل كتبه التمهيد.

٢- الحافظ ابن قدامة (م سنة ٦٢٠هـ)- رحمه الله تعالى -، وأرأس كتبه المغني.

٣- الحافظ الذهبي (م سنة ٧٤٨هـ) - رحمه الله تعالى -.

٤- الإمام الحافظ النووي (م سنة ٦٧٦هـ) - رحمه الله تعالى-.

٥- الحافظ ابن كثير (م سنة ٧٧٤هـ) - رحمه الله تعالى -.

٦- الحافظ ابن رجب (م سنة ٧٩٥هـ) - رحمه الله تعالى -.

٧- الحافظ ابن حجر (م سنة ٨٥٢هـ) - رحمه الله تعالى -.

٨- الحافظ الشوكاني (م سنة ١٢٥٠هـ) - رحمه الله تعالى -.

٩- الإمام محمد بن عبد الوهاب (م سنة ١٢٠٦هـ) - رحمه الله تعالى -.

١٠- كتب علماء الدعوة، ومن أجمعها: الدرر السنية. العلامة الصنعاني (م سنة ١١٨٢هـ) -رحمه الله تعالى-، لاسيما كتابه النافع «سبل السلام».

١١- العلامة صديق حسن خان القنوجي (م سنة ١٣٠٧هـ) رحمه الله تعالى.

١٢- العلامة محمد الأمين الشنقيطي (م سنة١٣٩٣هـ) - رحمه الله تعالى- لاسيما كتابه «أضواء البيان».

الشرح

هذا أيضًا من المهم أن يختار الإنسان لمكتبته ومراجعها، الكتب الأصيلة القديمة؛ لأن غالب كتب المتأخرين، غالبها قليلة المعاني كثيرة المباني، تقرأ صفحة كاملة يمكن أن تلخصها في سطرين، مع التعريج، والمطاب، والتغريزات في بعض الكلمات التي لا تفهم إلا بعد تكرار...لكن كتب السلف تجدها سهلة، هينة، لينة، رصينة، لا تجد كلمة واحدة ليس لها معنى.

عليك بالكتب... ثم استعرض المؤلف لكتب معينة منها، ثم وصف هذه الكتب.

* قال: «المنسوجة على طريقة الاستدلال، والتفقه في علل الأحكام» وهذا خير ما يكون لطالب العلم، أن تكون المسائل مقرونة بالدلائل، والدلائل إما نصوص، وإما علل، والعلل مستنبطة من النصوص..، لكن قد لا يكون النص في هذه المسألة بعينها، لكن تشملها العلة

قاعدة عامة: واعلم أنه لا يوجد حكم من أحكام الله ﷻ إلا وله علة ؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة: ١٠] فما من حكم إلا وله علة، لكن من الأحكام ما نعلم علته، ونعلم أن لها أكثر من علة، وبعضها يخفى علينا، ولكننا -وإن خفي علينا العلة الخاصة- لا تخفى علينا العلة العامة، وهي التعبد لله ﷻ، فإن كمال التعبد لله أن تعبده ﷻ بما أمر، سواء علمت الحكمة أم لم تعلم، وهذا أبلغ في الانقياد، أن ينقاد

الشخص لعمل لا يعرف حكمته، وإنما يقوم به لمجرد التعبد والتذلل لله.

* وقوله: «بلسان المقال والحال سَمعنا وأطعنا» هذه العلة تكفي، لو قال قائل مثلًا: ما هي العلة في نقض الوضوء بأكل لحم الإبل، نقول: إن فتح لنا وفهمناها، وهي علة خاصة مثلًا، فهذا مطلوب، وإلا فعندنا العلة العامة وهي، التعبد لله تعالى بما أمر، وكفى بها علة ،رمي الجمرات، لماذا نرمي هذه الجمرات، حصى في مكان أتعبد الله به؟ لأن الله أمرنا بذلك، فقلنا: سمعنا وأطعنا، ولو كان هذا في غير هذا المكان، وفي غير هذا الزمان، لعد عبثًا أو جنونًا، لو واحد منا الآن طلع في السوق، وأخذ حصيات، وقام يحذف بالشارع، ما نقول؟ هذا مجنون، لكن، لما وقع بأمر الله، صارت عبادة يقرب إلى الله بها.

إذن من أهم ما يكون اقتناء الكتب التي تشتمل على المسائل والدلائل، حتى تفتح لطالب العلم أبواب العلم، ثم اعلم أن الحكم الذي يقوم به مبني على دليل ، تطمئن إليه النفس أكثر، وتلتزم به – أيضًا – أكثر ؛ لأنه مبني على دليل... على نص أو علة دل عليها الشرع، ثم ذكر أمثلة للكتب:

من أجلها: كتب الشيخين... شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القَيم رحمهما الله، وقد حث شيخنا عبد الرحمن ابن سعدي –رحمه الله– على اقتناء كتب هذين العالمين الجليلين، ومن المعلوم أن كتب ابن القيم أسهل وأسلس ؛ لأن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – كانت عباراته قوية، لغزارة علمه، وقوة عارضته، وابن القيم رأى بيتًا معمورًا، فكان منه اللياسة والتحسين، ولسنا نريد بذلك أن نقول: إن ابن القيم نسخة من ابن تيمية، أبدًا... ابن القيم حر، إذا رأى أن شيخه خالف ما يراه صوابًا تكلم، لما ذكر وجوب فسخ الحج للعمرة وأن ابن عباس رضي الله عنهما يرى أنه يجب على من لم يسق الهدي إذا أحرم بحج أو بقران أن يفسخه إلى عمرة .

وكان شيخ الإسلام يرى أن الوجوب خاص بالصحابة، قال: وأنا إلى قوله أميل منِّي إلى قول شيخنا، فصرح بمخالفته، فهو– رحمه الله– مستقل حر الفكر، لكن لا غرو أن يتابع شيخه –رحمه الله– فيما يراه حقًّا وصوابًا، ولا شك أنك إذا تأملت غالب اختيارات شيخ الإسلام وجدت أنَّها هي الصواب، وهذا أمر يعرفه من تدبر كتبهم، فالمهم أنا نوافق الشيخ بكر أبا زيد، كما أننا نتبع في ذلك شيخنا – رحمه الله – في الحرص على اقتناء كتب

شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كذلك أيضًا، الحافظ ابن عبد البر وأجل كتبه التمهيد... شرح ماذا؟

شرح الموطأ، وهذا الكتاب على جلالته، وغزارة علمه، يصعب أن تحصل فيه الفائدة ؛ لأنه غير مرتب إذ أنه بناه على الأسانيد - رحمه الله -، وساق الموطأ على هذا المنهاج، فصار الإنسان يتعب قبل أن يحصل مسألة من المسائل، ونرجو الله تعالى أن ييسر لبعض شبابنا من طلبة العلم إلى ترتيبه سواء ترتيباً كاملًا بتغيير الكتاب أصلًا أو ترتيبًا بالفهارس، وأظن ترتيبه بالفهارس، سيكون سهلًا، يأخذ الإنسان مثلًا أوراقًا، ويسجل فيها ما يتعلق بكتب الطهارة على حدة وما يتعلق بالصلاة على حدة، حتى تجتمع ثم بعد ذلك، يضم بعضها إلى بعض، ولو فعل الإنسان ذلك لكان خدم هذا الكتاب، خدمة عظيمة، وخدم الناس الذين يريدون الانتفاع به.

وكذلك أيضًا، الثاني: يقول: الحافظ ابن قدامة -رحمه الله-، أنا إلى الآن لم أسمع أحدًا وصف ابن قدامة بأنه حافظ لكنه لا شك أنه فقيه، من أكبر الفقهاء- رحمه الله-، يقول: ورأس كتبه المغني، وإنما قال: رأس كتبه المغني إشارة إلى أنه- رحمه الله- له كتب على الترتيب لطالب العلم.

كفي الناس بالكافي واقنع طالبًا بمقنع فقه عن كتاب مطول
وأغنِ بمغني الفقه من كان باحثًا وعمدته من يعتمدها يحصل

فهو كتب في الفقه العمدة، فيها مسائل ودلائل للطالب المبتدئ، ثم المقنع للطالب الذي ترقى بعض الشيء، وكان يذكر فيه القولين في مذهب الإمام أحمد، إما الروايتين، وإما الوجهين، وإما الاحتمالين، لكن بدون ذكر الدليل، ثم إذا ارتفع الإنسان إلى الكافي ، فيه ذكر القولين والاحتمالين، أو الوجهين مع ذكر الدليل، أو التعليل ثم يرتقي إلا الرأس والقمة، وهو المغني الذي يذكر فيه الموفق -رحمه الله- الخلاف في مذهب أحمد، ومع الأئمة الأربعة، وغيرهم، ولهذا قال: ورأس كتبه «المغني»،

الثالث: الحافظ الذهبي -رحمه الله-، ولم يذكر شيئًا من كتبه.

الرابع: الحافظ ابن كثير وله «الأحكام في شرح البخاري» -رحمه الله-.

الخامس: الحافظ ابن رجب وله كتب كثيرة في الحديث وكذلك في الفقه، ومن أحسن ما اطلعنا عليه، القواعد الفقهية، حتى أن بعض العلماء قال: إن هذه القواعد الفقهية ليست لابن رجب؛ لأنَّها أكبر من مستواه، ولكن الصحيح أنَّها له، قد اشتهرت، وتناقلها الناس، وفضل الله يؤتيه من يشاء، لكنها أعني القواعد الفقهية لطالب العلم الذي يريد التبحر في الفقه من أحسن ما رأيت ؛ لأنَّها مبنية على التعليل، وعلى المناقشة، وفيها فوائد كثيرة، وهي طبعًا غير مرتبة، لكن في بعض الطبعات رتبت على أبواب الفقه في الفهارس.

السادس: الحافظ ابن حجر – رحمه الله – له «فتح الباري»، الذي نعرف من كتبه، وله كتب أخرى حديثية وربما يكون له كتب فقهية أيضًا.

السابع: الحافظ الشوكاني، وله كتب حديثية فقهية، «نيل الأوطار» جامع بين علم الحديث، والفقه، «السيل الجرار».

الثامن: الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله– أيضًا له كتب متعددة في فنون متعددة... وأكثر ما ألف فيه: التوحيد، لحاجة الناس إلى ذلك.

التاسع: كتب علماء الدعوة، ومن أجمعها «الدرر السنية»، و«الدرر السنية» كتب بعضها باعتبار المشايخ بحيث جمع لكل شيخ ما كتبه أو أجاب عنه، أو أجاب عليه من أسئلة، وجمعت على وجه آخر مرتبة على أبواب الفقه، والعقائد، وهي لا شك أنَّها نافعة جدًّا فيها رسائل صغيرة، وفيها أجوبة كثيرة نافعة.

العاشر: العلامة الصنعاني لاسيما كتابه «سبل السلام في شرح بلوغ المرام»، فهو جامع بين الحديث والفقه.

الحادي عشر: العلامة صديق حسن خان – رحمه الله تعالى–، وله كتب في الفقه، وكتب في التفسير ، وتفسيره من أجمع التفاسير للأقوال مع اختصاره، لكنه مفيد جدًّا، وكان مشايخنا يوصوننا به أي بتفسير صديق خان.

الثاني عشر: العلامة محمد الأمين الشنقيطي– رحمه الله– لاسيما كتابه «أضواء البيان» في التفسير، لكنه في الحقيقة جامع بين التفسير، والحديث والفقه، ولاسيما حينما تجاوز البقرة، وآل عمران، والنساء، أما كلامه في البقرة، وآل عمران، والنساء، فهو قليل لكن

فيما بعد شاء الله، انفجر البحر، وصار يتكلم بكلام قل أن تجده في غيره.

س: **شيخ بارك الله فيكم بعض طلبة العلم يقول: كيف أجمع بين الحفظ والقراءة؛ لأن الحفظ يحتاج إلى وقت، وإلى مراجعة، والقراءة تأخذ الأوقات؟**

ج: انظر بارك الله فيك، هذه الكتب الكبيرة، اجعلها للمراجعة ؛ لأن كونه للدراسة صعب، لكن اجعلها للمراجعة، والحفظ لابد منه، أنا أقول لكم: إننا لم يبق عندنا من العلوم إلا ما حفظناه، ولا تطع من يقول: إن الحفظ لا حاجة إليه أبدًا، لو تسأل هذا الذي يقول: إن الحفظ لا حاجة إليه عن مسألة في النحو في أول باب النحو، وجدته لا يعرف شيئًا ؛ لأنه نسي العلم.

❁ ❁ ❁

٥١- التعامل مع الكتاب:

لا تستفد من كتاب حتى تعرف اصطلاح مؤلفه فيه، وكثيرًا ما تكون المقدمة كاشفة عن ذلك، فابدأ من الكتاب بقراءة مقدمته.

الشرح

التعامل مع الكتاب يكون بأمور:

الأول: معرفة موضوعه حتى يستفيد الإنسان منه؛ لأنه يحتاج إلى تخصص.. فتقرأ كتاب وأنت لا تدري ما هو... ربما يكون كتاب شعوذة، أو سحر، أو باطل، لابد أن تعرف موضوعه.

ثانيًا: لابد أن تعرف مصطلحاته، وهذا في الغالب يكون لمقلد ؛ لأن معرفة المصطلحات يحسن بها في الواقع؛ أنك تحفظ أوقات كثيرة، وهذا يفعله الناس في مقدمات الكتب، فمثلًا: نعرف أن صاحب «بلوغ المرام»، إذا قال: متفق عليه.. يعني رواه البخاري، ومسلم، لكن صاحب المنتقى على خلاف ذلك، صاحب المنتقى إذا قال: متفق عليه، فإنه يعني أنه رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم، كذلك أيضًا في كتب الفقه يفرق بين القولين والوجهين، والروايتين، والاحتمالين، كما يعرفون الناس من تتبع كتب الفقهاء، الروايتين عن الإمام، والوجهين على الأصحاب، لكن أصحاب المذهب الكبار، أهل التوجيه، والاحتمالين، للتردد بين قولين، والقولين أعم من ذلك كله، كذلك يحتاج

أن تعرف مثلًا: إذا قال المؤلف إجماعًا، أو إذا قال وفاقًا، إذا قال: إجماعًا يعني بين الأمة – وفاقًا – مع الأئمة الثلاثة كما هو اصطلاح صاحب الفروع، وكذلك بقية أصحاب المذاهب كل له اصطلاح، فلابد أن تعرف اصطلاح المؤلف.

ثالثًا: يكون التعامل مع الكتاب بمعرفة أسلوبه، وعباراته، ولهذا تجد أنك قرأت أول ما تقرأ لاسيما في الكتب العلمية المملوءة علمًا تجد أنك تمر بك العبارة تحتاج إلى تأمل وتفكير في معناها؛ لأنك لم تألفها، فإذا كررت هذا الكتاب ألفته، وانظر مثلًا إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله الإنسان الذي لم يتمرن في مطالعة كتبه، يصعب عليه أن يفهمها لأول مرة ، لكن إذا تمرن عرفها بيسر وسهولة، هذه أيضًا تكون من التعامل مع الكتاب، أما ما يتعلق بأمر خارجي عن التعامل مع الكتاب، وهو التعليق بالهوامش، أو بالحواشي، فهذا أيضًا مما ينبغي لطالب العلم أن يغتنمه، وإذا مرت به مسألة تحتاج إلى شرح، أو إلى دليل أو إلى تعليل، ويخشى أن ينساها فإنه ماذا؟ يعلقها إما بالهامش، وهو الذي على اليمين أو اليسار، وإما بالحاشية، وهي التي تكون في الأسفل وكثيرًا ما يفوت الإنسان مثل هذه الفوائد التي لو علَّقها لم تستغرق عليه إلا دقيقة أو دقيقتين ،ثم إذا عاد ليتذكرها بقي مدة وهو يتذكرها ولا يجدها فينبغي أيضا لطالب العلم أن يغتنم مثل ذلك لاسيما مثلًا في كتب الفقه تمر بك في الكتاب مسألة، وحكمها ثم تتوقف وتشكل عليك... ارجع مثلًا إلى الكتب التي أوسع من كتابك الذي بين يديك، فإذا وجدت قولًا فعلق القول من أجل أن ترجع إليه إذا احتجت إليه دون الرجوع إلى أصل الكتاب الذي نقلت منه، فهذا مما يوفر عليك الوقت، وكذلك أيضًا إذا كان الكتاب في فقه مذهب من المذاهب، ورأيت أنه يخالف المذهب في حكم هذه المسألة فإنه من المستحسن أن تقيد المذهب على الهامش أو في الحاشية حتى تعرف أن هذا الكتاب خرج عن المذهب، ولاسيما إذا كان المذهب أقوى مما ذهب إليه صاحب الكتاب.

هل من التعامل مع الكتاب وإن كان خارجًا عن التعامل الداخلي أن تلخص الكتاب مثلًا؟ تلخيصه على سبيل التأليف والنشر قد يجد الإنسان في هذا حرجًا، لكن استخراج فوائد مبعثرة لا على سبيل التأليف، هذا لا يجد الإنسان حرجًا فيه ولو نشره، لكن استخراج فوائد مبعثرة لا على سبيل التأليف، هذا لا يجد الإنسان فيه حرجًا، ولو نشره،

وأما اختصار ونشر كتاب، فإن دعت الحاجة إلى ذلك فلا بأس، وإلا فلا تتعرض له؛ لأنك إذا فعلت ذلك ربما يهجر الناس الأصل إلى هذا المختصر، وربما تحذف مسائل أهم مما تثبت، أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك فلا حرج.

❁ ❁ ❁

٥٢- ومنه:

إذا حزت كتابًا، فلا تدخله في مكتبتك إلا بعد أن تمر عليه جردًا أو قراءة لمقدمته، وفهرسه، ومواضع منه، أما إن جعلته مع فنه في المكتبة، فربما مر زمان، وفات العمر دون النظر فيه، وهذا مجرب، والله الموفق.

الشرح

هذا صحيح، وهو حاصل كثيرًا، يعني أكثر ما يكون في حال الإنسان أنه إذا جاءه كتاب جديد يتصفحه أو إذا كان كثيرًا يقرأ الفهرس.. قل أن تجد شخص مثلًا...، أو أن تمر بك حال من حين يأتيك الكتاب تجعله في الرف، هذا قليل لا بد أن تعرف، وإنما قلنا أو قال الشيخ هذا ؛ لأجل إن احتجت إلى مراجعته، عرفت أنه يتضمن حكم المسألة التي تريد ، أما إذا لم تجرده مراجعة، ولو مرورًا ؛ فإنك قد لا تدري ما فيه من المسائل، والفوائد فيفوتك شيء كثير موجود في هذا الكتاب الذي عندك في رفك.

❁ ❁ ❁

٥٣- **إعجام الكتابة:**

إذا كتبت فأعجم الكتابة بإزالة عجمتها، وذلك بأمور.

الشرح

أعجم الكتاب، هل معناه اجعله أعجميًّا؟

لا، معناه: أزل عجمته بإعرابه، وتشكيله، ونقطه، حتى لا يشكل، وهذا من الأفعال، التي يراد بها الضد، كما جاء في الحديث «يتحنث»[1] أي يعني النبي ﷺ يتحنث بغار حراء الليالي ذوات العدد...

---

(١) متفق عليه:رواه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).

يعني يزيل الحنث، أم يفعل الحنث؟

يزيله، وهذا لها أمثلة كثيرة، فمعنى «أعجم الكتاب»، أي: أزال عجمته بتشكيله، وإعرابه.

❁ ❁ ❁

١- وضوح الخط.

٢- رسمه على ضوء قواعد الرسم «الإملاء»، وفي هذا مؤلفات كثيرة من أهمها: كتاب الإملاء لحسين والي[١].

الشرح

لابد أن تكون عالمًا... أخشى أن تقع في قول القائل:

يريد أن يعربه فأعجمه

لابد أن تكون عالمًا بالنحو، أما مثلًا: يعني فكرك يقول لك: هذه مرفوعة، مضمومة، منصوبة، مكسورة، وتفعل؟ لا... لابد أن تكون عالمًا، وإذا أشكلت عليك الكلمة، فارجع إلى مظانِّها، إذا أشكل عليك تركيب الكلمة، أو حركاتِها في تركيبها لا في إعرابِها، فارجع إلى كتب اللغة؛ لأن هناك أخطاء شائعة بين الناس، مثلًا: يقولون: تجرُبة، وتجارُب، أكثر الناس إن لم أقل كل الناس يضمون الراء.. فأخشى يأتي واحد يريد أن يعجم فتمر به تجربة، فيقول: تجرُبة، بضم الراء، فيشكلها نطقًا، وإعرابًا، وهذا غلط ؛ لأنه قد يشتهر بين الناس أشياء، ليس لها أصل، فلابد أن ترجع إلى الأصل.

❁ ❁ ❁

«قواعد الإملاء» لعبد السلام محمد هارون[٢].

«المفرد العلم» للهاشمي -رحمهم الله تعالى-[٣].

٣- النقط للمعاجم، والإهمال للمهمل[٤].

---

(١) طبع ثم صور عام ١٤٠٥ هـ بيروت/ دار القلم.

(٢) طبع الخانجي بمصر عام ١٣٩٩ هـ. الرابعة.

(٣) الطبعة/ ٢٢. المكتبة البخارية الكبرى بمصر.

(٤) لأن الترك يؤدي إلى الاشتباه.

٤ - الشكل لما يشكل.

٥ - تثبيت علامات الترقيم في غير آية، أو حديث[1].

الشرح

كل هذه قواعد إملائية، ينبغي مراعاتُها.. طيب... نسمعهم يقولون بالظاء المشالة ما هذه؟ أخت الطاء.. طيب بالضاد المعجمة؟ أخت الصاد، طيب بالدال المهملة أخت الذال، وبالذال المعجمة أخت الدال ، لكن يقولون هذا لئلا يخطئ الإنسان، وإلا الدال والذال ما تختلف إلا بالإعجام فقط، الضاد والظاء هي التي تختلف، يحتاج أن تقول بالظاء المشالة التي هي أخت الطاء.

س: ما معنى أختها؟

ش: أختها يعني على شكلها وصورتِها.

س: يعني ليس نفس الحرف؟

ج: أي على شكلها.. الآن الطاء والظاء لا فرق بينهما إلا بالنقطة، فهي أختها.

س: بارك الله فيكم يا شيخ، بالنسبة لقراءة الكتب، بعض الناس بطيء في القراءة، فهل يسرع ؛ ليقطع مشوار أكثر مع أنه لو أبطأ تفهَّم أكثر، ولكن ما يستطيع أن يقطع...؟

ج: بارك الله فيك، المطالعة نوعان: مطالعة تفهم وتدبر، هذا لابد من الإنسان أن يتأمل، ويتأنى، ومطالعة استطلاع فقط، ماذا كتب هذا الرجل مثلًا: وما هو مضمون الكتاب، وإن أسرع، أحيانًا يقرأ الإنسان صفحة بعينه، ولا يتأملها، أما الأول لابد أن يتدبر.

س: الظاء المشالة.. ما معنى المشالة؟

ج: أخت الطاء؛ لأن الضاد ما فيه ألف في وسطها، المشالة مرفوعة، يعني ألفها مرفوع، أليس الظاء فيها ألف في وسطها، لكنها صغيرة، والظاء المشالة، يعني مرفوعة.

س: قوله هنا: تثبيت علامات الترقيم في غير آية، أو حديث، يعني كأنه يقول: لا تستعمل علامات الترقيم في غير آية أو حديث - الآيات واضحة - لكن الأحاديث؟

---

(١) الترقيم وعلاماته. أحمد زكي باشا. طبع عام ١٣٣٠هـ.

ج: لا.. هو الصواب يقول: في الآية والحديث، يعني مثل آية نكتب رقم الحديث نكتب رقم...

س: هل الترقيم المقصود فيه النقطة، والفاصلة، والأشياء هذه؟

ج: هو أصلًا الرقم يطلق على العدد، رقم العدد هذا هو المشهور، لكن يضع علامات إذا كان يريد بهذا، فهذا غير مألوف أن يسمى ترقيم، إذا كان المقصود وضع العلامات، فصحيح أن القرآن لا يحسن أن تضع فيه العلامات، يعني مثلًا: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ [النجم: ١٩]، ما تكتب علامة استفهام، هذا في القرآن تقتصر على ما كتب، في الحديث كثير من الناس الذين يطبعون كتب الحديث، يكتبون العلامات، علامات الاستفهام، وكذلك الفواصل في الأحاديث، أما القرآن ففواصله بآياته، ما يحتاج، فإذا كان المراد ترقيم العلامات دون الترقيم العددي، فهذا صحيح... القرآن ترقيمه بماذا؟ بفواصل آياته معروف، الحديث غير مسلم، لا مانع أن تضع العلامات، علامة الاستفهام، وعلامة التعجب، علامة الوقف، يعني هذا مما يعين على فهم المعنى، والقرآن لولا احترامنا الرسم العثماني، لقلنا أيضًا ضع فيه الترقيم... فما المانع... لكن القرآن ينبغي أن يحترم، وألا يزاد فيه وينقص... ثم العلامات هذه الواقع أن الناس يختلفون فيها، بعض الناس ما يعرف الفاصلة، ولا يعرف علامة الوصل، ولا علامة الاستفهام، ولا علامة التعجب... ومعنى هذا أننا ينبغي لنا أن نقرأ الكتب المؤلفة في هذا، حتى إذا أردنا أن نكتب كتاباتنا متمشية على القواعد المعروفة.

❁ ❁ ❁

المحاذير

٥٤- حلم اليقظة:

إياك وحلم اليقظة، ومنه بأن تدعي العلم لما لم تعلمه، أو إتقان ما لم تتقنه، فإن فعلت فهو حجاب كثيف عن العلم.

الشرح

هذا صحيح، وما أسرع ما يغتر الإنسان، أحيانًا بعض الناس يري الحاضرين بأنه عالم مطلع، فتجده إذا سئل يسكت قليلًا... يعني كأنه يتأمل، ويطلع على الأسرار، ثم يرفع رأسه، فيقول: هذه المسألة فيها قولان للعلماء، طيب ما هما القولان ؟ ثم إما أن يجيب بقول من عنده، وإلا يقول: تحتاج إلى مراجعة، فالمهم أنك لا تدعي العلم، ولا تنصب نفسك عالمًا، مفتيًا، وأنت لا علم عندك ؛ لأن هذا من السفه بالعقل، وضلال في الدين، ولهذا قال: إن فعلت فهو حجاب كثيف عن العلم»؛ لأن الإنسان إذا فعل هذا، ويقول: خلاص أنا الآن صرت عالمًا، ما أحتاج أن أطلب العلم، فيحجب عن العلم بسبب هذا الاعتقاد الباطل.

❁ ❁ ❁

٥٥- احذر أن تكون أبا شبر:

فقد قيل[1]: العلم ثلاثة أشبار، من دخل في الشبر الأول تكبر، ومن دخل في الشبر الثاني تواضع، ومن دخل في الشبر الثالث علم أنه ما يعلم.

الشرح

أبو شبر واحد، الشبر الأول: يتكبر؛ لأنه ما عرف نفسه وحقيقته، والثاني: تواضع، لكنه متواضع، وهو يرى نفسه عالمًا، الأول: يرى نفسه عالمًا متكبر، والثاني: يرى نفسه عالمًا لكنه متواضع، والثالث: يرى أنه جاهل لا يعرف، لا يعلم، وبالضرورة لن يتكبر، وهو

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص/ ٦٥.

جاهل، يرى نفسه جاهلًا، لكن هل هذه الأخيرة محمودة أم لا؟ أن ترى نفسك جاهلًا! إذا رأيت نفسك جاهلًا، فإنك لن تقدم على عزم في الفتيا مثلًا، ولهذا تجد بعض طلبة العلم لا يعطيك جزمه، يقول: الذي يظهر أو يحتمل... لا يا أخي، ما دام الله قد فتح عليك، وكنت عالمًا، حقًا، فاعتبر نفسك عالمًا... اجزم في المسألة، لا تجعل الإنسان السائل طريح الاحتمال، وإلا ما أفدت الناس، أما من ناحية الإنسان الذي ليس عنده علم متمكن، فهذا ينبغي أن يرى نفسه غير عالم.

❁ ❁ ❁

٥٦ – التصدر قبل التأهل:

احذر التصدر قبل التأهل، فهو آفة في العلم والعمل، وقد قيل: من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه.

الشرح

هذا أيضًا مما يجب الحذر منه أن يتصدر الإنسان قبل أن يكون أهلًا للتصدر لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلًا على أمور:

الأمر الأول: إعجابه بنفسه، حيث تصدر، فهو يرى نفسه أنه علم الأعلام ؛ لأنه تصدر.

ثانيًا: أن ذلك يدل على عدم فقهه، ومعرفته للأمور ؛ لأنه إذا تصدر فربما يقع في أمر وَحَل، لا يستطيع الخلاص منه، لأن الناس إذا رأوه، متصدرًا، أوردوا عليه من المسائل، ما يبين عواره.

ثالثًا: أنه إذا تصدر قبل أن يتأهل، لزمه أن يقول على الله ما لا يعلم ؛ لأن الغالب أن من كان هذا قصده، أنه لا يبالي أن يحطم العلم تحطيمًا، وأن يجيب عن كل ما سئل عنه، وأنه يقول كما قال العوام: «قطة ولو مقطة أبيض» تعرفون ما هذا؟

يعني معناه أنك تضرب بالسكين، حتى تخرج ليس فيها دم من شدة القط، والمعنى أن بعض الناس يفعل هذا، يخاطر بدينه، وبقوله على الله عز وجل، ومن ذلك أيضًا، أن الرابع: الإنسان إذا تصدر فإنه في الغالب لا يقبل الحق ؛ لأنه يظن بسفهه أنه إذا خضع لغيره، ولو

كان معه الحق، كان هذا دليلًا على أنه ليس بأهل للعلم، والمهم، أن هذا فيه آفات، عظيمة، ولهذا يروى عن عمر ﷺأنه قال: «تفقهوا قبل أن تُسَوَّدُوا» [١]، أو قبل أن تَسُودُوا...كلاهما صحيح، يعني: اطلبوا العلم وتفقهوا في دين الله قبل أن يجعلكم الناس سادة ؛ لأن الإنسان إذا تسود خلاص: لم يكن لنفسه، أنت لنفسك كما قيل: أنت لنفسك ما لم تعرف، فإذا عرفت، فلست لنفسك، وهذا شيء مجرب، الإنسان قبل أن يعرف، وقبل أن يسود تجده وقته واسع، يفعل حاجاته، ويقضي حاجاته، لكن إذا عرف «خلاص» صار للناس، وليس لنفسه، طيب: إذًا هذا آفاته، وقد قيل: «من تصدر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه»، هذا سجع طيب، وفيه أيضًا جناس، ولكنه ليس بتام.

وابن رجب - رحمه الله- في قواعد الفقه يقول: من تعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه، ولهذا لو قتل الموصى له الموصي بطلت الوصية، يعني لو أوصى إنسان قائلًا، إذا مت فأعطوا فلانًا عشرة آلاف، وكان هذا الموصى له محتاجًا، وطال به الزمان... أطال الله عمر الموصي... فقال: إلى الآن ما مات، فذهب فقتله، هل يعطى الوصية؟ لا، تبطل الوصية؛ لأنه تعجل شيئًا قبل أوانه -على وجه محرم- عوقب بحرمانه، ولهذا كان من موانع الإرث، القتل لئلا يتعجل الوارث موت مورثه.

س: بارك الله فيكم... ما المقصود بالتصدر، هل هو أن يجعل الإنسان نفسه مفتي للناس، أم مجرد إقامة بعض الدروس، ومحاضرات بغير تورع يعتبر تصدر؟

ج: التصدر له ابتداء وله أشكال:

منها: أن الإنسان يبادر بإلقاء الدروس علنًا، وهو لم ينضج، ومنها: أنه إذا جلس في المجلس جعل الكلام له، ولم يسمح لأحد أن يتكلم؛ هذا تصدر، وكان شيخنا - رحمه الله - عبد الرحمن السعدي كان يدرس الطلبة كما حكى لي بعض الطلبة كان يدرسهم أول ما بدأ يدرس في زاوية من المسجد بعيدة عن النظر، فإذا أقبل أحد قال: تعالوا .. اجلسوا.. تجمعوا.. وقام يسولف عليهم كأنَّهم جالسين يتحدثون أو يقرءون قرآنًا أو ما أشبه ذلك، خوفًا من التصدر لأن التصدر في الحقيقة بلاء، يحمل الإنسان على العجب، وعلى أن يقول أنا من أنا.

---

(١) صحيح: تقدم.

س: شيخ: في بعض البلاد ليس هنالك علماء أو طلبة علم كبار، فإذا كان الطالب أخذ شيئا من العلم فهل له أن يتصدر لهذه العلة؟

والله أنا أتشاءم من التصدر.. التصدر من غير التأهل خطر - كما قلنا لكم - لأن فيه محاذير، إذا تصدر الإنسان ولو بين عوام دونه في العلم ارتضى بنفسه وقال: خلاص أنا شيخ هؤلاء، و﴿ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾، أنا فوقهم، ثم صدر نفسه، مشكلة.

نعم لو وجدنا إنسانًا ورعًا، جلس للناس يعلمهم، لكن إذا سئل عن مسألة لا يعرفها قال: أمسكوا حتى أسأل العلماء، هذا طيب.

س: إذا كنت في صلاة وكنت مع قوم لا يحسنون الصلاة فهل أتقدم وأصلي بهم؟

لا.. تقدم، ما في مانع؛ لأنك أهل، والعجيب من سؤالك هذا، هو الذي وقفنا عليه في البخاري قال: «باب: أهل العلم والفضل أولى بالإمامة» وقفنا على هذا الباب.

❁ ❁ ❁

٥٧- التنمر بالعلم:

احذر ما يتسلى به المفلسون من العلم، يراجع مسألة أو مسألتين، فإذا كان في مجلس فيه من يشار إليه، أثار البحث فيها؛ ليظهر علمه، وكم في هذا من سوءة، أقلها أن يعلم أن الناس يعلمون حقيقته.

وقد بينت هذه مع أخوات لها في كتاب «التعالم»، والحمد لله رب العالمين.

الشرح

هذا مثله، التنمر بالعلم، يعني أن يجعل الإنسان نفسه نمرًا، تعرفون النمر؟ أخو الأسد، فيأتي مثلًا إلى مسألة من مسائل العلم، ويبحثها ويحققها بأدلتها، ومناقشتها مع العلماء، وإذا حضر مجلس عالم يشار إليه بالبنان، قال: ما تقول أحسن الله إليك بكذا، وكذا، قال: هذا حرام، مثلًا، قال: كيف؟ بماذا نجيب عن قوله ﷺ كذا، عن قول فلان كذا، ثم جاب من الأدلة التي لا يعرفها، العالم؛ لأن العالم ليس مجيد بكل شيء، لكي يظهر نفسه أنه أعلم من هذا العالم، ولذلك تجد العوام يتحدثون، يقولون: والله فلان البارحة، جلس مع فلان كبير من العلماء، وأفحمه في مسألة، ما شاء الله، بلغ مبلغًا عظيمًا صار كبير كبار العلماء؛

لأن العامي ما يدري، وهذه تقع كثيرًا جدًّا، كثيرًا ما يأتي إنسان يكون بحث المسألة بحثًا دقيقًا جيدًا، ثم يباغت العلماء بمثل هذا، وهذا ولا شك أنه كما قال الشيخ - حفظه الله -، تنمر لكنه من مفلس، لكن ما دواء هذا الذي يبين عواره ، إذا انتهينا من هذه المعمعة، نقول تعال: أعرب قول الشاعر: ... وحينئذٍ يتبين بلاؤه، أو اقسم هذه المسألة الفرضية.. تبين أنه ليس عنده شيء، ومن قاتلك بسكين فقاتله بسيف، وهذا واقع كثير من العلماء الآن، وكثير من طلبة العلم يكون له اختصاص في شيء معين، مثل أنه يدرس كتاب النكاح، مثلًا، ويحقق فيه، لكن لو تخرج به إلى كتاب البيع الذي هو قبل كتاب النكاح في الترتيب عند الفقهاء،لم تجد عنده شيئًا، كثير من الناس الآن في الحديث يتنمر، فيقول: رواه فلان عن فلان، وفيه انقطاع، ثم يضفي على هذا ظلالًا من كبريات العلم، ثم لو تسأله عن آية من كتاب الله ما أجاب. والحاصل: أن الإنسان يجب أن يكون أديبًا مع من هو أكبر منه.

إذا كان من هو أكبر منه أخطأ في هذه المسألة ، فالخطأ يجب أن يبين، لكن بحال لبقة، بصيغة لبقة، أو ينتظر حتى يخرج مع هذا العالم ويمشي معه، ويتكلم معه بأدب... والعالم الذي يتقي الله، إذا بان له الحق، فإنه سوف يرجع إليه، وسوف يبين للناس أنه رجع.

س: **أحسن الله إليك، ما ضابط الشبع؟ إذا كان الإنسان يأكل، هل تقدر ضابط؟**

هو يعرف الإنسان يأكل، كل إنسان يعرف نفسه، لكن المهم لا يكون هم طالب العلم أن يكون رئيسًا في الناس، فإن هذا من انتفاء الدنيا بالدين.

❁ ❁ ❁

٥٨ - تحبير الكاغد:

كما يكون الحذر[1] من التأليف الخالي من الإبداع في مقاصد التأليف الثمانية، والذي نهايته «تحبير الكاغد» .

فالحذر من الاشتغال بالتصنيف قبل استكمال أدواته، واكتمال أهليتك، والنضوج على يد أشياخك، فإنك تسجل به عارًا، وتبدي به شنارًا.

أما الاشتغال بالتأليف النافع لمن قامت أهليته، واستكمل أدواته، وتعددت معارفه،

---

(١) أول من ذكرها ابن حزم في: نقط العروس. وانظر تسلسل العلماء، لذكرها في: إضاءة الراموس ٢/ ٢٨٨ مهم.

وتمرس به بحثًا، ومراجعةً، ومطالعةً، وجردًا لمطولاته، وحفظًا لمختصراته، واستذكارًا لمسائله، فهو من أفضل ما يقوم به النبلاء من الفضلاء.

الشرح

هذه الشروط التي ذكرها الآن متعذرة، الآن تجد رسائل في مسألة معينة، يكتبها أناس ليس لهم ذكر ولا معرفة ، وإذا تأملت ما كتبوه، وجدت أنه ليس صادرًا عن علم راسخ، وأن كثيرًا منه يكون نقولًا، لكن أحيانًا ينسبون النقل إلى قائله، وأحيانًا لا ينسبونه، فعلى كل حال نحن لا نتكلم في النيات، النية علمها عند الله ﷻ، لكن نقول: انتظر، رأيت مثلًا من يكتب في الصيام، يكتب رسائل في الصيام، يوجد رسائل في القوم الكبار في الصيام، ما هو خير منها، لكن النفس مولعة بكل جديد، إذا ظهر هذا في الأسواق ربما يشتغل الناس به عما هو أنفع.

كذلك في الحج كثرت المناسك الآن في الحج كثرة عجيبة، بينما كنا في زمن الطلب لا نعرف إلا ما رتبه الفقهاء في زاد المستقنع و غيره، أو أشياء قليل، لكن ما شاء الله اليوم. حدث ولا حرج في المناسك، أحيانًا تجد الكاتب الفلاني الذي كتب هذه المناسك، تجده نقل العبارة برمتها، وشكلها، ونقطها، وإعرابها من كتاب آخر، ولا يقول: قال فلان في الكتاب الفلاني، وهذه سرقة، هذه ما هي سرقة مال يأخذه من الجيب، سرقة علم، لكن على كل حال بالنسبة للمؤلف الأول، هو يقول: لا يهمني إذا انتشر الكتاب ،ونفع الخلق، فسواء كان باسمي، أو باسم الثاني ما يهم، لكن الكلام على هؤلاء الذين نعتبرهم سراقًا، نقول: رويدكم، هذا الموضوع كتب فيه العلماء الكبار، في«التحقيق والإضافة» للشيخ عبد العزيز بن باز– حفظه الله تعالى – يغني عن كثير من الكتب، وكذلك أيضًا ما كتبه آخرون، لكن كون الإنسان كلما عنَّ له أن يكتب ويؤلف، من أجل أن يقول: يا ناس هذا الكتاب أحسن الكتب مثلًا، هذا ليس بصحيح، نقول: انتظر، وإذا كان لديك علم، وقدرة؛ فاشرح، هذه الكتب الموجودة، اشرحها شرحًا لأن كلًا منها لا يوجد فيه الدليل على وجه كامل، اشرحها وتبين للناس، المهم أنه كما قال الشيخ : «**ينبغي لمن قامت أهليته واستكمل أدواته وتعددت معارفه، وتمرس فيه بحثًا، ومراجعة، ومطالعة، وجردًا لمطولاته، وحفظًا لمختصراته، واستذكارًا لمسائله**» كل هذه شروط لا توجد الآن عند بعض المؤلفين.

ولا تنس قول الخطيب:

من صنف، فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس.

الشرح

هذا صحيح، من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس أما تعرفون الطبق؟ ما هو؟

الصحن، يعني كأن الإنسان الذي يؤلف، ويقرأ من تأليفه ،كأنه يقول: يا جماعة انظروا إلى عقلي ، عقلي في هذا الكتاب، وهذا صحيح.

ط: يعني جعل عقله وجبة؟

ش: إيه نعم وجبة، وأكثر من وجبة، حسب الكتاب.

❁ ❁ ❁

٥٩ - موقفك من وهم من سبقك:

إذا ظفرت بوهم لعالم؛ فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط، فإن المنصف يكاد يجزم بأنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام، لاسيما المكثرين منهم.

وما يشغب بهذا، ويفرح به للتنقص، إلا متعالم «يريد أن يطب زكامًا، فيحدث به جذامًا»[1].

نعم ؛ ينبه على خطأ أو وهم وقع لإمام، غمر في بحر علمه وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه والحط عليه فيغتر به من هو مثله.

الشرح

هذا أيضًا مهم جدًّا، وهو موقف الإنسان من وهم من سبقه، أو من عاصره أيضًا، هذا الموقف له جهتان:

الجهة الأولى: تصحيح الخطأ، وهذا أمر واجب يجب على من عثر على وهم إنسان، ولو كان من أكبر العلماء في عصره، أو في عصر من سبقه، يجب عليه أن ينبه على هذا الوهم،

(١) مجمع البلاغة للراغب.

وعلى هذا الخطأ، لابد ، بيان الحق أمر واجب، ولا يمكن أن يضيع الحق لاحترام من قال بالباطل ؛ لأن احترام الحق أولى بالمراعاة، واضح؟

لكن هل يصرح بذكر قائل الخطأ أو الوهم، أو يقول: توهم بعض الناس، فقال: كذا وكذا، هذا ينظر للمصلحة، ننظر لما تقتضيه المصلحة، قد يكون من المصلحة أن لا يصرح، كما لو كان يتكلم عن عالم مشهور في عصره، موثوق عند الناس، محبوب إليهم، فيقول: قال فلان: كذا وكذا، خطأ، فإن العامة لا يقبلون كلامه، بل يسخرون به، ويقول: من أنت حتى ترد على فلان، ولا يقبلون الحق، ففي هذه الحال، ينبغي أن يقول: من الوهم أن يقول القائل: كذا وكذا، ولا يقول: فلان، وقد يكون هذا الرجل الذي توهم متبوعًا يتبعه شرذمة من الناس، وليس له قدر في المجتمع، فحينئذٍ يصرح ؛ لئلا يغتر الناس به، فيقول: قال فلان: كذا وكذا، وهو خطأ.

الوجه الثاني: في موقف الإنسان من وهم من سبقه أو من عاصره أن يقصد بذلك بيان معايبه، لا بيان الحق من الباطل، بيان المعايب، وهذه إنما تقع من إنسان حاسد والعياذ بالله، يتمنَّى أن يجد قولًا ضعيفًا أو خطأ لشخص ما، فينشره بين الناس؛ ولهذا نجد أهل البدع يتكلمون في شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- وينظرون إلى أقرب شيء يمكن أن يقدح به، فينشرونه، ويعيبونه، مثلًا يقولون: خالف الإجماع في أن طلاق الثلاث واحدة، فيكون هذا شاذًا، ومن شذ شذ في النار، يحكم بأن الإنسان إذا قال لامرأته إن فعلت كذا فأنت طالق، بأن يكفر كفارة يمين، مع أنه لم يتكلم باليمين إطلاقًا، وإنما قال: إن فعلت كذا ؛ فأنت طالق. مثلًا

يقول بأن الله تعالى لم يزل فعَّالًا، ولم يزل فاعلًا، وهذا يستلزم أن يكون مع الله قديم ؛ لأن هذه المفعولات الواقعة بفعل الله إذن جعل فعل الله قديمًا لم يزل، لزم أن تكون هذه المفعولات قديمة فيكون قد قال بإلهين، وما أشبه ذلك من الكلمات التي يأخذونها على أنَّها زلة من زلاته، يشهرونها بين الناس، مع أن الصواب معه، لكن الحاسد والناقد، -والعياذ بالله- له مقام آخر، فأنت في وهم من سبقك يجب أن يكون قصدك الحق، ومن كان قصده الحق، وفق للقبول، أما من كان قصده أن يظهر عيوب الناس، فأن من تتبع عورة أخيه، تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه، ولو في بيت أمه.

* ثم يقول: «إذا ظفرت بوهم لعالم فلا تفرح به للحط منه، ولكن افرح به لتصحيح المسألة فقط»، والحقيقة أنِّي أقول: لا تفرح به إطلاقًا، إذا عثرت على وهم عالم، فحاول أن تدفع اللوم عنه، وأن تذب عنه، لاسيما إذا كان من العلماء المشهود لهم بالعدالة، والخير، ونصح الأمة، أما أن تفرح به، فهذا لا ينبغي حتى وإن كان قصدك تصحيح الخطأ ؛ ولهذا لو كانت العبارة: إذا ظفرت بوهم لعالم فلا تفرح به للحط منه، ولكن التمس العذر له، وصحح الخطأ، هذا صواب العبارة، أما أن أفرح لأنه أخطأ، من أجل أن أصحح الخطأ، فهذا ليس بصواب، طيب.

* ثم قال: «فإن المنصف يكاد يجزم أنه ما من إمام إلا وله أغلاط وأوهام، لا سيما المكثرين منهم»، والأفصح أن يقول: لاسيما المكثرون منهم، نعم، يقول: المنصف: يعني الذي يتكلم بالعدل، ويتتبع أقوال العلماء، «يعلم أنه ما من إمام إلا وله أوهام وأخطاء»، ولاسيما المكثر منهم، الذي يكثر الكتابة، أو يكثر الفتوى؛ ولهذا قال بعضهم: من كثر كلامه كثر سقطه، ومن قل كلامه قل سقطه؛ لأنه ما فيه كلام إلا يؤخذ عليه.

* قال: وما يشغب بِهذا، يعني يتخذه شغبًا، ويفرح به للتنقص، إلا متعالم، يريد أن...يطب زكامًا فيحدث به جذامًا.

والحقيقة أنه لا يفرح به، وللتنقص إلا إنسان متعدى، ومتعالم، معتدى يريد العدوان على الشخص نفسه، ويريد العدوان على ما عنده من العلم الصحيح ؛ لأن الناس إذا رأوا هذا العالم أخطأ في مسألة، ضعفت قوة قوله عندهم، حتى في المسائل الصحيحة، فالإنسان الذي يشغب بِهذه الأشياء، ويتتبع زلات العلماء، ويفشيها بين الناس، لا شك أنه معتدى لا على الشخص نفسه، بل على الشخص وعلى ما يحمله من صحيح القول.

* ولهذا قال: «يريد أن يطب زكامًا، فيحدث به جذامًا»، يعني يريد أن يستشفي به بالزكام، ولكنه يحدث بذلك الجذام، أيهما أشد؟ الجذام أشد -والعياذ بالله-؛ لأن الجذام مرض قتال فتاك معدي.

س: ظهر يا شيخ الآن كلام موجود في الساحة، أننا لا نأخذ من الأشعري كائنًا من كان، لا نأخذ منه عدلًا ولا صرفًا، حتى أنه تجرأ بعض الشباب، وتكلم في بعض من قال ببعض أقوال الأشاعرة.

ج: هذا خطأ، وليس بإنصاف، أن العالم إذا زل زلة، وقال بقول يوافق مذهب الأشاعرة، يحط من قدره، ويقال: إنه أشعري، حتى بلغني عن بعض الشباب المتعالمين، أنه قال: يجب إحراق فتح الباري، وشرح صحيح مسلم، نعم، وهذا -والعياذ بالله- كلام ليس بِهين، فالحق مقبول حتى من أكفر الناس، الحق مقبول، ولو كانت أقوال هذا الرجل كلها بدع، وجاء بالحق وجب علينا قبوله، قَبِلَ النبي ﷺ من الشيطان، وقبل من اليهود، وقبل الله من المشركين، لما قال الشيطان لأبي هريرة: اقرأ آية الكرسي، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، أقره الرسول ﷺ، وقال: «**صدقك وهو كذوب**»[1]، فصدقه الرسول عليه الصلاة والسلام، ولما قال اليهودي: يا محمد إننا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، وذكر تمام الحديث، ضحك النبي ﷺ، حتى بدت نواجذه، تصديقًا بقول الحق[2]، مع أنه يهودي، ولما قال المشركون حين فعلوا الفاحشة: وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها، قال الله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [الأعراف: ٢٨] وسكت عن قولهم: وجدنا عليها آباءنا، لم يبطله؛ لأنه حق، فكون الإنسان إذا رأى من عالم زلة، صارت هذه الزلة تمحو جميع أقواله هذا غلط، غلط عظيم، وليس بإنصاف، بل ينبغي لنا، أمام هذه الزلة، أن نسأل الله له المغفرة، والعفو، لمعرفتنا بأنه مدافع عن السنة، وحريص على تنقيتها، وأن الله نفع به المسلمين، هذا هو العدل والإنصاف، والله عز وجل يقول: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**﴾ [المائدة: ٨].

س: شيخ بارك الله فيكم، قد يكون كثير من أهل البدعة بحرًا في علمهم، يعني يكون واسع الاطلاع فيخشى الإنسان على نفسه منهم، ولكن هل يمنع أن يحضر لهذا دروسًا في العقيدة، والفقه، والحديث، إذا كان طالب العلم، يخشى من الزلل من أقوالهم؟

ج: هذا إذا كان هذا الرجل مبتدع، كما قلت عنده علم واسع في بعض الفنون والإنسان ينتفع منه فحضوره لمجالسهم فيه تفصيل: إن كان يخشى أن يتهم هو- هذا الحاضر ببدعة هذا الرجل فلا يحضر، وإن كان يخشى أن ينخدع الناس بهذا الرجل لأن فلانًا

---

(١) صحيح رواه البخاري (٣٢٧٥، ٥٠١٠).

(٢) متفق عليه رواه البخاري (٧٤١٤، ٧٤١٥، ٧٤٥١، ٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).

حضره فلا يحضره أيضًا، وإن كان يخشى أن يترفع هذا المبتدع وينتفخ، وتكون مجالسه: حضر إلى فلان وناقشني في كذا، فلا يحضر أيضًا، وإلا فلا بأس بالحضور، لكن تركه في عهدنا أولى؛ لأن العلم الذي نريده منه يمكن أن ندركه بواسطة غيره، أو بواسطة التسجيل إن كان الدرس يسجل.

س: بعد سؤال سائل غير واضح؟

ج: هو الغالب من أهل البدعة، في العقيدة، وإلا تجده في غير العقيدة، تجده على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، أو الإمام الشافعي، أو الإمام مالك، أو الإمام أبو حنيفة، لكن غالب بدعهم في العقيدة.

قال: نعم ينبه على خطأ أو وهم وقع لإمام غمر في بحر علمه، وفضله، لكن لا يثير الرهج عليه بالتنقص منه، والحط عليه فيغتر به من هو مثله، هذا كما قلنا، إن الخطأ لابد أن يبين لكن على وجه فيه.

❁ ❁ ❁

٦٠ - دفع الشبهات[١]:

لا تجعل قلبك كالسفنجة؛ تتلقى ما يَرِدُ عليها، فاجتنب إثارةَ الشَّبه وإيرادَها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة والقلوب ضعيفة، وأكثر من يلقيها حمالة الحطب - المبتدعة - فتوقهم.

الشرح

أنا أحسب فيها همزة «كالإسفنجة»، هكذا ننطق بِها، هذه الوصية أوصى بِها شيخ الإسلام ابن تيمية لتلميذه ابن القيم، قال: لا تجعل قلبك إسفنجة، يقبل ويشرب كل ما ورد عليه، ولكن اجعله زجاجة صافية، تبين ما وراءها، ولا تتأثر بما يرد عليها، وهذا مثل جيد من شيخ الإسلام - رحمه الله -، الزجاجة الصافية، لو ورد عليها ماء قذر، أو غيره ما يكدر الذي فيها، لكن ما فيها من الماء النافع، ظاهر أم غير ظاهر؟ ظاهر واضح، فبعض الناس يكون قلبه، كالإسفنجة، كل شيء يشكك فيه، وتأتي (أرأيت)؟، أرأيت اليمنية، التي قالها

(١) مفتاح دار السعادة ص/ ١٥٣.

ابن عمر لأهل اليمن لما سألوه عن مسائل، قال له: يا أبا عبد الرحمن: أرأيت، قال: اجعل «أرأيت» في اليمن[١]. ما في أرأيت، كثير من الناس يكون قلبه غير مستقر، ويورد شبهات، وقد قال العلماء -رحمهم الله- قولًا حقًّا: وهو أننا لو طاوعنا الإيرادات العقلية، ما بقي علينا نص إلا وهو محتمل، مشتبه، ولهذا كان الصحابة -رضوان الله عليهم- يأخذون بظاهر الأقوال، بظاهر القرآن، بظاهر السنة، ولا يوردون، لو قال قائل: نعم لو كان الإيراد قويًّا، أو كان هذا الإيراد قد أورد من قبل، فحينئذ يبحثه الإنسان، أما أن يجعل يفكر، إذا نام على فراشه: «**إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٢] أفلا يحتمل أن المراد بالأعمال الصلوات الأم، كالصلاة والزكاة، والصيام، والحج، والباقي له، يمكن ، فيه احتمال، عقليًّا ممكن ، ثم يبني على هذا الاحتمال الذي أورده على نفسه احتمالات أخرى، وما أكثر هذا في بعض الناس، تجده دائمًا يورد إيرادات، وهذا في الواقع ثلم عظيم في تلقي العلم، اترك هذه الإيرادات امش على الظاهر، فهو الأصل، ولهذا أقرءوا الآن سيرة النبي ﷺ، وسير الصحابة، والأحاديث تجدون المسألة على ظاهرها «ما يوردون» لما حدث الرسول ﷺ أصحابه بأن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، ماذا قالوا؟ هل قالوا: يا رسول الله كيف ينْزل، وهل السماء تسعه، وهل يخلو منه العرش؟، هل ؟ قالوا هكذا، أبدًا.

ولما قال بأنه رأى رؤيا: إن الله وضع يده على رسول الله ﷺ، وقال: حتى شعرت ببرد أنامله[٣]، هل قالوا: يا رسول الله كيف هذا؟ كيف هذا يكون؟ أبدًا.

لما حدثهم أن الموت يؤتى به يوم القيامة، على صورة كبش بين الجنة والنار، ويذبح أمام الجنة والنار، ويقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت؟[٤] هل قالوا: كيف يكون الموت كبشًا؟ أو لا؟ ما قالوها أبدًا. ولهذا أنا أنصح نفسي وإياكم أن لا توردوا هذا على أنفسكم، لاسيما في أمور الغيب المحضة ؛ لأن العقل يحار فيها، ما يدركها، فدعها على ظاهرها، ولا تكلف نفسك، يأتي إنسان يقول: سبحان الله يوم القيامة المؤمنون

---

(١) صحيح تقدم.

(٢) متفق عليه:رواه البخاري (١، ٥٤، ٢٥٢٩، ٣٨٩٨، ٥٠٧٠، ٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧).

(٣) رواه أحمد (٥٧٥).

(٤) متفق عليه:رواه البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩).

نورهم يسعى بين أيديهم، وبأيمانهم، والكافرون في ظلمة، كيف هذا؟

والمقام واحد، كيف يكون، بعض الناس يصل العرق ويلجمه، وبعضهم إلى كعبيه[١]، كيف يكون هذا؟.

يأتي الملكان الإنسان في قبره إذا دفن ويقعدانه[٢]، كيف يكون هذا؟ اللبن فوق رأسه ما يقدر يقوم.

كل هذه إيرادات يوردها الشيطان، فلذلك سلم في الأمور الغيبية المحضة، ولا تقلق، قل: سمعنا وآمنا، وصدقنا، وما وراءنا أعظم مما نتخيل، فهذا مما ينبغي لطالب العلم أن يسلكه ؛ ولهذا قال: «لا تجعل قلبك كالإسفنجة، تتلقى ما يرد عليها» فاجتنب إثارة الشبه في نفسك، أو لغيرك.

وإيرادها على نفسك أو غيرك، فالشبه خطافة، والقلوب ضعيفة، يعني: أنك ربما تورد شبهة، والشبه خطافة، كالسهم تمضي فيه وأنت لا تدري، والقلوب ضعيفة.

* «وأكثر من يلقيها حمالة الحطب، المبتدعة فتوقَّهم»

حمالة الحطب: الذين يأتون بالغثاء والعيدان والقش، ويوردونه ؛ ولهذا أكثر الناس في الكلام من أهل الكلام، ولهذا يسمون أهل الكلام، والمتكلمة، لماذا؟ لأنَّهم ليس عندهم إلا الكلام، والإيرادات، وانظر إلى كتبهم، التي بين يديك، ومن ذلك مثلًا: تفسير الرازي، تجده إذا تكلم في الآية أورد ألف سؤال، عليها، أو أكثر، كل هذا لا ينبغي لطالب العلم، العلم -والحمد لله- ظاهر، وبين وسهل، فاحذر الإيرادات أن توردها، على نفسك، أو على غيرك، وقل في أمور الغيب: آمنا وصدقنا.

ط: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، بالنسبة للكتابين اللذين ذكرهما الشيخ بكر أبو زيد في حلية طالب العلم، هنا، «نقط العروس»، «إضاءة الراموس»، أما إضاءة الراموس، فهو شرح لكتاب القاموس المحيط في اللغة، صدر منه مجلدان اشتملا على شرح المقدمة فقط، والكتاب مطبوع في المملكة المغربية، مؤلفه هو

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٨٦٤)، والترمذي (٢٤٢١)، وأحمد (٢٣٣٠١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

الشيخ الزبيدي الذي شرح القاموس أيضًا في كتابه تاج العروس.

۞ ۞ ۞

٦١- احذر اللحن:

ابتعد عن اللحن في اللفظ والكتب، فإن عدم اللحن جلالة، وصفاء ذوق، ووقوف على ملامح المعاني لسلامة المباني:

فعن عمر ﷺ قال: تعلموا العربية ؛ فإنها تزيد في المروءة. رواه الخطيب في الجامع[1].

وأسند أيضًا عن جماعة من السلف أنَّهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن[2].

وأسند الخطيب عن الرحبي قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحان، فكتب عن اللحان لحان آخر ؛ صار الحديث بالفارسية[3].

وأنشد المبرد[4]:

النحو يبسط من لسان الألكن   والمرء تكرمه إذا لم يلحن

فإذا أردت من العلوم أجلها   فأجلها منها مقيم الألسن[5]

وعليه ؛ فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة - رحمه الله تعالى -: تعلم النحو: أوله شغل، وآخره بغي.

الشرح

بغي، ما أعلم معناه، الحقيقة الشيخ بكر أبو زيد، لا تقرأ كتبه إلا وأنت كالقاموس.

۞ ۞ ۞

ولا بقول بشر الحافي - رحمه الله تعالى-: لما قيل له: تعلم النحو، قال: أضل، قال: قل ضرب زيدٌ عمرًا. قال بشر: يا أخي ! لم ضربه؟ قال: يا أبا نصر ! ما ضربه، وإنما هذا أصل

---

(١) الجامع ٢/ ٢٥.

(٢) الجامع ٢/ ٢٨، ٢٩.

(٣) الجامع ٢/ ٢٨.

(٤) الجامع ٢/ ٢٨.

(٥) لبعض العلماء تعقيب على ما أنشده المبرد من أن أجل العلوم: علم التوحيد، لكن الجلالة هنا نسبية إلى: علوم الآلة. والله أعلم.

وضع، فقال بشر: هذا أوله كذب، لا حاجة لي فيه. رواهما الخطيب في «اقتضاء العلم العمل».

الشرح

هذا الظاهر أنه عزل عن النحو، وجاء من غير الطريق.

نعم هذا أيضًا الحادي والستون، احذر اللحن، واللحن معناه الميل سواء في قواعد التصريف أو في قواعد الإعراب، قواعد الإعراب: يمكن القيام بها فيعرف الإنسان القواعد ويطبق لفظه أو كتابته عليه، قواعد التصريف: هي المشكلة أحيانًا يأتي ميزان الصرف على غير قياس، يأتي سماعيًا بحتًا، وحينئذٍ لا يخلو الإنسان من الغلط فيه، إذا عندك جموع تكسير، تحتاج إلى ضبط، عندك أبيات المصادر، تحتاج إلى ضبط، ومع هذا لو ضبطتها، سوف تجد شاذًا كثيرًا عنها، لكن نقول: سددوا وقاربوا، المهم أن تحرص على أن لا يكون في كلامك لحن في الإعراب، ولا في الصرف، وكذلك في كتابتك، وأنا من اللذين يكرهون أن يسمعوا كلامًا ملحونًا، يكاد يكون كالصاعقة عندي لاسيما إذا كان لحنًا لا مبرر له إطلاقًا، أما اللحن الذي له وجه، فالإنسان يتصبر، ويقول: ما دام فيه وجه، ولو ضعيف فيدرأ، لكن لو قال إنسان: قام الرجلان فأكرمت الرجلان، ومررت بالرجلان، ماذا يقول في هذا؟ هذا لحن، لكن ما دام فيه لغة، بلزوم الألف المثناة تَهون عند الإنسان لكن أحيانًا لا مبرر إطلاقًا.

المهم عليك أن تعدل لسانك، وأن تعدل بنانك، وأن لا تكتب إلا بعربية، أو لا تنطق إلا بعربية؛ فإن عدم اللحن جلالة وصفاء ذوق، ووقوف على ملامح المعاني، لسلامة المباني، كلما سلم المبنى، اتضح المعنى، عن عمر رضي الله عنه قال: «تعلموا العربية ؛ فإنها تزيد في المروءة»[1] هذا يقوله في عهده، يأمر بتعلم العربية خوفًا من أن تغير بلسان الأعاجم بعد الفتوحات ، لكن مع الأسف أننا في هذا الزمن الذي ليس لنا شخصية، وصرنا أذيالًا وأتباعًا لغيرنا، صار منا من يرى أن الذي يتكلم بالإنجليزية، أو الفرنسية هو ذو المروءة، ويفخر إذا كان يعرف الإنجليزية والفرنسية، بل إن بعضنا – نسأل الله الهداية – يعلم أولاده اللغة غير العربية، بعض الصبيان إذا قلت: مع السلامة، يقول ماذا؟ قال: «باي باي»، معناه عدل عن اللغة العربية إلى لغة أخرى، في الهاتف، إذا اتصل بإنسان، ماذا يقول؟ «ألوا»، إيش ألو هذه؟

---

(١) رواه البيهقي (٢/ ١٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١١٧).

لماذا لم تقل: السلام عليكم ؛ لأنك الآن تستأذن، فهذه الأشياء مع الأسف، لما كنا ليس لنا شخصية، ويجب أن يكون لنا الشخصية العليا ؛ لأننا- والحمد لله- أهل دين وشريعة، لكن صار بعضنا، أذيالًا.

عمر يقول: تعلموا العربية، فإنَّها تزيدكم مروءة، وبناءً على ذلك كلما كان الإنسان أعلم بالعربية، صار أكبر مروءة وأكثر، وقد ورد عن جماعة من السلف أنهم كانوا يضربون أولادهم على اللحن، هذا في السلف، اللحن قليل أم كثير في ذلك الوقت؟ قليل لا شك، ومع ذلك كانوا يضربونَهم عليه، عندنا الآن لا أحد يضرب على اللحن لأولاده، ولا تلاميذه، ولا غيره، على الأقل بالنسبة للتلاميذ، إذا أخطأ إنسان في العربية فرد عليه حتى لا يكون أخطأ وظن أن سكوتك يدل على صحة ما نطق به، وأسند الخطيب عن الرحبى قال: «سمعت بعض أصحابنا يقول: إذا كتب لحان - يعني: كتب حديثًا أو مقالة-.

كتب حديثًا: الكلام يدل على الحديث، فكتب لحان عن لحان آخر، صار الحديث بالفارسية، لأنه صار لحان من وراء لحان، فيكون الحديث، سواءً كان حديث الرسول ﷺ، أو حديث الناس، صار بالفارسية.

وأنشد المبرد:

النحو يبسط من لسان الألكن   والمــرء تكرمه إذا لم يلحن
فإذا أردت من العـلوم أجلها   فأجلها منها مقيم الألسن

هو النحو والصرف، المعنى: أن النحو يبسط من لسان الألكن أي يوسع، حتى يتكلم باللغة العربية الفصحى، يقول: "والمرء تكرمه إذا لم يلحن، هذا المنطوق، والمفهوم إذا لحن لا تكرمه.

فإذا أردت من العلوم أجلها   فأجلها منها مقيم الألسن

وعليه فلا تحفل بقول القاسم بن مخيمرة - رحمه الله -: تعلم النحو النحو أوله شغل، وآخره بغي. ما أدري ما معنى هذه الكلمة، لكن المعنى أن النحو يحتاج إلى تعلم، ويحتاج إلى دراسة، وإلى تمرن وممارسة، لكنه كما قيل: أبوابه من حديد، وداخله من قصب، يعني أنك إذا عرفت القواعد، سهل عليك الباقي.

ثم اعلم أن الله سبحانه وتعالى قد يهب للإنسان غريزة، بحيث إذا نطق لم يلحن، وإذا كتب لم يلحن، مع أنه في علم النحو ضعيف، وبالعكس، يوجد بعض الناس، يكون قويًا في علم النحو، لكنه عند التعبير أو الكتابة تجد عليه لحنًا كثيرًا.

طيب، ولا بقول بشر الحافي - رحمه الله -، لما قيل له: تعلم النحو، قال: أضل - أي إذا تعلمته أكون ضالًا، قال: قل ضرب زيدٌ عمرًا، قال بشر: يا أخي لم ضربه؟ كيف يضربه؟ فقال: يا أبا نصر ما ضربه، وإنما هذا أصل وضع، فقال بشر: هذا أوله كذب، لا حاجة لي فيه، لكن هؤلاء العلماء الذين كتبوا هذه الأمثلة، هل أرادوا الضرب حقيقة؟ لا، أرادوا المثال، لكن كوننا لا نُمثل إلا بضرب زيد عمرو وما أشبه ذلك ، ينبغي أن نعدل عنه، إلا عند الضرورة إذا حصل أن نمثل بكلمات مفيدة، كقول ابن مالك - رحمه الله -: «الله بر والأيادي شاهدة».

الله بر، هذا كلام مفيد، وكصاحب القطر ابن هشام، كان لا يمثل إلا من القرآن، إلا عند الضرورة، فهذا خير، المهم أنك لا تغتر بما قال بشر، بل كابد واجتهد، وأفرغ ذهنك، ووقتك حتى تتكلم النحو.

س: بعض الناس يقرأ عند إنسان عامي يرد عليه العامي غلط وما يعرف؟

ش: القرآن أم غير القرآن.

القرآن، القرآن معروف، بعض العوام يجيد القراءة أكثر من بعض طلبة العلم.

س: طيب يا شيخ يرد عليه، وهو قاصر عن علوم العربية؟

ش: مثل ماذا؟

س: أقول يرد على القارئ وهو عامي لا يعرف العربية؟

ش: لا العامي يعرف القرآن؛ لأنه مشكل عنده، وقد حفظه على هذا الوجه، فإذا أخطأ فيه أحد رد عليه.

س: إذا تلا القرآن ولا يعرف القراءة.

يمكن بالمعنى بالفطرة، كما يذكر أن رجلًا كان يقرأ قول الله تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللهِ.. وَاللَّـهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، فقال الأعرابي: اقرأها،

فأعادها على هذا الوجه: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فقال: اقرأها، فأعادها، وقال: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة: ٣٨]؛ فقال: هكذا، الصواب، عز وحكم فقطع، ولو غفر ورحم ما قطع، فعرف هذا بفطرته هذا حقيقة؛ ولهذا قال تعالى في قطاع الطريق: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٣٤] أخذ العلماء من هذا أن قاطع الطريق، إذا تاب قبل القدرة عليه سقط عنه الحد.

س: **يا شيخ ما رأيكم في قراءة بعض الناس، الثاء سينًا، والذال زايًا؟**

ج: الظاهر إذا كانوا لا يستطيعون غير هذا فلا بأس، أما إذا كان حتى في القرآن ماذا يصنعون، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وكثير من الناس تقول: ذالك، بدل: ذلك، لكن يقال: يجب عليه خاصة في القرآن أن يقرءوا بما ينطق به العرب.

س: **لو قرأ بذلك في الصلاة؟**

ج: تصح صلاته؛ لأنه أراد اسم إشارة، لكن نقول في الفاتحة ما تصح؛ لأنه أبدل حرف بدل حرف.

س: **وماذا يفعل إذا كان لا يعرف؟**

ش: ماذا؟ الذي لا يعرف يُعلم.

س: **اللحن في القراءة ربما يكون اللحن في القواعد، يعني إنسان يقرأ ثم يلحن ويصحح، يعني كأنه لا يعرف الكلام.**

ج: وبعض الناس، كما أشار الطالب، ما يقدر ينطق بها على الوجه السليم.

س: **فكيف الوسيلة للتصحيح.**

ج: هذا نقول: ما دام ما يقدر، يعمل بما يقدر عليه ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٨].

❁ ❁ ❁

٦٢- الإجهاض الفكري:

احذر «الإجهاض الفكري»؛ بإخراج الفكرة قبل نضوجها.

الشرح

هذا بمعنى ما سبق أنك لا تتعجل، من حين ما يتبين لك الشيء تخرجه، لاسيما إذا كان هذا الشيء الذي أنت تريد أن تخرجه مخالفًا لقول أكثر العلماء، أو مخالفًا لما تقتضيه الأدلة الأخرى الصحيحة ؛ لأن بعض الناس يمشي مع بُنَيَّات الطريق، فتجده إذا مر بحديث، ولو كان ضعيفًا شاذًا، أخذ به، ثم قام يتكلم به في الناس، فيظن الناس بهذا أنه أدرك من العلم ما لم يدركه غيره، فنقول: الذي بينك وبين الله إذا رأيت حديثًا يدل على حكم تعارضه الأحاديث الصحيحة التي هي عماد الأمة، والتي تتلقاها الأمة بالقبول فلا تتعجل، وكذلك إذا رأيته يدل على حكم مخالف قول الجمهور فلا تتعجل، لكن إذا تبين لك الحق، فلابد من القول به، هذا سماه الشيخ بكر «الإجهاض الفكري» يعني كأن امرأة وضعت حملها قبل أن يتم.

❁ ❁ ❁

٦٣ - الإسرائيليات الجديدة[١]:

احذ الإسرائيليات الجديدة في نفثات المستشرقين، من يهود ونصارى؛ فهي أشد نكاية، وأعظم خطرًا من الإسرائيليات القديمة؛ فإن هذه قد وضح أمرها، ببيان النبي ﷺ الموقف منها، ونشر العلماء القول فيها، أما الجديدة المتسربة إلى الفكر الإسلامي في أعقاب الثورة الحضارية، واتصال العالم بعضه ببعض، وكبح المد الإسلامي، فهي شر محض، وبلاء متدفق، وقد أخذت بعض المسلمين عنها سِنَة، وخفض الجناح لها آخرون، فاحذر أن تقع فيه، وقى الله المسلمين شرها.

الشرح

يريد بهذا الأفكار الدخيلة التي دخلت على المسلمين بواسطة اليهود والنصارى فهي ليست إسرائيليات إخبارية، بل إسرائيليات فكرية، دخل على كثير من الكتاب الأدبيين وغير الأدبيين، أفكار دخيلة في الواقع، منها ما يتعلق بالمعاملات، ومنها ما يتعلق بالعبادات، ومنها ما يتعلق بالأنكحة، حتى أن بعض الكتاب ينكر تعدد النساء الذي ذهب

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها لعلال الفاسي ص/ ب.

كثير من العلماء إلى أن التعدد أفضل من الإفراد، وهو ينكر التعدد ويقول: هذا في زمن ولى وراح، ولم يدر أن التعدد في هذا الزمن أشد إلحاحًا منه فيما سبق ؛ لكثرة النساء، وكثرة الفتن، واحتياج النساء إلى من يحصن فروجهن، كذلك أيضًا من بعض الأفكار ما يتعلق بحال النبي ﷺ وتعدد الزوجات في حقه، ومن الأفكار أيضًا ما يتعلق بالخلافة والإمامة ، كيف كان أبو بكر يبايع له بدون أن يستشار له الناس كلهم حتى العجوز والطفل وما أشبه ذلك المهم أن هناك أفكارًا جديدة واردة، اشتبهت على بعض الكتاب المسلمين، فيجب على الإنسان الحذر منها، وأن يرجع إلى الأصول في هذه الأمور فإنَّها خير.

❁ ❁ ❁

٦٤- احذر الجدل البيزنطي[(١)]:

أي الجدل العقيم، أو الضئيل، فقد كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة، والعدو على أبواب بلدتِهم حتى داهمهم.

وهكذا الجدل الضئيل يصد عن السبيل.

وهدي السلف: الكف عن كثرة الخصام والجدال، وأن التوسع فيه من قلة الورع ؛ كما قال الحسن إذ سمع قومًا يتجادلون: هؤلاء مَلُّوا العبادة، وخَفَّ عليهم القول، وقَلَّ وَرَعُهم، فتكلموا. رواه أحمد في «الزهد»، وأبو نعيم في «الحلية»[(٢)].

الشرح

هذا أيضًا من المهم، الجدال البيزنطي، وهو الجدال العقيم، أو الضئيل، فقد كان البيزنطيون يتحاورون في جنس الملائكة، والعدو على أبواب مدينتهم حتى داهمهم، الجدل العقيم، الذي لا فائدة منه، أو الجدل الذي يؤدي إلى التنطع في المسائل والتعمق، فيها بدون أن يكلفنا الله ذلك، دع هذا الجدل، اتركه ؛ لأنه لا يزيدك إلا قسوة في القلب، وكراهة للحق، إذا كان مع خصمك، وغلبك فيه؛ فلهذا دع هذا النوع من الجدل.

أما الجدل الحقيقي الذي يقصد به الوصول إلى الحق، ويكون جدلًا مبنيًا على السماحة،

---

(١) معجم التراكيب ص/ ٢٨٠.

(٢) رواه أحمد في الزهد (١/ ٢٧٢)، والورع لابن أبي الدنيا (١/ ١٢٢)، وحلية الأولياء (٢/ ١٥٧).

وعدم التنطع فاعلم أنه مأمور به، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وذكر المؤلف - وفقه الله - مثالًا للجدل العظيم، جنس الملائكة ما هم؟ تجادل هؤلاء المتكلمون، يتجادلون... جنسهم من كذا، وجنسهم من كذا، ونحن نعلم أنَّهم خلقوا من نور، وأنَّهم أجسام، وأنَّهم لهم أجنحة، وأنَّهم يصعدون وينْزلون، إلى آخر ما ذكر الله تعالى في الكتاب، أو ذكره النبي ﷺ في السنة من أوصافهم، ولا نتعد في أمور الغيب غير ما بلغنا ولا نبحث كيف؟ ولم؟ لأن هذا أمر فوق العقول، وأيضًا سمعنا قصة ثانية مماثلة، كان العدو على أبواب المدينة، وكان الناس يتجادلون، أيهما خلق أولًا الدجاجة أم البيضة؟

قولوا لي: أيهما أول؟ الدجاجة الأولى، ومن أين تأتي الدجاجة؟ لا تأتي الدجاجة إلا من البيضة، ومن أين تأتي البيضة؟ إذًا حلقة مفرغة ما فيها فائدة، فمثل هذا الجدل يجب على الإنسان أن يترفع عنه ؛ لأن الجدل كما أسلفنا يوجب قسوة القلوب، والتباغض، وكراهة الحق، إذا كان مع خصمك، وإضاعة الوقت بلا فائدة، وشحن النفوس ؛ لأن الإنسان عندما يجادل، لا شك أنه يشحن نفسه؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، لأن الجدال سوف يصدك عما هو أهم ؛ ولذلك تجدك إذا جادلت أحدًا، وانتهى الجدال، ثم خلوت بنفسك، قلت: لو قلت كذا لغلبته، ولو قلت كذا لغلبته، وما أشبه ذلك.

إذًا فالجدال العقيم لا خير فيه، أما الذي لابد منه، ويكون بأسلوب هادئ، فجيد، ومن ذلك أيضًا ما ابتلي به أهل الكلام فيما يتعلق بالعقيدة، وصاروا يتنطعون، ويقولون مثلًا: الكلام - كلام الله- هل هو صفة فعلية، أو ذاتية، وهو حادث أو قديم، وما أشبه ذلك من الكلام.

وهل نزوله إلى السماء الدنيا حقيقة أو مجاز، وهل أصابعه حقيقة أو مجاز، وكم أصابعه، وما أشبه ذلك، والله إن هذا الحديث يا إخوان إنه يقسي القلب، وتنتزع الهيبة، هيبة الله ﷻ وتعظيمه وإجلاله من القلب، إذا كان الإنسان يريد أن يتكلم عن صفات الله كأنما يشرح جثة ميت، سبحان الله، الإنسان قبل أن يدخل في هذا الأمر تجده إذا ذكر الله اقشعر جلده من هيبة الله وعظمته، لكن إذا جعل يفصل في هذه الأمور قسي قلبه، وزالت هيبة الله من قلبه وعظمته، وصار الرب عز وجل كأنه جسد يجزَّأ والعياذ بالله، فإياك إياك، احذر هذا، فإنه

مجرب، إن الإنسان إذا دخل في هذه المعمعة قسا قلبه، ولم يخشع لعظمة الله وجلاله، العجائز الآن عندها في قلوبها ما هو أعظم من مثل هؤلاء الذين يتكلمون في هذه الأمور.

الرب عز وجل يتكلم وكفى، كلامه حق، ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، إما صفة فعلية، أو آحادية، أو محدثة، أو غير محدث، هذا أحدثه أهل الكلام، وأضلوا به الناس، وشغلوهم، وعلم الكلام، كلام فاضي، هل الصحابة لما أخبرهم الرسول ﷺ، بأن الله تعالى إذا تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة... إلخ، هل قالوا: يا رسول الله كلام الله آحاده مخلوقة؟ هل هو حادث؟ أبدًا. إنما صار في قلوبهم هيبة لكلام الله ﷻ حيث إن السموات ترتجف منه على عظمتها، ولما أخبر الرسول أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: «من يدعوني فأستجيب له»[1] علموا أن الله يقرب من عباده كيف شاء تشجيعًا لهم على دعائه، واستغفاره، وسؤاله، أما كيف ينْزل؟ وإذا مضى ثلث الليل هنا، وفي بلد آخر، ما في ثلث ليل؟ وما أشبه ذلك، كل هذا عقيم، البحث فيه عقيم، كن كما كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يسألون عن مثل هذه الأمور؛ لأنهم إذا سألوا ونقبوا، وبحثوا، فإن الضريبة هي قسوة القلب، مؤكد، لكن إذا بقي الرب عز وجل محل الإجلال والتعظيم في قلبك، وعدم البحث في هذه الأمور، صار هذا أجل وأعظم، فاستمسك به، فهذا - إن شاء الله- هو الحق، نعم إذا ابتليت بشخص يريد أن يلجئك إلى الكلام في هذا، فلابد أن تتكلم؛ لئلا تدع المجال له، يهيج ويموج، مع أنه هناك قنبلة تصده عما قال، أن تقول له: هل أنت أفضل من الصحابة، أو لا؟ لن يقول: أنا أفضل، قل له: هل الصحابة بحثوا عن هذا مع رسولهم ﷺ، وهم أحرص منك على العلم، وعندهم من يجيبهم على ما سألوا وهو الرسول ﷺ، يجيبهم بأصوب الجواب وأصحه، كيف تسأل الآن من لا يستطيع أن يجيبك بالصواب، من يجيبك إن أجابك بخطأ، أو صواب، كيف تسأل الآن عندنا مانع يمنع من إصابة الصواب وهو أن الإنسان المجيب قد يخطئ وقد يصيب، وعندنا أيضًا الداعي، ما الداعي إلى هذا الكلام؟ أحب الله؟ أو تعظيم الله؟ أبدًا، بل هذا مما يقلل عظمة الرب ﷻ، إذا تكلمت بهذا الكلام، قل: آمنا وصدقنا واجعل عظمة الرب عز وجل، وهيبته أكبر من شيء، ودع التفاصيل في هذا واسلك مسلك من سبقك. قد يقول قائل: إن علماء السنة، ألفوا في هذا

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١١٤٥، ٦٣٢١، ٧٤٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

المؤلفات، نقول: نعم ؛ لأنَّهم ابتلوا بمن يقول، وإذا ابتلوا بهذا ماذا يصنعون؟ يتركون المجال لهؤلاء المبطلون يتكلمون كما شاءوا ويتركون ما جاءت به السنة، لا.. ما يصير، لابد أن يتكلموا، لكن اجعل قلبك مملوء بهيبة الله -عز وجل-، وعظمته، وأنه أجل من أن تأخذ صفة من صفاته، وتمزقها، فهذا ما ننصحكم به وننصح أنفسنا ونسأل الله أن يعيننا، ونحن رأينا أن الخوض في هذا التعمق ضرره أكثر من نفعه بكثير، فهذا يشبه ما قاله الشيخ في عدم الجدال، وأن نترك الجدال العقيم الذي لا فائدة منه.

س: يا شيخ الله يعلم ما فيه الإنسان، ويعلم مصنوعاته في كل لحظة، ويعلم من أنه في كل مكان، وسمع كلامهم، ويكتب أعمالهم، كيف يتصورون الكلام هذا الذي يوردونه على رب العزة والجلال ويصورونه التصوير هذا؟

ج: والله.. هذا ابتلاء؛ ولهذا كثير من علماء الكلام الذين بلغوا غاية الكلام، كلهم رجعوا ، وقالوا: نموت على دين العجائز.. ؛ ولهذا قال بعض السلف: أكثر الناس شكًا عند الموت أهل الكلام، أعاذنا الله وإياكم من ذلك، والشك عند الموت معناه ينتقل الإنسان وهو غير مؤمن، فدع هذه الأمور، أرح نفسك، وقل: شيء لم يسبقنا إليه من هو أحق منا بالبحث منه، يجب أن ندعه.

س: أحسن الله إليك يا شيخ، هل من كلمة لما نجده بين الإخوة، الإخوة أصحاب الدعوة الواحدة من هذا الجدل العقيم، الذي فرقهم ، وصنفهم إلى جماعات؟

ج: على كل حال نحن أهم شيء عندنا فيما يتعلق بالتوحيد، إياكم أن تدخلوا في هذه المسائل؛ التنطع، وأنتم الآن لو كنتم تسألون عن شخص من الناس، وتبحثون عنه بحث دقيق، وعميق، لكان أهون، لكن تبحثون في شيء لا يمكنكم إدراكه، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، العقول كذلك دعوا هذا؛ لأن في ظني أنه سيئول بكم الأمر إلى أحد أمرين لا ثالث لهما، إما إلى التمثيل، وإما إلى التعطيل، ولابد، إما إلى التمثيل ويتصورون أن الله مثل أي جسد كان، وإما إلى التعطيل فهو إذا أدى بنا هذا إلى أن نمثل الله، خلاص اتركوه، وكل شيء ورد في الصفات، فهو مجاز..، لكن إذا بقيتم، قال عن نفسه كذا فنحن نقول كما قال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّـهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾[النساء: ١٦٤] ، نبحث إيش الكلام هذا حادث أم غير حادث؟ هو الكلام النفسي أم الكلام اللفظي، وما أشبه ذلك، اسمعوا إلى ما جاء عن

الإمام أحمد قال: من قال لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع، وهذا يعني لا تتكلموا في هذا؛ لأنك لا تخرج عن مفسدة، إما جهمي، وإما مبتدع، وإن كان في هذا تفصيل، لما ابتلي المسلمون بهذا، قالوا: من قال: لفظه بالقرآن مخلوق يريد القرآن، يعني: يريد المتلفظ به فهو جهمي، ومن أراد لفظي بالقرآن أي تلفظي بالقرآن مخلوق فهذا صحيح، لأن الإنسان بحركاته وسكناته وصوته وجهره وسره مخلوق لله ﷻ، لكن مع ذلك ما لنا وللبحث في هذا، أنا أقول القرآن كلام الله غير مخلوق، وأقول أنا وصفاتي، ونطقي وحركاتي كلها مخلوقة، وانتهينا.

س: بارك الله فيكم يا شيخ في بعض الكتب لطالب العلم المبتدئ تتعرض لبعض مباحث، التدمرية تتعرض تمثل هذه المسائل؟

ج: والله هذه أنا أقول: شيخ الإسلام وغيره من العلماء إنما ألجئوا إلى هذا إلجاء، لكن انظر إلى الصحابة، أليست الأحاديث التي منها الخوض الآن، أليست الآيات والأحاديث التي منها الخوض، أليست قد مضت على الصحابة؟ هل ناقشوها كما ناقشها هؤلاء؟ أبدًا، لكن الجئوا، ماذا يصنعون إذا قال أئمة الناس بالحق أو بالباطل، الحكم كذا وكذا لابد أن يتكلموا.

س: شيخ إذا لم يوجد القائل الذي كان يورد على شيخ الإسلام؟

ج: نعم.. أنا أرى هو هذا، أنا أرى أن الإنسان يقرأ القرآن والحديث، ولا يتجاوز القرآن والحديث ولا يورد الشبه، اللهم إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك، لكن كما قلت قبل قليل، قلت: إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وخاصمك أحد أو جادلك، فأعطه قنبلة تسكته، وهي: سبقك الصحابة ﷺ، ما سألوا الرسول ﷺ، والرسول ﷺ يجيبهم بالصواب، ليس كمثلي أخطئ، وأصيب، وهم أحرص منا وأشد منا حبًّا لله ولرسوله، ما كانوا يناقشون الرسول في هذه الأشياء، بل كانوا يأخذونها على التسليم والتصديق، وينتهون، الآن مثلًا عذاب القبر، عذاب القبر ثبت عن الرسول ﷺ أن الملكين يجلسان الرجل ويسألانه يأتي رجل ويقول كيف يجلسانه واللبن على رأسه، كيف يجلس، هل قال الصحابة هكذا للرسول، وهم يعرفون أن الرجل يوضع عليه اللبن إذا مات، ما قالوا هذا للرسول، فأنت لا تبحث في هذا، إذا كنت تريد السلامة، وبقاء هيبة الله ﷻ في نفسك، وبقاء إجلاله

وتعظيمه، فدع هذه الأشياء.

س: جزاك الله خيرًا في البلاد الإسلامية، بعضها إن لم نقل كلها، فيما يتعلق بصفات الله حتى الطلاب المبتدئين، في التفسير، يجعلون مثلًا سورة الملك، وكذا، فيلحظ أنَّهم ينحون منحى الأشاعرة، في هذه الأمور، ويضطر الإنسان أن يتعلم؟

ج: الواجب بارك الله فيك، الواجب، على من يقرر الكتب، ويضع المنهاج أن يتحاشى هذه الأمور، هذا هو الواجب، فإذا ابتلينا، ووضع أمامنا، فلابد أن نقول: تعال يا طالب، قال الله تعالى: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤] فإذا تفهم من هذا الإنسان بمجرد إذا كان عربيًّا، يعرف المعنى، سيرد على قلب الإنسان المبتدئ، سيرد على قلبه مسألة واحدة خطيرة، التمثيل، فنقول اعلم أن يد الله عز وجل، ليست مثل أيدي المخلوقين ؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ثم يقول له شيء محسوس الآن، أنت لك يد، والجمل له يد، هل يدك مثله، هذا شيء محسوس يقتنع على طول، يقول: لا، وإذا كانت يدك لا تماثل يد الجمل، فالرب عز وجل أعظم وأعظم، ويبين له بطريق محسوس واضح، لكن الذي يؤلمني كثيرًا هو هذا البحث الذي ابتلي به من صار يدرس الآن في العقيدة بهذا التنطع والتنقيب، والشيء الذي ينـزع هيبة الرب عز وجل من قلبه.

س: لكن حفظك الله يا شيخ هذا ينتقل به من صف الطلاب إلى العوام مثلًا، ففيهم يفهمون هذا؟

ج: الآن إذا قلت: أن يد الله مبسوطة ينفق كيف يشاء، وفضله لا ينفذ، وعطاءه لا منتهى له، عند العامي ما يحصل، هل فيه تعظيم أم لا... ؟ يحصل تعظيم، ولكن إذا قلت: وليس المراد باليد النعمة خلافًا، لمن قال ذلك واستدل بقول المتنبي: وكم في ظلام الليل عند من يد، وما أشبه ذلك.

ماذا يقول العوام عند هذا؟

س: شيخ لو خرجنا خارج هذه البلاد، نجد العقائد التي تدرس إما النسفية، أو الجوهرية يا شيخ... إلا من رحم الله.

ج: طيب وهل هذا حق، والله ليس بحق، الكلام على أن الإنسان بنفسه، لا يدخل في هذه المتاهة فيضيع ويضل، أنا في ظني أن عجوزًا تصلي في خبائها، أو في قعر بيتها، عندها من

تعظيم الله أشد ممن يبحثون هذا البحث، وهذا مشاهد، مجرب نسمع لعوامنا، إذا جاءه ذكر الله عز وجل تجده يتأثر، يقشعر جلده، لكن إذا جاءك الذي يقول: كم أصابعه، وكيف ينْزل هل السماء ترتفع عن العرش، أم العرش ينْزل إليها، نسأل الله العافية، أو إذا جاء ثلث الليل وفي بلد آخر الآن صباح كيف هذا؟

أعوذ بالله، اترك هذا الكلام هذا، آمن بأنك الآن في ثلث الليل، الله عز وجل، بالنسبة لهذا المنطقة يعتبر نازلًا ؛ لقول الرسول ﷺ ، وحرك قلبك إلى الله؛ لأن نزول الله إلى السماء الدنيا ؛ ليقرب من عباده -جل وعلا- وهم لا يخفون عليه، هو قريب منهم حتى في غير ثلث الليل لكن هذا زيادة للحث، والتشجيع على اغتنام الفرصة في هذا الوقت.

س: ب: **الضابط بين الجدال العقيم، والجدال المطلوب، لو أتى الأشاعرة والرافضة لجدالنا، فهل هذا مطلوب أو عقيم؟**

ج: لا.. لا هذا مطلوب، الأشاعرة والرافضة، لابد أن نلقمهم حجرًا، نلقمهم أحجارًا لا تفتت بالريق، عرفت، لابد نجادلهم؛ ولهذا قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن، قال: «**إنك تأتي قومًا أهل الكتاب**»[1] ، لكن قصدنا في بلاد ليس فيها هؤلاء الطوائف، ما له داعي، يعني: بعض الطلبة الآن يشغل نفسه بمثل هذه الأمور، وأستغفر الله وأتوب إليه.

❁ ❁ ❁

٦٥- لا طائفية، ولا حزبية يعقد الولاء والبراء عليها[2]:

أهل الإسلام ليس لَهم سمة سوى الإسلام والسلام، فيا طالب العلم بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم، واطلب العمل، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف.

ولا تكن خراجًا، ولاجًا في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كلُّه لك جادةً، ومنهجًا، والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية، ولا حزبية في الإسلام.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٥٨، ٧٣٧٢)، ومسلم (١٩).

(٢) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣/ ٣٤١- ٣٤٤، ٤١٥- ٤١٦، ٤١٩ فهو مهم، ٤/ ٤٦- ١٥٤ مهم أيضًا، ١١/ ٥١٢، ٥١٤، ٥١٥، ٣/ ٣٤٢، ٤١٦- ٤٢١ فهرسها ٣٦/ ١٧٩- ١٨٠، ٣٧/ ٢٨.

وأعيذك بالله أن تتصدع، فتكون نَهابًا بين الفرق، والطوائف، والمذاهب الباطلة، والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها.

فكن طالب علم على الجادة، تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله على بصيرة، عارفًا لأهل الفضل فضلهم وسابقتهم.

وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر -رحمك الله- أحزابًا وطوائف طاف طائفها، ونَجَمَ بالشرِّ ناجمها، فما هي إلا كالميازيب، تجمع الماء كدرًا، وتفرقه هدرًا ؛ إلا من رحمه ربك، فصار على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ.

الشرح

هذا الفصل فصل مهم، وهو تخلي طالب العلم عن الطائفية، والحزبية، بحيث يعقد الولاء والبراء على طائفة معينة، أو على حزب معين، فإن هذا لا شك آثم، فإن هذا لا شك خلاف منهج السلف، السلف الصالح ليس عندهم حزب، كلهم حزب واحد، كلهم ينطوون تحت قول الله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، فلا حزبية، ولا تعدد، ولا موالاة، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فمن الناس مثلًا من يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجها، ويستدل عليه بالأدلة، التي قد تكون دليلًا عليه، وقد تكون دليلًا له، ويحامي دونها، ويضلل من سواها، حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منها يضلل، ويأخذ بمبدأ «من ليس معي فهو علي»، وهذا مبدأ خبيث، أي أن بعض الناس يقول: إذا لم تكن معي، فأنت علي، من قال هذا؟

هناك وسط بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك بالحق، فليكن عليك، وهو في الحقيقة معك، لأن النبي ﷺ قال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[1] ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبيه في الإسلام، ولذلك لما ظهرت الأحزاب في المسلمين، تنوعت الطرق،

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢).

وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضًا، ويأكل لحم أخيه ميتًا، فالواجب عدم ذلك، الآن مثلًا يكون بعض الناس طالب علم عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق وبالباطل، ويعادي من سواه ويضلله ويبدعه، ويرى أنه أي شيخه هو العالم المصلح ومن سواه إما جاهل وإما محسن وهذا غلط كبير، خذ الحق من أي إنسان وإذا استروحت نفسك إلى شخص من الناس فالزم مجلسه، لكن لا يعني ذلك أن تكون معه على الحق والباطل، وأن تضلل من سواه أو تزدريه أو ما أشبه ذلك، فإن هذا غلط.

يقول الشيخ: **أهل الإسلام ليس لهم سمة سوى الإسلام والسلام.**

صحيح : ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْـمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨]، كلنا مسلمون، فهذه سمة المسلم، وعلامته أن يكون مسلمًا لله، مستسلمًا له، قائمًا بأمره، وتابعًا لرسوله ﷺ ، هذا هو سمة المسلم.

فيا طالب العلم، بارك الله فيك وفي علمك، اطلب العلم، واطلب العمل، لا تكن مثل بعض الناس، ليس له إلا كتب مجموعة، يحفظ كثيرًا، ويفهم كثيرًا، لكنه يعمل قليلًا، فهذا لا ينتج، كن طالبًا للعلم، عاملًا به، داعيًا إلى الحق، ثلاثة أشياء: صدق الطلب، والثاني: العمل، والثالث: الدعوة، لابد من هذا، أما مجرد أن تحشو العلوم، ولكن لا ينتفع الناس بعلمك، فهذا نقص كبير، وادع إلى الله تعالى على طريقة السلف، وما هي طريقة السلف في الدعوة إلى الله؟ هي التي أرشدهم الله إليها في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْـمَوْعِظَةِ الْـحَسَنَةِ وَجَادِلْـهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] لين في موضع اللين، وشدة في موضع الشدة.

س: **لا طائفية، ولا حزبية، يعقد الولاء والبراء عليها، وتكلمنا على أن الأمة الإسلامية يجب أن تكون أمة واحدة وإن اختلفت آراؤها، واختلف علمها، فإنه يجب أن لا تختلف القلوب، وبينا أن الحزبية يعني تفريق الأمة وتمزيقها ؛ ولذلك لما تحزبت الأمة اشتغلت بقتل بعضها بعضًا، وصاروا يقاتلون المسلمين، ولا يقاتلون الكفار منذ زمن بعيد، وقد أورد بعض الإخوة إشكالًا وقال: هل هذا يعني أننا ندع التحزب حتى ضد الكفار؟**

والجواب: لا الكفار ليسوا من حزبنا، الكفار حزب الشيطان ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْـخَاسِرُونَ﴾، والمؤمنون حزب الله فلابد من أن نتحزب أمام

الكفار، وأن يكون لنا حزب قائم وهو ماذا؟ حزب الإسلام، ولابد من هذا وإلا لاندمج الكفار مع المسلمين، وصار لا فرق بين مسلم وكافر، ولا فضل لمسلم على كافر، وهذا خطير جدًا؛ ولهذا يجب أن نشعر أننا في جانب، والكفار في جانب آخر، وأن الكفار أعداؤنا مهما طال الزمن، وأنهم لا يريدون إلا كبت الإسلام، وإذلال المسلمين، وهذا معلوم بتتبع التاريخ، منذ بزغ نجم الإسلام وأعدائه يكيدون له المكائد العظيمة، وإلى يومنا هذا، وما قصة الحروب التي تسمعون بها في البلاد الإسلامية النائية، إلا أكبر شاهد على ذلك.

* ثم ذكر قال: «لا تكن خراجًا ولاجًا في الجماعات، فتخرج من السعة إلى القوالب الضيقة، فالإسلام كله لك جادة ومنهجًا»، يعني حال كونه جادة ومنهجًا، يعني أقول: إن بعض الناس يكون ولاجًا خراجًا، بينما تجده منظمًا إلى قوم أو فئة اليوم تجده ماذا؟ خارجًا منها، ووالجًا في جهة أخرى، وهذا مضيعة للوقت، ودليل على أن الإنسان ليس له قاعدة يبني عليها حياته، ومثل ذلك، أيضًا في طلب العلم، لا تكن ولاجًا خراجًا، تطالع مرة في كتب الفقه، مرة في كتب الحديث، مرة في النحو دون سبب، فإن بعض الناس إذا طالع قليلًا في فن من الفنون مل، ثم ذهب يطالع شيئًا آخر، فتتقطع أوقاته، ولا يستفيد من عمره شيئًا.

* يقول: «والمسلمون جميعهم هم الجماعة، وإن يد الله مع الجماعة، فلا طائفية، ولا حزبية في الإسلام»، بل يجب أن تكون أمة واحدة، وإن اختلفنا في الرأي، أما أن نكون أحزابًا.. هذا إخواني، يعني من الإخوان المسلمين، وهذا تبليغي، وهذا سلفي، وهذا ماذا؟.. على كل حال، لا يجوز هذا إطلاقًا، فالواجب أن كل هذه الأسماء تزول، ونكون أمة واحدة، وحزبًا واحدًا على أعدائنا.

* قال: «وأعيذك بالله أن تتصدع فتكون نهابًا بين الفرق والطوائف، والمذاهب الباطلة، والأحزاب الغالية، تعقد سلطان الولاء والبراء عليها»، كذلك أيضًا هذه طريق سيئة أن يكون الإنسان نهابًا بين الفرق والطوائف، يأخذ من هذا ومن هذا، ومن هذا، ثم لا يستقر على رأي، فإن ذلك آفة عظيمة، والواجب على الإنسان أن يكون مختارًا، لما هو أنسب في العلم والدين ويستمر عليه، وقد روي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «من

بورك له في شيء فليلزمه»[1]، وهذه في الحقيقة قاعدة لمنهاج المسلم ينبغي أن يسير عليها ، من بورك له في شيء فليلزمه، وليستمر عليه حتى لا تنقطع أوقاته، يومًا هنا، ويومًا هنا.

* يقول: «فكُن طالب علم على الجادة، تقفو الأثر، وتتبع السنن، تدعو إلى الله تعالى على بصيرة، عارفًا لأهل الفضل فضلهم، وسابقتهم»، هذه أيضًا وصية نافعة، أن الإنسان ينبغي له أن يتبع الأثر، وأن يدع الأهواء ، والأفكار الواردة على الإسلام والتي هي في الحقيقة دخيلة على الإسلام، وبعيدة من روحه.

* قال: «وإن الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدثة التي لم يعهدها السلف، من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبل الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي»، ثم نقل كلامًا لابن القيم كلامًا جيدًا حول هذا الموضوع يجب أن نكون أمة واحدة.

❁ ❁ ❁

قال ابن القيم – رحمه الله تعالى – عند علامة أهل العبودية[2]:

العلامة الثانية: قوله: و«لم ينسبوا إلى اسم»، أي: لم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلامًا لأهل الطريق.

وأيضًا ؛ فإنَّهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه، فيعرفون به دون غيره من الأعمال ؛ فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة.

الشرح

هذا هو الصحيح العبودية المطلقة أن يعبد الإنسان ربه على حسب ما تقتضيه الشريعة، مرة من المصلين، ومرة من الصائمين، ومرة من المجاهدين، ومرة من المتصدقين، حسب ما تقتضيه المصلحة؛ ولهذا تجد النبي ﷺ هكذا حاله لا تكاد تراه صائمًا إلا وجدته صائمًا، ولا مفطرًا إلا وجدته مفطرًا، ولا قائمًا إلا وجدته قائمًا، ولا نائمًا إلا وجدته نائمًا، يتبع

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (٢/ ٢٩٧- ٢٩٨، ٣١١، ٣٨٥) ولا يصح مرفوعًا، ونسبه ابن تيمية رحمه الله إلى بعض السلف.

(٢) مدارج السالكين.

المصلحة، أحيانًا يترك الأشياء التي يحبها من أجل مصلحة الناس، فإياك أن تكون قاصرًا على عبادة معينة، بحيث لا تتزحزح عنها، ولو كان غيرها أفضل منها، تجد مثل بعض العباد يلزم المساجد، ونِعم البيوت مساجد الله عز وجل، لكنه لا يحدث نفسه يومًا من الأيام أن يطلب العلم، وكذلك أيضًا طالب العلم يأخذ بالعلم، ويحرص عليه، ويذاكر ، ويبحث، ولكن لا تكاد تجده يصلي في الليل، ولا يصلي الضحى، ولا يتعبد بالتسبيح والتهليل أو التكبير، فيحصر نفسه على شيء واحد، والإنسان العابد هو الذي تنتقل به العبادة حسب ما تقتضيه المصلحة، وحسب ما يكون أخشع لله تعالى، وأذل له وأعبد له، ولهذا سماها ابن القيم - رحمه الله -: العبادة المطلقة، العبادة المقيدة.

❁ ❁ ❁

وأما العبودية المطلقة؛ فلا يعرف صاحبها باسم معين من معاني أسمائها، فإنه مجيب لداعيها، على اختلاف أنواعها، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم؛ فلا يتقيد برسم ولا إشارة، ولا اسم، ولا بزي، ولا طريق وضعي اصطلاحي، بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول، وعن طريقه؟ قال: الاتباع. وعن خرقته؟ قال: لباس التقوى، وعن مذهبه؟ قال: تحكيم السنة. وعن مقصده ومطلبه؟ قال: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. وعن رباطه وعن خانكاه؟ قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ [النور: ٣٦- ٣٧]. وعن نسبه؟ قال:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

وعن مأكله ومشربه؟ قال: ما لك ولها؟ معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر، حتى تلقى ربَّها.

الشرح

قاله النبي ﷺ في ضالة الإبل لما سئل عن التقاطها، غضب ﷺ وقال: **«مالك ولها، معها سقاؤها وحذاؤها، ترد الماء، وترعى العشب، حتى يجدها ربُّها»**[1] ابن القيم، نقلها

(١) متفق عليه رواه البخاري (٩١، ٢٣٧٢، ٢٤٣٠، ٢٤٣٨)، ومسلم (١٧٢٢).

إلى هذا المعنى الجميل، يعني: أن هؤلاء العباد الذين تفننوا في العبادة، وأخذوا من كل نوع منها بنصيب، لو سئلوا من أين يجري عليك الرزق؟ من أين يأتيك الرزق؟، يجيب بها، ما لك ولها، دعنا يرزقني الله عز وجل، لكنه -رحمه الله- أتى بلفظ الحديث **«معها حذاؤها وسقاؤها، ترد الماء، وترعى الشجر حتى تلقى ربَّها»** والحديث.. حتى يجدها ربُّها، ولكن هو يريد بهذا العابد الذي تتنوع عباداته، حسب ما يكون أرضى لله عز وجل، يقول هكذا حتى يلقى ربه ﷻ.

ط: سأل سائل، وقال في معنى سؤاله: بالنسبة للحزبية، أمر الله الناس في الحكم على الناس أن نرد كل جماعة إلى أصولها. فإذا قيل لهم مثلاً: انظروا إلى هذه الجماعة ماذا تلاحظون عليهم؟ قالوا: لا نلاحظ عليهم شيئًا، لكن كل جماعة نرجع إلى أصولهم، نرجع إلى كتبهم، وإلى أئمتهم، فنجدهم مبتدعة، فنقول هؤلاء ليسوا مثل أولئك، فكيف نرد عليهم؟

ش: نعم نرد عليهم برد سهل بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [الأنبياء: ٥٢]، والآية الثانية: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وما دام هكذا أراد الله منا فلنكن كما أراد.

ط: يا شيخ هم يقولون هؤلاء لم يكونوا كذلك؟

لا...لا يصح، ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ إلى من؟ ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فإذا عاندوا، وأبوا إلا أن يقولوا.. ﴿قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] حينئذٍ عرفنا أنَّهم مخطئون.

ط: شيخ هل نحكم على هؤلاء بغض النظر عن أولئك.

ش: ما نحكم على أحد حتى نيأس منه، فإذا يئسنا منه، وعرفنا أنه عرف الحقَ مثل الشمس، ولكنه عاند حينئذٍ نعامله بما تبين من حاله.

ط: يا شيخ من أصول التبليغ، أو أصول الإخوان يقولون: نرده، نقول: لا، لن نرد لهم شيء، يقولون: نحكم على أقوال هؤلاء، ما نرى عليهم بدع، ولا نرى عليهم تشدد، ولا شيء، فنقول: دعونا من أولئك، يعني نحكم على هؤلاء فقط.

ش: طيب هذا من أسباب التأليف، ومن أسبابه إزالة الحزبية.

ط: أحسن الله إليك يا شيخ، الآن في الحزبية الكلمات المجملة، الآن أي عمل جماعي، جمعية، أم مؤسسة، أو هيئة معينة، ترمى بالحزبية، ليس عندهم أدلة في الحقيقة، وليس عندهم بينة على ذلك، فتجد معارك ضارية في اليمن على جمعية الحكمة، وفي الكويت على جمعية إحياء التراث، وفي البحرين على جمعية التربية، وفي لبنان على جمعية الإرشاد، وهكذا معارك ضارية في كل البلاد بين أصحاب الدعوة الواحدة، هذا عملهم منظم مرتب، جمعية نفع الله بِها شتى أنحاء الأرض، فخصوم هذه الجمعية يرمونَها بالحزبية، مع العلم أنه ليس هناك بينة، وليس هناك أدلة على ذلك؟

ج: على كل حال الحزبية بينة تجد المتحزبة لا يريدون إلا أن يكون الإنسان مطابقًا لما هم عليه ١٠٠٪، حتى إذا دخل معهم أحد، وشاركهم في عمل من الأعمال، ثم رأوا أن اتجاهه على خلاف اتجاههم، نبذوه، ولماذا؟

أما مسألة الجمعيات الخيرية ؛ فهذه لا بأس بِها، ولا تعد حزبية فكرية، فلا تدخل في موضوعنا هذا، لكن موضوعنا إنسان مثلًا يتحزب تحزبًا فكريًا، بمعنى أنه لو دخل معه إنسان يريد أن يساعده، وهو يساعده ظاهرًا، ثم شم منه رائحة عدم المطابقة لما هو عليه تمامًا، نفر منه، وعاداه، وحذر منه، هذه مشكلة، يعني ليته إذا دخل معه أحد ولكنه لم يكن معهم ١٠٠٪، وقال: أنتم أخطأتم في كذا، وأخطأتم في كذا، وأنا أتبعكم على ما أراه صوابًا، ليته يعذره، فيقول: تفضل ساعدنا على ما تراه صوابًا، لكن ينبذه نبذ الدراهم تنقاد للصياريف.

ط: شيخ بالنسبة للحكم على الإنسان بالظاهر، لكن نعمل بين ناس يستخدمون مبدأ تقية، إذا استطاعوا أن يثنوا على أهل السنة وقفوا وإلا؟

ج: على كل حال هذه المسألة خارجة عن الموضوع، يعني: لا تجعل المثل بين أهل السنة والرافضة، هذا أمر معروف عداءهم منذ نشئوا، وعداؤهم لأهل السنة واضح، وهم إذا سنحت لهم الفرصة، تعلوا على أهل السنة، وإذا لم تسنح لهم الفرصة، ذلوا أمامهم، لكن كما قلت: تقية، ولكن هذا موضوع كلامنا في أناس من أهل السنة، كلهم ينتسبون إلى السنة، ويقولون: نحن إخوة، ومع ذلك يضلل بعضهم بعضًا، ويبدع بعضهم بعضًا، ويبغض بعضهم بعضًا، وهذا هو المشكلة.

ط: يا شيخ الجمعيات ليست من التحزب؟

ج: لا، لا أراها من التحزب، الجمعيات عبارة عن عمل منظم، لكن الهدف والمنهج واحد مع غيرها.

❁ ❁ ❁

واحسرتاه تقضى العمر وانصرمت ساعـاته بين ذل العجـز والكسل

والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى المطلب الأعلى على مهل

ثم قال: قوله: أولئك ذخائر الله حيث كانوا، ذخائر الملك: ما يخبأ عنده، ويذخره لمهماته، ولا يبذله لكل أحد، وكذلك ذخيرة الرجل: ما يذخره لحوائجه ومهماته، وهؤلاء ؛ لما كانوا مستورين عن الناس بأسبابهم، غير مشار إليهم، ولا متميزين برسم دون الناس، ولا منتسبين إلى اسمِ طريق أو مذهب أو شيخ أو زي ؛ كانوا بِمنْزلة الذخائر المخبوءة.

وهؤلاء أبعد الخلق عن الآفات ؛ فإن الآفات كلها تحت الرسوم، والتقيد بِها، ولزوم الطرق الاصطلاحية، والأوضاع المتداولة الحادثة.

هذه هي التي قطعت أكثر الخلق عن الله، وهم لا يشعرون.

الشرح

صحيح لا شك أن الأمر كما قال الشيخ ابن القيم- رحمه الله -، هؤلاء الذين لهم مراسم معينة، وأشكال معينة، وطقوس معينة، هؤلاء لا شك أنهم منقطعون عن الله ﷻ بحسب ما معهم من هذه الرسومات الاصطلاحية، وما أشبهها، تجد الواحد منهم إذا رأيته، قلت: من هذا الرجل؟ من هذا العالم؟ لكنه عالم بالزي والشكل فقط، وليس عنده علم راسخ، بل وربما تقول: وإيمانه ضعيف أيضًا، وإلا لكان يعتمد على ما عنده من العلم، والإيمان والدعوة والإصلاح.

❁ ❁ ❁

والعجب أن أهلها هم المعروفون بالطلب والإرادة، والسير إلى الله، وهم- إلا الواحد بعد الواحد- المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود.

الشرح

العجب يعني أن الإنسان يستغرب أن يكون هؤلاء الذين أخذوا العلم بالرسوم والاصطلاحات الحادثة هم المعروفون بالطلب والإرادة؛ لأنَّهم يغررون الناس بلباسهم، وهيئاتِهم، ونبرات كلامهم، وغير ذلك.

لكن يقول: وهم إلا الواحد بعد الواحد المقطوعون عن الله بتلك الرسوم والقيود، ومعلوم أن هذه بلية عظيمة أن يقطع الإنسان عن الرب ﷻ، ويكون بين الناس مغرورًا ومغترًا به، وأهم شيء للإنسان أن يكون وجيهًا عند الله ﷻ، هذا أهم شيء، وأنت إذا كنت وجيهًا عند الله، فستكون وجيهًا عند الخلق، أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين الخلق، أما مراعاة الناس، ومراءاة الناس، فهذا غلط، عليك بالإخلاص في النية وإن جئت على غير الأشكال الذي يأتي به بعض الناس في غير هذه البلاد، تجد أن العلماء لهم لباس خاص، وأن العباد أيضًا لهم حلية معينة، كل هذا من أهل الاغترار والغرور، إلا من شاء الله مثل ما قال ابن القيم: الواحد بعد الواحد، فعليك أن تجمل باطنك بتقوى الله ﷻ، فإن لباس التقوى ذلك خير.

❁ ❁ ❁

وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى «السنة». يعني أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها.

فمن الناس من يتقيد بلباس غيره، أو بالجلوس في مكان لا يجلس في غيره، أو مشية، لا يمشي غيرها أو بزي وهيئته لا يخرج عنهما، أو عبادة معينة لا يتعبد بغيرها وإن كانت أعلى منها، أو شيخ معين لا يلتفت إلى غيره، وإن كان أقرب إلى الله ورسوله منه.

الشرح

هذا معنى ما قلنا قبل قليل: إن بعض الناس يتقيد، وهذا غلط، الواجب أن الإنسان يكون مع الخير حيثما كان.

❁ ❁ ❁

فهؤلاء كلهم محجوبون عن الظفر بالمطلوب الأعلى، مصدودون عنه، قد قيدتْهم العوائد، والرسوم، والأوضاع، والاصطلاحات عن تجريد المتابعة، فأضحوا عنها بمعزل، ومنزلتهم منها أبعد منزل، فترى أحدهم يتعبد بالرياضة، والخلوة، وتفريغ القلب، ويعد العلم قاطعًا له عن الطريق، فإذا ذكر له الموالاة في الله والمعاداة فيه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عد ذلك فضولًا وشرًا، وإذا رأوا بينهم من يقوم بذلك ؛ أخرجوه من بينهم، وعدوه غيرًا عليهم، فهؤلاء أبعد الناس عن الله، وإن كانوا أكثر إشارة، والله أعلم. اهـ.

الشرح

* قوله: «يتعبد بالرياضة» ليس المراد بالرياضة، الرياضة البدنية، بل الرياضة القلبية، على زعمهم، فتجدهم منعزلين عن الناس، بعيدين عن الناس، لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر، ولا يتعلمون ظنًا منهم أن هذا هو الخير لكن هم في الواقع ضلوا، الخير أن تتبع الخير حيثما كان، فتارة في مجالس العلم، وتارة في مصاف الجهاد، وتارة في الحسبة، وتارة في الصلاة، وتارة في القرآن، حسب ما تراه أنه أنفع لعباد الله، وأخشع لقلبك، لكن من الناس، من لا يتحمل، فتجده يركن إلى شيء معين من العبادة يدعي أن بِها صلاح قلبه، ويستمر عليها.

❁ ❁ ❁

٦٦- يا أخي ! - وقانا الله وإياك العثرات- إن كنت قرأت مثلًا من «حلية طالب العلم» وآدابه، وعلمت بعضًا من نواقضها، فاعلم أن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها:

١ - إفشاء السر.

٢ - ونقل الكلام من قوم إلى آخرين.

٣- والصلف واللسانة.

٤ - وكثرة المزاح.

٥ - وألدخول في حديث بين اثنين.

٦- والحقد.

٧- والحسد.

٨- وسوء الظن.

٩- ومجالسة المبتدعة.

١٠- ونقل الخطى إلى المحارم.

فاحذر هذه الآثام وأخواتها، واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت: وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة، خفيف، لعاب، مغتاب، نمام، فأنّى لك أن تكون طالب علم، يشار إليك بالبنان، منعمًا بالعلم والعمل.

سدد الله الخطى، ومنح الجميع التقوى وحسن العاقبة في الآخرة والأولى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشرح

نعم هذه النواقض والخوارم التي ذكرها هي في الحقيقة خدش عظيم لطالب العلم، بل وللعامة أيضًا، إفشاء السر، وإفشاء السر محرم ؛ لأنه خيانة للأمانة، فإذا استكتمك إنسان حديثًا، فإنه لا يحل لك أن تفشيه، لأي أحد كان، واحذر أن يخدعك أحد؛ لأن بعض الناس يظن أنه أفشي إليك بحديث، ثم يأتي إليك، وكأن الأمر مسلم أنه علم بذلك، فيقول مثلًا: ما شاء الله ما الذي أدراك عن كذا وكذا، فيبهت الأخ، يبهت، فيظن أنه قد علم، ثم يفضي إليه السر، وهذا طريقة تجسس من بعض الناس، إذا آتاهم شخصًا بشيء، جاء إليه وقال: ما شاء الله ما الذي أدراك عن فلان، قلت: فيه كذا وكذا، وهو ما علم أحد، وهذا أيضًا ليس عنده علم، لكن يريد أن يحقق التهمة، فاحذر هذا فما دمت قد استكتمت صاحبك، فإذا جاء أحد يبغتك بمثل هذا الأسلوب، فلا تخف، قل: أبدًا ما صار هذا وتبرأ إلى الله منه وتقصد منه، أي من هذا الكلام الذي أنت قلت: لأنه تجسس، قال العلماء: وإذا حدثك إنسان بحديث والتفت، فقد استأمنك فهو أمانة وسر، فلا يجوز أن تفشيه حتى ولو لم يقل لا تخبر أحدًا؛ لأن التفاته يعني أنه لا يريد أحدًا يسمعه، فإذا أفشيته، فهذا من إفشاء السر، طيب، وإذا قال: سأعلمك بيني وبينك، هذا سر؟ نعم، هذا اثنان، وإذا قال هذه مسألة خاصة؟ سر، تأخروا يا إخوان، ولكن لا يتأخرون بل يضع هنا عرقوبه، هذا طيب أم غير طيب؟ غير طيب.

إن قيل: تأخر، تأخر في مسافة لا تسمع فيها القول وإلا لا فائدة من التأخر.

طيب الشيء الثاني يقولك نقل الكلام من قوم إلى آخرين، وهذا هي النميمة، وقد قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة قتات»[(١)] أي نمام: ومر بقبرين يعذبان، وذكر أن أحدهما كان يمشي بالنميمة[(٢)]، فهي من كبائر الذنوب، يأتي الشخص إلى آخر يقول: قال فلان فيك كذا وكذا، لكن إذا كان المقصود بذلك النصيحة، كيف النصيحة؟

يعني أن هذا الرجل مغتر بالشخص، ويفضي إليه أسراره، ويستشيره في أموره، فجاء إنسان وقال: يا فلان أنا رأيتك تفضي سرك إلى فلان، وتثق به، والرجل ليس بأمين، الرجل يفشي كل ما تقول، فهل يعتبر هذا نميمة؟

هذه نصيحة، وكثيرًا ما يكون بعض الناس سليم القلب يثق بكل أحد، فإذا بأسراره، وأحواله معلومة عند الناس، فيأتي إنسان يحب الخير، يقول: يا فلان رأيتك تفضي إلى فلان بسر، والرجل ليس بثقة، هذا لا يعد نميمة، بل هذا من باب النصيحة، وفرق بين من يريد النصيحة، ومن يريد الإفساد.

الثالث: الصلف واللسانة،الصلف يعني: التشدد في الشيء، يكون إنسان غير لين، لا بمقاله، ولا بحاله، بل هو صلف ولسن، يعني رفيع الصوت، أو يعني أن عنده بيانًا يبدي به الباطل، ويخفي به الحق، وأما قوة الصوت، وارتفاع الصوت، فإنه ليس إلى اللسانة هذه من خلقة الله ﷻ ولما أنزل الله تعالى: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]كان ثابت بن قيس رضي الله عنه وهو من أحد الشعراء، ومن أحد الخطباء أيضًا، كان جهوري الصوت، فلزم بيته يبكي، ولم يكن له وجه يخرج إلى الناس، يقابل الناس به، ففقده النبي ﷺ فسأل عنه، فأرسل إليه رسولًا، فقال: إن الله أنزل هذه الآية، وإني خفت أن يحبط عملي وأنا لا أشعر، انظر الخوف من الله عز وجل من هؤلاء، فأرسل النبي ﷺ فقال له: «إنه يحيا سعيدًا، ويقتل شهيدًا، ويدخل الجنة»[(٣)] فحيا الرجل سعيدًا، وقتل شهيدًا في اليمامة، وسيدخل

(١) متفق عليه رواه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٢) متفق عليه رواه البخاري (٢١٦، ٢١٨، ١٣٦١، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥)، ومسلم (٢٩٢).

(٣) صحيح رواه مسلم (١١٩).

الجنة؛ لقول النبي ﷺ، وتدخل الجنة؛ ولهذا كان ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه من الناس الذين يشهد لهم بأنَّهم من أهل الجنة. طيب إذًا اللسانة معناها التطاول باللسان على بني الإنسان هذا اللسن، وليس معناه رفيع الصوت.

رابعًا: كثرة المزاح: ولم يقل: المزاح؛ لأن المزاح في الكلام كالملح للطعام، إن أكثرت منه فسد الطعام، وإن لم تجعل فيه الملح، لم يشتهِ الطعام فكثرة المزاح تذهب الهيبة، وتنْزل مرتبة طالب العلم، هذا الكثرة، أما المزاح القليل، الذي يقصد به إدخال السرور على صاحبك، فهذا خير، وهو من السنة، فقد كان النبي ﷺ، يمزح، ولا يقول إلا حقًّا ﷺ، جاءه رجل مرة يريد أن يحمله على بعير يجاهد عليها في سبيل الله، فقال النبي ﷺ: «**إنا حاملوك على ولد الناقة؟**» فقال الرجل: كيف يحمل على ولد الناقة؟ تعرفون ولد الناقة، يعني: الصغير، فقال النبي ﷺ: «**وهل تلد الإبل إلا النوق**»[1]، فسري عن الرجل، هذه مزح، أو غير مزح؟ هذا مزح، لكنه حق، وكان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقًّا، ومع ذلك مزحة قليل، وقال لأبي عمير، غلام صغير معه طير يلعب به، فمات الطير، وتعرفون الصبي إذا مات طيره، يحزن حزنًا عظيمًا، فدخل النبي ﷺ، ذات يوم فقال له: «**يا أبا عمير ما فعل النغير**»[2]، يمزح عليه، فمثل هذا المزح، لا بأس به؛ لأنه قليل وحق، أما ما يفعل بعض الناس، كل كلمة فهو مزح، فهذا كما أنه لا يليق بالرجل العاقل فضلًا عن طالب العلم، فإنه يجعل كل كلامه مزحًا، حتى إن المخاطبين يقولون: أنت صادق أم تمزح، لأنه يكثر المزاح.

❁ ❁ ❁

٦٧- نواقض هذه الحلية:

أخي -وقانا الله وإياك العثرات- إن كنت قرأت مثلًا، من حلية طالب العلم وآدابه، وعلمت بعضًا من نواقضها، فاعلم أن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها:

١- إفشاء السر.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٩١)، وأبو داود (٤٩٩٨)، وصححه الألباني رحمه الله في المشكاة (٤٨٨٦)، ومختصر الشمائل (٢٠٣).

(٢) متفق عليه: تقدم.

الشرح

والظاهر أن المؤلف أراد هذا- أراد الابتداء- وعلى هذا يكون اسم إن محذوف، التقدير: إن من أعظم خوارمها المفسدة لنظام عقدها أمورًا يكون منها: إفشاء السر، وتكون إفشاء السر خبر لمبتدأ محذوف، يعني يتعين هذا، وإلا فكما ذُكر أن نجعل إفشاء السر، بالنصب، اسم إن مؤخرًا.

❁ ❁ ❁

فاعلم أن من أعظم خورامها المفسدة لنظام عقدها:

١ - إفشاء السر.

٢ - نقل الكلام من قوم إلى آخرين.

٣- الصلف واللسانة.

٤ - كثرة المزاح.

٥ - الدخول في حديث بين اثنين.

الشرح

وقفنا على هذا، الدخول: يعني من خوارمها المفسدة لنظام عقدها، ونقول: الدخول في حديث بين اثنين، فإن بعض الناس إذا رأى اثنين يتحدثان دخل بينهما، وهذا كالمتسلق للجدار،لم يأت البيوت من أبوابِها، ويسمى في اللغة العامية ماذا؟ «ملقوف»، والحقيقة أنه ليس ملقوفًا، بل هو لاقف، لكن يجوز استعمل اسم المفعول في محل اسم الفاعل، المهم الدخول في حديث بين اثنين إذا رأى اثنين يتحدثان، ذهب إليهما، وفرق بينهما في الحديث؛ ولهذا كان من آداب حاضر صلاة الجمعة أن لا يفرق بين الاثنين، كما جاءت السنة، فالتفريق بين الاثنين في المكان أو في الحديث، من خوارم المروءة، وكذلك أيضًا لا ينبغي إذا رأيت اثنين يتحدثان، لا ينبغي أن تقرب منهما بل من الأدب والمروءة أن تبتعد؛ لأنه ربما يكون بينهما حديث سر، ويخجلان أن يقولان لك: أبعد فالحديث سر، أو إذا كان لا يستطيعان ذلك، عدلا عن حديث السر فقطعت حديثهما.

* **قال: والحقد** - نسأل الله العافية- الحقد يعني الكراهية، والبغضاء فإن بعض الناس إذا رأى أن الله أنعم على غيره نعمة، حقد عليه، مع أن هذا الذي أنعم عليه، لم يتعرضه بسوء، لكن حقد عليه، وما قصة ابني آدم بغريب علينا، قربا قربانًا، فتقبل من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر، فقال الذي لم يتقبل منه للذي تقبل منه: لأقتلنك، كرهه وحقد عليه إلى حد أنه أودى بحياته، فقال له ذلك: إنما يتقبل الله من المتقين، وليس يريد تزكية نفسه، أو الثناء عليها، وإنما يريد أن يحث ذلك على التقوى، حتى يقبل منه، كأنه قال له: اتق الله فيقبل منك، ولكن طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله، فلا يجوز للإنسان أن يحقد على أخيه المسلم، ولاسيما إذا كان سبب الحقد، ما من الله به عليه من النعمة، سواء دينية أو دينوية.

الحسد من أخلاق اليهود، وبئس الخلق خلق الحسد، فما هو الحسد، الحسد قيل: هو أن يتمنى زوال نعمة الله على غيره، يتمنى فقره إن كان الله أنعم عليه بمال ونسيانه وجهله إن كان الله أنعم عليه بعلم، وفقد أولاده وعقم زوجته، إذا كان الله من عليه بأولاد، وما أشبه ذلك، فقيل: هذا هو الحسد، أن يتمنى الإنسان زوال نعمة الغير.

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: الحسد كراهة نعمة الله على غيره، يعني ما يتمنى زوالها، لكن يكره أن الله أنعم على هذا الإنسان بهذه النعمة، فأما لو تمنى أن يرزقه الله مثلها، فليس هذا من الحسد، بل هذا من الغبطة، التي أشار إليها النبي ﷺ ، بقوله: «**لا حسد إلا في اثنتين**»[1] ، والحسد تكلمنا على مضاره في عدة جلسات، وأوصلناها إلى عشرة.

أولًا: أنه من كبائر الذنوب قبل كل شيء، من كبائر الذنوب، التي لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة، ولا الصيام، ولا غيرها، بل لابد فيها من توبة، هذه واحدة.

والثاني: أن فيها هذه العقوبة العظيمة، أنه يروى عن النبي ﷺ والحديث ضعيف، «**أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**»[2] .لا يقبل جوابك ؛ لأنه ليس معك كتاب.

ثالثًا: إنه من أخلاق اليهود، وأي إنسان منا يرضى أن يتصف بصفة من صفات اليهود، طيب.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٧٣، ١٤٠٩، ٥٠٢٥، ٥٠٢٦، ٧١٤١، ٧٣١٦، ٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥، ٨١٦).

(٢) ضعيف: رواه أبو داود (٤٩٠٣)، وابن ماجه (٤٢١٠) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢١٩٧، ٢٧٨١).

س: يا شيخ فيه من يتمنى شيء يضره وما ينفعه، ويضر صاحبه لو زالت النعمة عن... لكان هذا شر له.

ج: يعني أنه ينافي الأخوة الإيمانية ؛ لأنك تتمنى أن تزول نعمة الله على هذا العبد، والمؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

رابعًا: أن فيه عدم الرضا بقضاء الله وقدره ؛ لأنه لو رضي بذلك، لقال: هذا قضاء الله هو خير.

ط: أنه سبيل للتعاسة.

ش: كيف ذلك، يعني معناه يقول: إن الحاسد -والعياذ بالله- كلما رأى نعمة من الله على أحد، ازداد غمًا واحتراقًا، فالحسد نار، كلما رأى الحاسد نعمة من الله على أحد اغتم، وضاق صدره، والعياذ بالله، طيب هذه ستة.

خامسًا: أنه بريد الكفر، كيف ذلك؟

سادسًا : أنه هو الذي أخرج إبليس عن طاعة الله.

ش: هذا فيه نقد، دعه يصير الأخير، إن احتجنا إليه، وإلا دعه يبقى.

يعني: إن الحاسد متبع لخطوات الشيطان، وقد قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ط: يوجد العداوة والبغضاء.

ش: نعم صحيح، هذه من أهم ما يكون، أنه يورث العداوة والبغضاء بين الناس.

سابعا: أنه قد يؤدي إلى العدوان على الغير، فابن آدم قتل أخاه حسدًا، فاعتدى عليه.

ط: يوجب قسوة القلب.

ش: كيف ذلك. لأن فيه ازدراء نعمة الله على الحاسد؛ لأنه يرى أن ذلك أفضل منه، فتقدم عليه، فلا يرى الله نعمة عليه ؛ ولهذا تجد الفضلاء الذين من الله عليهم بنعم، قد يكون كثير من الناس لم يدركها، تجد ليس عندهم حسد، لا تكون حسد، إلا لإنسان لم ير نعمة الله عليه شيئًا، وإلا لم حسد غيره.

ش: طيب، أنه يشغل القلب عن الله، وربما يكون هذا بمعنى ما قال إنه موجب القسوة ؛ لأن الحاسد تجده يتتبع نعم الله، وكلما ذكر له نعمة، كأنه ملطوم على الوجه.

ثامنا: فينشغل بذلك عن ذكر الله تعالى، وعبادته، وهذا من قسوة القلب.

ط: **فيه مضيعة للوقت.**

ش: يعني هذا قريب مما قلنا: يشغل عن ذكر الله ﷻ قريب منه.

نعم ، يقال: فيه إخفاء نعمة الله على الغير، وستر محاسنه؛ لأن الحسدة هكذا يفعلون، تجده إذا ذكر عنده المحسود بخير، قال: إيه والله صحيح، هذا طيب وما شاء الله نفع الناس، ولكن وماذا تحت لكن...، معيبة، بلى وهذه ترى يفعلها بعض الناس، شاهدناهم يثني على الإنسان، وفيه... وفيه، وطيب، وكذا، ولكن.

ط: **أليس تعتبر غيبة.**

ش: نحن الآن ما وصلنا الغيبة نحن الآن نتكلم عن الحسد، ولكن كذا وكذا، لماذا؟ لأجل هذه المحاسن التي أمر بها، وألزمها بين الناس، يضفي عليها هذا الظل، حتى يكون نكتة سوداء كالمعصية تكون في القلب، طيب الحسد ولاسيما بين طلبة العلم، يعني نحن نعذر الحسد الواقع بين أصحاب الدنيا، لكن لا نعذر في الحسد الواقع بين طلبة العلم، بل نقول كما وجه الله ﷻ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤]، ويقول ﷻ: ﴿وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّـهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٧]، وإذا كان خيرًا سابق فيه حتى تتقدم غيرك.

تاسعا: «سوء الظن»: سوء الظن يعني أن يظن بغيره ظنًّا سيئًا، مثل أن يقول: لم يتصدق هذا إلا رياء، لم يلقي هذا الطالب السؤال إلا رياء، ليعرف أنه طالب ويفهم، وكان المنافقون، إذا أتى المتصدق من المؤمنين بالصدقة، إن كانت كثيرة، قالوا: مرائي، وإن كانت قليلة، قالوا: إن الله غني عن صدقة هذا، فهم يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، ويلمزون الذين لا يجدون إلى جهدهم، فيسخرون منهم، فإياك وسوء الظن، ولنا تفصيل في سوء الظن إن شاء الله تعالى في الدرس القادم.

هذه من الخوارم، ما سبق، وانتهينا إلى قوله: «وسوء الظن»، وقلنا: إن سوء الظن معناه أن يظن بالإنسان ظنًّا سيئًا، ولا فرق في هذا بين أن تظن ظنًّا سيئًا بمعلمك، أو بزميلك، فإن الواجب إحسان الظن بمن ظاهره العدالة، أما من ظاهره غير العدالة، فلا حرج أن يكون في نفسك سوء ظن به، لكن مع ذلك عليك أن تتحقق، حتى يزول ما في نفسك من هذا الوهم؛ لأن بعض الناس قد يسيء الظن بشخص ما، بناء على وهم كاذب لا حقيقة له، فالواجب إذا أسأت الظن بشخص، سواء من طلبة العلم، أو غيرهم، الواجب إذا أسأت الظن أن تنظر هل هناك قرائن واضحة، تسوغ لك سوء الظن، فلا بأس، وأما إذا كان مجرد أوهام، فإنه لا يحل لك أن تسيء الظن بمسلم ظاهره العدالة، قال الله تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾[الحجرات: ١٢] ، ولم يقل كل الظن؛ لأن بعض الظنون لها أصل، ولها مبرر، إن بعض الظن ثم، وليس كل الظن، فالظن الذي يحصل فيه العدوان على الغير هذا لا شك أنه أثم، والظن الذي لا مستند له هو أيضًا إثم، وأما إذا كان له مستند فلا بأس، أن تظن الظن السيئ.

طيب، ذكرنا أن المنافقين في عهد الرسول ﷺ كانوا يسيئون الظن بالمؤمنين إذا تصدق الغني بكثير، قالوا: هذا مرائي، وإذا تصدق الفقير بقليل، قالوا: إن الله غني عن صاع هذا، فيلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات، ويلمزون الذين لا يجدون إلى جهدهم.

فالواجب إحسان الظن ما أمكن، إذا سمعت من أخيك شيئًا يتحدث فيه عنك، أو عن غيرك، وهو يحتمل السوء والحسن، فعلى أيهما تحمله، على الحسن، متى وجدت لكلمة أخيك محملًا حسنًا فاحملها عليه، وأما إذا لم تجد، فالإنسان لا يكلف إلا ما يقدر عليه.

العاشر: مجالسة المبتدعة، وليته عمم، مجالسة كل منْ تخرم مجالستهم المروءة، سواء كان ذلك الابتداع، أو سوء أخلاق، أو انحطاط رتبتهم عند المجتمع، أو ما أشبه ذلك، فينبغي لطالب العلم أن يكون متنـزهًا مترفعًا عن مجالسة من تخرم مجالستهم المروءة، أو تخدش الدين، لكن كأنه خص ذلك بالمبتدعة؛ لأن المقام مقام تعليم، فإذا وجدنا مبتدعًا عنده طلاقة في اللسان وسحر بالبيان، فإنه لا يجوز أن نجلس إليه ؛ لأنه مبتدع، لماذا لا يجوز؟

أولًا: لأننا نخشى من شره، فإن النبي ﷺ ، قال: «**إن من البيان لسحرًا**»[1] ، قد يسحر عقولنا حتى نوافقه على بدعته.

ثانيًا: أن فيه تشجيعًا لهذا المبتدع، أن يكثر الناس حوله أو أن يجلس إليه فلان وفلان من الأشراف والوجهاء، والأعيان، هذا يزيده رفعة واغترارًا بما عنده من البدعة، وغرورًا في نفسه.

ثالثًا: إساءة الظن بهذا الذي اجتمع إلى صاحب البدعة، وقد لا يتبين هذا إلا بعد حين، فإن الناس إذا رأوك تذهب إلى صاحب البدعة فإنهم سوف يتهمونك وإن لم يتبين إلا بعد حين؛ ولهذا ينبغي لطالب العلم، بل يجب عليه أن يتجنب الجلوس إلى أهل البدع.

فإن قال قائل: إذا كنت أجلس إليهم أتلقى عندهم علمًا لا علاقة له بالبدعة، كعلم النحو مثلًا، علم البلاغة، فماذا نقول؟

نقول: وعلم النحو، وعلم البلاغة قد فيه بلاء، ربما يقول في يد الله عز وجل اليد: أي النعمة، وهو رجل فصيح بليغ ؛ لأن اليد تطلق، ويراد بها النعمة، ثم يستشهد بقول المتنبي:

وكم في ظلام الليل عنده من يدٍ تحدث أن المانوية تكذب

المانوية: طائفة من المجوس، يقولون: إن الظلمة لا يأتي فيها خير أبدًا، الظلمة كلها شر، ولا تخلق إلا شرًّا، فنقول: إنك أنت تسدي إلينا الهدايا، والمعروف في الليالي مما يدل على كذب المانوية، فيقول: هذا المبتدع للإنسان الذي عنده طلاقة في اللسان، وسحر في البيان، يقول المراد بقوله تعالى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة: ٦٤]، أي: نعمتاه، فيضر الناس، وهذا المثال موجود في البلاغة، كذلك أيضًا يأتي النحو، يقول يجوز حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه، ويطنب في هذا المعنى ثم يقول: ومثاله في القرآن قول الله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾ [الفجر: ٢٢] أي وجاء أمر ربك، وفي السنة: «**ينزل ربنا إلى السماء الدنيا، فيقول: من يدعوني فأستجيب له**»[2]، أي: ينزل أمره، فهذا يلبس على الناس، وهو يدرس نحو، صاحب العقيدة يريد أن يخلخل، لها مكانة في العلوم مهما كان؛ لذلك

---

(١) **متفق عليه:** رواه البخاري (٥١٤٦، ٥٧٦٧)، ومسلم (٨٦٩).

(٢) **متفق عليه:** تقدم.

احذر أن تجلس إلى صاحب بدعة، ولو في الفنون التي لا علاقة لها في بدعته؛ لأنه لابد أن يدس السم في العسل أو في الدسم، المهم لابد أن ينالك منه سوء، سواء هذا أو هذا، طيب، وقلنا: أن الأولى أن يقال جانب مجالسة كل من تخل مجالسته بالمروءة، أو بالدين.

رابعا: كذلك: «نقل الخطى إلى المحارم»: يعني مما يخرم هذه الحلية، نقل الخطى إلى المحارم، يعني أن يمشي الإنسان إلى الأمور المحرمة، فإن هذا من خوارم هذه الحلية، إذ أن الذي ينبغي لطالب العلم أن يتجنب هذا، بل إن بعض العلماء يقول: يتجنب حتى الخطى إلى أمر ينتقده الناس فيه، كما لو ذهب طالب العلم إلى مبيع النساء، النساء لها أسواق للبيع، فذهب طالب العلم إلى أسواق النساء، هل هذا مما يحمد عليه، أو مما يذم عليه، نعم مما يذم عليه، يقال: فلان طالب العلم يروح إلى أسواق النساء، حتى لو قال: أنا أريد أن أذهب إلى أسواق النساء، لأشتري لأهلي من هذه الأثواب مثلًا، من الأثواب التي تباع في الأسواق، قلنا: وكِّل من يشتري عنك، أم أنت طالب علم، ينتقد عليه هذا الفعل، ويقتدي بك من نيته سيئة، ربما يأتي إلى مثل هذه الأسواق من نيته سيئة، ثم إذا قيل له في ذلك، يقول: رأيت فلانًا في هذه الأسواق.

فالحاصل: أن نقل الخطى إلى المحارم ما يخرم حلية طالب العلم، وإذا كان النبي ﷺ قال: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت**»[1]، كذلك نقول: فليفعل خيرًا أو يترك؛ لأن المعنى واحد.

❁ ❁ ❁

فاحذر هذه الآثام وأخواتها، واقصر خطاك عن جميع المحرمات والمحارم، فإن فعلت: وإلا فاعلم أنك رقيق الديانة، خفيف، لعاب، مغتاب، نَمام، فأنَّى لك أن تكون طالب علم، يشار إليك بالبنان، منعمًا بالعلم والعمل.

الشرح

يعني: ينبغي للإنسان أن ينْزل نفسه منْزلتها، وأن لا يدنسها بالأخلاق؛ لأن طالب العلم شرفه الله تعالى بالعلم، وجعله أسوة، وقدوة، حتى أن الله تعالى رد أمور الناس عند

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٦٠١٨، ٦٠١٩، ٦١٣٥، ٦١٣٦، ٦١٣٨، ٦٤٧٥)، ومسلم (٤٧، ٤٨).

الإشكال إلى العلماء، فقال: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣].

فالحاصل: أنك يا طالب العلم، محترم، فلا تنزل بنفسك إلى ساحة الذل والضعف، بل كما ينبغي أن تكون.

❁ ❁ ❁

سدد الله الخطى، ومنح التقوى وحسن العاقبة في الآخرة والأولى.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الشرح

جزاه الله خيرًا، هذه الحلية، لا شك أنَّها مفيدة ونافعة لطالب العلم، وينبغي للإنسان أن يحرص عليها، ويتتبعها، ولكن لا يعني ذلك أن يقتصر عليها، بل هناك أيضًا كتب أخرى صنفت في آداب طالب العلم، ما بين قليل وكثير ومتوسط، وأهم شيء أن الإنسان يترسم خطى النبي ﷺ، ويمشي عليها، فهي الحلية الحقيقية التي ينبغي للإنسان أن يتحلى بها، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، نسأل الله تعالى أن يختم لنا ولكم بصالح الأعمال، وأن يوفقنا للعمل بما يرضيه.

س: سأل سائل «غير واضح»؟

ج: هذا أيضًا مما يؤيد الابتعاد عن المبتدع ؛ لأنه ربما إذا رأيت أنه نفعك، وأحسن إليك، وعلمك، ربما يقع في قلبك محبة له، وتعظيمًا له حتى تأخذ بما قال من صواب أو خطأ.

س: قوله يا شيخ: «يشار إليه بالبنان».

ج: لا.. لا.. يشار إليه بالبنان، يعني يقال مثل «فلان يتحدث عنه»، وليس مراده أنه لازم يشار إليه، المعنى أنه معروف عند الناس، وأنه صاحب علم، ورفيع، هذا المعنى، وإلا من المعلوم حتى ولو يمر عند أكبر عالم، ما تقول: هذا فلان، وهذا فلان، لكن ربما يقال: هذا فلان وهذا فلان، كما فعل الصحابة رضي الله عنهم، حين قدم الرسول عليه الصلاة

والسلام المدينة، أول ما قدم جعل الناس يأتون أفواجًا، ويقولون: هذا محمد، هذا محمد ﷺ.

س: بالنسبة لسوء الظن أحيانًا الإنسان يرى من شخص يعني شبه سوء ظن، ولكن يريد أن يحسن الظن، ولكن أمر مثل الفراسة في نفسه، فهل يصدق نفسه، بناء على وجود الفراسة، أم أنه مع ذلك يتجاهل، ويحسن الظن؟

ج: لا، لا نحن قلنا: إذا كان هناك قرائن، وإساءة الظن بناء على هذه القرائن فلا بأس، لكن تحقق من صاحبك.

س: وإذا لم يمكن التحقق ؛ لأن الاحتكاك قليل؟

ج: ينتظر، لا يحكم بمجرد الوهم، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾[الإسراء: ٣٦] ، لكن هنا، هل الأصل إحسان الظن بالناس، في معاملاتهم، وفي ائتمانهم، وما أشبه ذلك، يعني: أنت تريد أن تعامل إنسان، هل الأصل حسن الظن به، أو لا؟

نعم أو الأصل سوء الظن، أو يختلف... ربما أحوال الناس، ويأتيك الإنسان العدو بصورة صديق، لكن لا تسيء الظن إلا إذا وجدت قرينة.

س: في بعض البلاد لا يوجد علماء من أهل السنة، بل قد يكون أغلبهم أشاعرة، فلا يوجد من يدرس العربية، وعلوم الفقه، فهل يقال للطالب: اجتنب هؤلاء المبتدعة، واعتكف على الكتب لتحصيل العلم، أم يقال: خذ منه مع الحذر منهم؟

ج: أنا عندي أن الأول أحسن، أن لا تحضر إليهم؛ لأن التلميذ يأتي وهو يشعر بأنه أدنَى مرتبة، وأقل علمًا من مدَرِّسه، فلابد أن يتأثر به، فإذا كنت تعلم أن هذا معتزلي أو جهمي، أو أشعري، فابعد عنه، لكن معلوم أن الفرق بين أن أحضر إليه بطلب علم النحو مثلًا، أو البلاغة، وبين أن أحضر إليه أدرس عليه العقيدة، الأخيرة أشد خطرًا.

ط: الأخذ على المبتدعة بشرط أن لا يكون مشتهرًا بالكذب وأن لا يكون داعيًا لبدعته.

ش: ولكن كما عرفت، قلنا: تجنبهم أحسن، حتى في غير العقيدة، للأشياء الثلاثة التي ذكرناها.

س: شيخ أحسن الله إليك : فرق بين مجالسة المبتدعة، وكتب المبتدعة، لاسيما – مثلًا–

كتب الفقهاء غير الحنابلة، غالبهم أشعرية، وكذلك في التفسير، وفي الأصول، معظمهم أشاعرة، ومشهورون بعقيدتهم؟

ج:إيه نعم، تأثير المعلم المباشر، أبلغ بكثير من تأثير الكتاب ؛ ولهذا نقول: إن كنت ذا علم وعقيدة سليمة فلا حرج أن تقرأ التفاسير التي فيها شيء من الابتداع، وإلا فاحذرها، والحمد لله كتب أهل السنة كثيرة.

س:بالنسبة لمناظرة أهل البدع والباطل، عندما يمتنع عن مناظرتهم بسبب عدم تكثير سوادهم، وحتى لا يفتتن الناس بكلامهم، يقولون: كيف إذًا تطالبون مناظرتنا، عندما يكون الأمر لكم، يعني: كيف نناظرهم، في بلدانهم، ولكن إذا أتوا إلينا نمتنع عن مناظرتهم، ماذا نقول لهم؟

ج:المناظرة ترتبط بالعلم، إذا كان لديك قدرة المناظرة في العلم، والإقناع فناظرهم.

س:لكن المناظرة بارك الله فيكم تكون عادة في محل عام؟

ج:ما يخالف، فمثلًا علمت أن هذا رجل داعية يدعو إلى بدعته، فحضرت لأناظره في هذه البدعة، ليس كالتلميذ الذي حضر ليأخذ منه، التلميذ مثل الطفل يرى أنه في حاجة إلى التقام الثدي.

❁ ❁ ❁

فهرس الموضوعات

أدب الزمالة

آداب الطالب في حياته العلمية

التحلي بالعمل

المحاذير

❁ ❁ ❁